تايتانيك الجديدة.. إسرائيل سابقاً

د.جمال زهران: فى طريقها إلى الزوال 04

عمار على حسن: أكذوبة الدولة الحامية تبددت 05

يرجع إلى عهد الملك تحتمس الثالث واستخدم كاستراحة ملكية شمال سيناء بأحد حملاته الحربية

كشف أثرى جديد يسلط الضوء على التاريخ العسكرى لمصر

نجحت البعثة الأثرية المصرية العاملة بموقع آثار تل حبوة «ثارو» بمنطقة آثار شمال سيناء فى الكشف عن بقايا مبنى مشيد من الطوب اللبن يمثل أحد الاستراحات أو القصور الملكية الواقعة بنطاق البوابة الشرقية لمصر، وذلك أثناء أعمال الحفائر الأثرية ضمن مشروع تنمية سيناء.

صرح بذلك د. محمد إسماعيل خالد الأمين العام للمجلس الأعلى الآثار، مشيرا إلى أن الدراسات العلمية المبدئية التى تمت على اللقى الأثرية التى تم اكتشافها داخل المبنى أوضحت ان هذا المبنى يرجع إلى عهد الملك تحتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشر من عصر الدولة الحديثة، وأنه من المرجح أن هذا المبنى كان قد استخدم كاستراحة ملكية بسبب التخطيط المعمارى للمبنى وندرة كسرات الفخار داخله.

وأكد الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار على أهمية هذا الكشف حيث أنه يكشف النقاب عن المزيد من المعلومات الهامة عن تاريخ مصر العسكرى خلال عصر الدولة الحديثة لاسيما فى سيناء.

ومن جانبه قال د. هشام حسين مدير عام آثار سيناء والمشرف على البعثة الأثرية، أن المبنى المكتشف مكون من صالتين مستطيلتين متتاليتين، ملحق بهما عدداً من الغرف.

توجد البوابة الرئيسية للمبنى فى جهة الشمال فى المنتصف وتؤدى إلى صالة أولى مستطيلة الشكل يتوسطها ثلاث قواعد أعمدة من الحجر الجيري، وتتصل الصالة الأولى بصالة أخرى أصغر مستطيلة الشكل لها مدخلين، الأول فى جهة الشرق والثانى فى جهة الغرب وهما أقل عرضاً من المدخل الرئيسى للمبنى، ويتوسط الصالة قاعدتى أعمدة من الحجر الجيرى قطر كلاً منهما متر، كما تم الكشف عن الأعتاب الحجرية الخاصة بالمداخل الرئيسية لتلك الصالة. وتؤدى الصالة الثانية إلى غرفتين منفصلتين تقع الأولى تجاه الشرق والثانية تجاه الغرب وتتصلان بالصالة الثانية عن طريق مدخلين فى مقابل مداخل الصالة الثانية تقريبا.

وأضاف أن البعثة نجحت كذلك فى الكشف عن الأعتاب الحجرية الخاصة بمداخل الغرف، بالإضافة الى مجموعة من الغرف الصغير والملحقة بالمبنى من الخارج فى اتجاه الشرق.

فيما أفاد رمضان حلمى مدير منطقة آثار شمال سيناء ورئيس البعثة أنه تم تأريخ المبنى بناء على تسلسل الطبقات والفخار المكتشف خارج المبنى، بالإضافة إلى العثور على جعران يحمل اسم الملك تحتمس الثالث، حيث من المرجح أن تكون الاستراحة استخدمت فى فترة تواجد الملك تحتمس بالمكان خلال قيامه بأحد حملاته الحربية لتوسيع الإمبراطورية المصرية فى اتجاه الشرق، مضيفا أن المبنى تم تحصينه فى مرحلة لاحقة بسور محيط له بوابة رئيسية تقع تجاه الشرق.

جدير بالذكر أنه خلال عصر الانتقال الثالث بداية من الأسرة ٢١ وحتى الأسرة ٢٥ استخدم هذا المكان ككل (حبوة ٢) كجبانة حيث تم الكشف عن مجموعة مختلفة الأشكال من الأمفورات محلية الصنع فى تسلسل طبقى مختلف استخدمت لدفن الأطفال تؤرخ بداية من عصر الأسرة ٢١ وحتى الأسرة ٢٥ تقريبا،

أما عن عمل البعثة خلال مواسم الحفائر السابقة بالموقع فقد نجحت فى الكشف عن دفنات داخل مقابر شيدت من بقايا أكتاف أبواب وكتل حجرية منقوشة بمناظر وخراطيش ملكية من عصر الدولة الحديثة وتم تأريخ تلك المقابر والدفنات بعصر الأسرة السادسة والعشرون ولكن بعد أعمال الموسم الحالى اتضح أن جميع الدفنات المكتشفة خلال الموسم الحالى والمواسم السابقة تؤرخ بعصر الانتقال الثالث

كما تم الكشف عن عدد من المبانى الهامة فى ثلاث طبقات متعاقبة تؤرخ جميعها بعصر الأسرة السادسة والعشرون، وودائع أساس تخص أحد تلك المبانى (اخر الطبقات الأثرية بالموقع) وتشمل نموذجا صغير الحجم للوحة من الفاينس تحمل اسم الملك أحمس الثانى والذى كان يعرف باسم أمازيس وهو من ملوك نهاية الأسرة الـ ٢٦.

السيد جمال الدين

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

مجدى شندى

الموقع الإلكترونى

www.elmashhad.online

العدد 334 -السنة الثالثة عشر-

الأحد 28 أبريل 2024 م

19 شوال 1445هـ

12 صفحة - الثمن: 5 جنيهات

المشهد

لا سقف للحرية

طيران

ماجدة مالك: حكاياتى مع كابينة القيادة 09

ثقافة

الحجراوى: هكذا عرفت شمس الدين الحجاجى 10

مقال

هالة البدرى: مأوى الزمن رائعة جوسو دينوف 12

ها آرتس: قول ما لا يمكن قوله.. لقد هزمت إسرائيل هزيمة كاملة

نحن محتجزون كرهائن فى قبضة القيادة الأسوأ فى التاريخ!

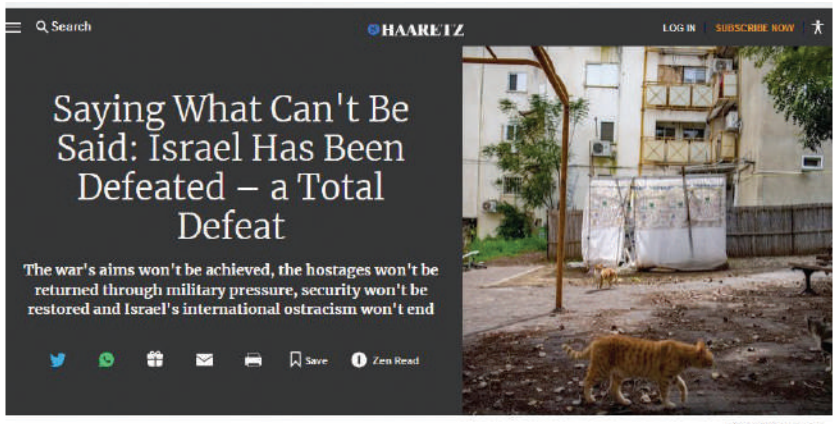

HAARETZ

Saying What Can't Be Said: Israel Has Been Defeated – a Total Defeat

The war's aims won't be achieved, the hostages won't be returned through military pressure, security won't be restored and Israel's international ostracism won't end

Save Zen Read

Chaim Levinson

We've lost. Truth must be told. The inability to admit it encapsulates everything you need to know about Israel's individual and mass psychology. There's a clear, sharp, predictable reality that we should begin to fathom, to process, to understand

Cats stand near a sukkah from last year's Sukkot holiday, just prior to Oct. 7, which remained standing in the virtually abandoned northern town of Kiryat Shmona on Purim this year. Credit: Gil Eliyahu

لقد خسرنا، الحقيقة يجب أن تقال، إن عدم القدرة على الاعتراف يختزل كل شيء تحتاج لمعرفته عن السيكولوجية الفردية و الجماعية لاسرائيل، هناك حقيقة واضحة و صارخة هي أنه ينبغي علينا البدء في فهم ومعالجة واستخلاص النتائج من أجل المستقبل، إنه ليس لطيفا الاعتراف بأننا خسرنا و لذلك فنحن نكذب على أنفسنا، بعضنا يكذب بسوء نية، والبعض الآخر بحسن نية.

بعد نصف عام (من الحرب) كان يمكن أن نكون في مكان مختلف تماما، ولكننا كنا محتجزين كرهائن في قبضة القيادة الأسوأ في تاريخ الدولة والمرشحة بجدارة لنيل لقب أسوأ قيادة في اى زمان وأي مكان، كل عملية عسكرية من المفترض أن يكون لها مخرج دبلوماسي، والفعل العسكري ينبغي أن يؤدى إلى واقع دبلوماسي أفضل، وإسرائيل ليس لديها مخرج دبلوماسي.

إنها نذالة من قائد ليس لديه قدرة على القيادة أو اتخاذ القرار.

نظريا كان يمكن أن نكون في مكان أفضل، إن صدمة اندلاع الحرب كان يمكن أن تكون نقطة بداية لحملة سريعة وقوية وعنيفة ومبررة بشكل كبير لاجتثاث حماس بسرعة أينما كان ذلك ممكنا، وكان يمكن استبدال حماس بتحالف من الدول يملك أموالا ونوايا حسنة لتنفيذ إعادة الإعمار مع دعم عربي وعالمي جنبا إلى جنب مع السلطة الفلسطينية، كان يمكن أن نخلق بديلا قابلا للحياة لحماس في غزة. بعد ستة أشهر من الحرب ربما كان بالفعل قد ظهرت علامات أولى على حكومة مستقلة هناك، في كل يوم و كل دقيقة كانت تمر كان يمكن اتخاذ قرارات أفضل، ولكن أولئك الذين انتخبناهم مجرد واجهات لشخص واحد.

لا نستطيع قول ذلك، و لكننا خسرنا، الناس لديها ميل إلى تصديق الأفضل، وإلى أن يكونوا متفائلين، وأن يأملوا أن الغد سيكون أفضل، وأن العملية التي نحن بصددها ستكلل بالمزيد من النجاح، إنه خلل جوهري في التفكير البشري: الاعتقاد بأن المسار الذي نأخذه هو المسار الجيد الوحيد، وأننا فقط نحتاج للسير عليه الآن، وذلك في وقت أطول قليلا مع بذل المزيد من الجهد قليلا، وبذلك سيتم إعادة الأسرى، وستعلن حماس استسلامها، وسيتم قتل يحيى السنوار. ورغم ذلك فإننا رجال جيدون، والرجال الجيدون سينتصرون.

إنها نفس العقلية التي تؤدى إلى الاعتقاد بأن (النظام الايرانى سوف ينهار من الداخل قريبا) ومعتقدات أخرى هي اقرب إلى سيناريوهات أفلام هوليودية منها إلى أفكار واقعية. إن هذه الاعتقادات ليست هي الحقيقة، في نهاية المطاف سيكون امرأ مزعجا قول الحقيقة للجمهور.

إن النتيجة التي قمت باستخلاصها من ٧ أكتوبر كصحفي هي أن إدمان الشعور بأننا جيدون هو ذاته أمر خطر، نحن بحاجة إلى قول الحقيقة حتى حينما تكون مزعجة، وحتى حينما تكون مؤلمة، وحتى لو شعر بعض الناس بالأسى، وحتى لو تسبب ذلك في خفض الروح المعنوية.

لو أن شخصا ما قال يوم ١ أكتوبر أن قائد الاستخبارات العسكرية كان غير كفء ، وأن الاستخبارات العسكرية كان بوسعها أن تخطط لعمليات ناجحة ولكنها لم تكن قادرة على توجيه تحذيرات بشأن حرب قادمة، وأن جهاز الشين بيت كان قد غلبه النعاس، مثل هذا الشخص كان سينظر إليه باعتباره مجنونا وانهزاميا ومنفصلا عن الواقع . إن سياسيين بعينهم كانوا سيدعون إلى محاكمة مثل ذلك الشخص بتهمة نشر الأخبار الكاذبة. كانت هناك علامات تدل أن الجيش كان في حالة سيئة، ولكننا لن نراها لأننا نعتقد أن الأمور على ما يرام.

من المزعج قول ذلك، ولكننا ربما لن نكون قادرين على العودة بشكل آمن إلى حدود إسرائيل الشمالية أو إلى ما كان عليه الأمر من قبل، لقد غير حزب الله المعادلة لصالحه، ذلك هو الموقف.

وهذه هي الحقيقة على كل الجبهات: ليس كل الرهائن سيعودون الأحياء منهم أو الأموات، وأن أماكن احتجاز بعضهم ستكون غير معروفة وسيظل مصيرهم مجهولا، وسيكونون مثل الطيار المفقود رون اراد. وسيشعر أقاربهم بألم الثكل مع القلق و الخوف، ومن وقت لأخر سنطلق بالونات في ذكراهم.

لن يعيد لنا اى وزير في مجلس الوزراء إحساسنا بالأمان الشخصي، وكل تهديد ايرانى سيجعلنا نرتعد خوفا، مكانتنا الدولية تعرضت لضربة قاصمة، وضعف قيادتنا قد انكشف للخارج. لسنوات حاولنا أن نوهم من في الخارج بأننا كنا دولة قوية وشعبا حكيما وجيشا قويا، في الحقيقة إننا كنا متكئين على سلاح الطيران بشرط أن يستعمل في الوقت المناسب.

جزئيا فإن المكانة المقدسة للجيش في إسرائيل هي ما يجعل من الصعب الاعتراف بالهزيمة، أنت لا تستطيع قول أي شيء عن الجيش. فقط حينما يتعلق الأمر بـ٧ أكتوبر فإنه يسمح لك بشكل محدد بأن تتحدث عن العار ومنذ ذلك الحين أصبحنا أسودا.

إن هزيمتنا لاتعنى أن جنودنا ليسوا جيدين، أو أنهم لم يحققوا انجازا، أو أنهم لم يغامروا بحياتهم، أو أنهم غير مستعدين أن يفعلوا ما هو مطلوب منهم. انه يعنى أن المزج بين القدرات العسكرية وسلوك السياسيين قد أنتج شيئا غير ملائم. البعض سيقفز صارخا (أنت تضر بمعنويات الجنود). في الحقيقة من السهل تفهم ذلك لأنه من الذي سيعلن معارضته للجنود؟ ولذلك فنحن نواصل خداع أنفسنا.

هناك معسكر سياسي يتوقف بقاؤه على وجود (نصر)، هذا المعسكر فقد كل صلة له بالواقع و الحقيقة، وقد عرفنا من هو قائده إنه بينوكيو. فعلى مدار شهور ظل يتحدث عن (نصر كامل)، وأننا (على بعد خطوات من النصر). وعلى مدار شهرين ظل يقول أننا سندخل رفح (فورا) غدا غدا. إننى افضل تصديق نجم تلفزيون الواقع اوهاد بوزاغلو على أن اصدق كلمة واحدة من نتنياهو.

إن النظام المتبع هو المماطلة لأطول وقت ممكن والكذب في نفس الوقت. وقد ظهر احد أتباع نتنياهو على شاشة القناة ١٤ ليعد الشعب بأن النصر في متناول اليد قائلا (أنا على تواصل مع كثير من المواطنين (الذين يسألونني) (هل تخلينا عن دخول رفح). إن رئيس الوزراء قال مرارا وبنفسه أننا سندخل رفح. والأكثر من ذلك انه قال أننا سنفعل ذلك بمفردنا وذلك يتعارض مع موقف الولايات المتحدة، يمكنكم أن تهدأوا، إن ذلك الأمر سيحدث).

تعد رفح أحدث خدعة تحاول الألسنة الناطقة باسم الحكومة أن يخدعونا بها، وأن يجعلونا نعتقد أن النصر أصبح قاب قوسين أو أدنى. وعندما يدخلون رفح فإن الحدث الفعلي سيفقد أهميته. ربما يكون هناك اجتياح وربما هناك شيء محدود في وقت ما قل في مايو، بعد ذلك سيروجون للكذبة القادمة أن كل ما علينا أن نفعله هو .... (اكمل الفراغ) وسيأتي النصر في الطريق، إن الواقع يقول أن أهداف الحرب لن تتحقق . وأن حماس لن يتم القضاء عليها. وأن الرهائن لن تتم إعادتهم عبر الضغط العسكري. وأن الأمن لن يعود.

وكلما تصيح الألسنة الناطقة باسم الحكومة (إننا ننتصر) فإنه يصبح جليا أننا نخسر، الكذب حرفتهم، أصبحت الحياة أقل أمنا مما كان عليه الأمر في ٧ أكتوبر، إن النبذ الدولي لن يتوقف، وبالطبع لن يعود الموتى إلى الحياة، وكذلك لن يعود عدد كبير من الرهائن.

بالنسبة لبعضنا فإن الحياة ستعود لطبيعتها مع خوف ممزوج بالرعب من تكرار وشيك للأمر، وبالنسبة للبعض الأخر منا فإن الحياة لن تعود إلى طبيعتها، وهؤلاء الناس سيعيشون بيننا كالموتى، نحن بحاجة إلى أن نعتاد الواقع الكئيب في وطننا.

تفاصيل أخرى: ص٣

حاييم ليفينسون – ها آرتس
ترجمة بتصرف:
محمد أحمد حسن

«كيما» تعتمد نتائج أعمال الشركة فى العام المالى 2025/2024

الكيميائى عبد المجيد حجازى العضو المنتدب التنفيذي:

الشركة تستهدف إنتاج 24.1 ألف طن أزوت و20 ألف طن نترات أمونيوم للأغراض الصناعية والطبية

اعتمدت الجمعية العمومية لشركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما»، برئاسة الكيميائى محمد زكريا محيى الدين، رئيس مجلس إدارة الشركة القابضة للصناعات الكيماوية، الموازنة التقديرية للعام المالى ٢٠٢٥/٢٠٢٤.

واستعرض المحاسب محمود منتصر رئيس مجلس إدارة شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما»، أهم مستهدفات الشركة خلال العام المالى المقبل، بحضور المحاسب عماد الدين مصطفى، العضو المنتدب التنفيذى للشركة القابضة للصناعات الكيماوية.

فيما تحدث الكيميائى عبد المجيد حجازى العضو المنتدب التنفيذي، عن أهم تفاصيل الخطة وما تعمل الشركة على تنفيذه خلال العام المالى المقبل، وهو العام الرابع والستون لعمر المصنع القائم والعام الخامس لتشغيل المشروع الجديد «كيما».

المشروع القائم كيما «١» لإنتاج «السماد المحبب- نترات الأمونيا»، وأيضا المشروع الجديد «كيما ٢»، لإنتاج «الأمونيا يوريا»، وتم وضع تنبؤات وتقديرات مستقرة للتكاليف والإيرادات من خلال الرؤية المستقبلية حتى يتم إعادة تأهيل نهاية المصانع، من مشروع «حامض النيتريك- نترات الأمونيوم»، وظهر تأثير ذلك فى الموازنة التخطيطية للعام المالى ٢٠٢٥/٢٠٢٤.

وفيما يلى سيتم عرض أهم الأسس التى بنيت عليها الموازنة التخطيطية للمصانع للعام المالى ٢٠٢٥/٢٠٢٤.

أسس إعداد الموازنة:

أولا: الإنتاج:

١- سماد نترات النشادر تركيز ٣٣,٥٪ أزوت المخصوص ونترات الأمونيوم النقية، منخفضة وعالية الكثافة ٣٤.٨٪ وسماد اليوريا ٤٦.٥٪:

لقد وضعت الشركة خطتها لإنتاج ٢٤,١ ألف طن سماد ٣٣.٥٪ أزوت، ٢٠ ألف طن نترات أمونيوم منخفضة وعالية الكثافة ٣٤.٨٪ للأغراض الصناعية والطبية، والإنتاج المكافئ لهم ٤٤,٨٨٠ ألف طن ٥١٩,٧٥٠ الف طن سماد يوريا ٤٦.٥٪ بطاقة ١٠٠٪ من الطاقة القصوى الانتاجية لمصنع اليوريا، و٣٣٦٦٠٠ ألف طن أمونيا سائلة.

يتم حساب أيام التشغيل خلال العام على أساس ٣٣٠ يوم تشغيل.

إنتاج الأمونيا ٣٣٦٦٠٠ طن أمونيا خلال العام المالي، بطاقة ٨٥٪ من الطاقة القصوى الانتاجية لمصنع الأمونيا «٢٦,٤ ألف طن لإنتاج السماد ٣٣.٥٪ ولإنتاج النترات ٣٤.٨٪ و٢٩٧ ألف طن لإنتاج سماد اليوريا ٤٦.٥٪ و١٣,٢ ألف طن للبيع».

متوسط استهلاك الأمونيا ١٠٢٠ طن/ يوم (٨٠ طن أمونيا / يوم بمعدل استهلاك ١,٧) لإنتاج ١٣٦ طن/ يوم سماد مكافئ- ٩٠٠ طن أمونيا / يوم بمعدل استهلاك ١,٧٥) لإنتاج ١٥٧٥ طن/ يوم لإنتاج سماد اليوريا ٤٦.٥٪)، (٤٠ طن أمونيا/ يوم للبيع).

خطة الإنتاج السنوية لجميع المنتجات:

حوالى ٢٤١٠٥ أطنان سماد ٣٣.٥٪ نتروكيما فورت المخصوص بالعناصر الصغرى.

حوالى ٢٠٠٠٠ طن نترات أمونيوم ٣٤.٨٪ منخفضة وعالية الكثافة.

حوالى ٥١٩٧٥٠ طن سماد اليوريا ٤٦.٥٪.

حوالى ٣٣٦٦٠٠ طن أمونيا.

الفيرسيليكون صفر

غبار السيلكا صفر

ثانيا: خطة المبيعات المستهدفة:

السماد المحبب ٣٣.٥٪ ٢٤١٠٥ أطنان سنويا:

تقوم الشركة بإعادة تأهيل قسم السماد لإنتاج السماد المخصوص بالعناصر الصغرى، ما يمكن الشركة من الارتقاء بمستوى منتجاتها من حيث الجودة وإنتاج سماد مطابق للمواصفات لبيعة للسوق المحلي.

نترات الأمونيوم ٣٤.٨٪ ٢٠٠٠٠ طن سنويا:

بذلت الشركة جهودا كبيرة فى سبيل تحسين المواصفات عن طريق الصيانة المكثفة للآلات ومعدات المصانع، حيث يمكن إنتاج منتج مطابق للمواصفات العالمية لبيعه بالأسواق المحلية ٢٠ ألف طن، والشركة لا تألو جهداً فى إجراء الاتصالات لإتمام أكبر صفقات اقتصادية متاحة.

سماد اليوريا ٤٦.٥٪ ٥١٩٧٥٠ طنا سنويا:

قامت الشركة بتنفيذ المشروع الجديد «كيما ٢» مشروع الأمونيا / يوريا لبيع الإنتاج المستهدف من سماد اليوريا ٥١٩٧٥٠ طن سنويا فى عام الموازنة ٢٠٢٥/٢٠٢٤.

١٥٥٩٢٥ ألف طن محلى للجمعيات الزراعية (بنسبة ٣٠٪ من الانتاج)

٣٦٣٨٢٥ ألف طن تصدير للخارج (بنسبة ٧٠٪ من الانتاج)

الأمونيا:

خطة بيع الأمونيا المستهدفة ١٣٢٠٠ طن سنويا فى عام الموازنة ٢٠٢٥/٢٠٢٤، بمعدل ٤٠ طن/ يوم، وذلك لعدم إتمام إعادة تأهيل مصنع كيما «١» حتى تاريخ إعداد الموازنة فالفائض فى إنتاج الأمونيا يتم التصرف فيه بالبيع فى السوق المحلي.

ثالثا: الخطة الاستثمارية للعام المالى ٢٠٢٥/٢٠٢٤:

حسب ما هو موضع تفصيلا بنموذج الاستثمارات فهى لازمة للمحافظة على الطاقة القائمة للمصانع ما أمكن بعد تشغيل ٦٤ عاما، بالإضافة إلى الاستثمارات التى تفرضها قوانين البيئة لمعالجة التلوث- هذا وقد تم الحصول على شهادة الجودة ٩٠٠١ لسنة ٢٠١٥ وشهادة البيئة ١٤٠٠١ لسنة ٢٠١٥، شهادة المطابقة لمتطلبات السلامة والصحة المدنية أيزو ٤٥٠٠١ لسنة ٢٠١٨.

وتم إدراج نصيب عام الموازنة من مشروع إعادة تأهيل مصنع حامض النيتريك ونترات الأمونيوم كيما «١» حيث تم توقيع عقد المشروع مع شركة تكنومنت الإيطالية للتنفيذ.

قالت العرب

رأيتك فى خوابى الماء والقمح محطّمة / رأيتك فى مقاهى الليل خادمة / رأيتك فى شعاع الدمع و الجرح / وأنت الرئة الأخرى بصدرى أنت أنت الصوت فى شفتى وأنت الماء أنت النار.

المشهد
العدد 334 - السنة الثالثة عشر- الأحد 28 أبريل 2024 م - 19 شوّال 1445هـ

ولد فى المنصورة وحصل على الجنسية السعودية وترتبط أسرته بصلات قوية مع أم كلثوم وعبدالوهاب

كتاب يرصد سيرة الطبيب المصري الخاص للملك فيصل وعائلته

د. سيف الدين السمنودي في مستشفى كفر الدوار

د. سيف الدين السمنودي يلاعب ابنه

صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل – رحمه الله

د. سيف الدين السمنودي مع ابنه د. إيهاب السمنودي

والدته آنا شهدية إحدى وصيفات الخديوى توطدت علاقتها بالملكة عفت وساهم ذلك فى دعم وجوده كطبيب للقصر الملكي

السمنودي في إحدى المناسبات مع الملك فهد بن عبدالعزيز – رحمه الله

في أول رحلة للحج بعد قدومه من المنصورة للمملكة العربية السعودية

خاتمة

أحمد نعمة ربي إذ كنت يومًا طبيبًا عاطلاً عن العمل، ثم بدأت بالعمل في محل أبي التجاري بالمنصورة، ثم عملت مقابل قروش معدودة في عيادة خاصة، وبعدها أكرمني الله سبحانه وتعالى، واختار لي ما لم أكن أتوقعه، انتقلت إلى بلاد الحرمين الشريفين وعملت مع مليكها... وسار بي الطريق من خير إلى خير.

أختم بخير الكلام مما قاله الله في كتابه العزيز (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين).

وأتذكر قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين).

د. سيف الدين السمنودي

موسيقار الأجيال سمى شقيقه محمدا واعترض على زواج شقيقته «قدرية» لصغر سنها

يقدم كتاب "الطبيب الإنسان: الدكتور سيف الدين السمنودى طبيب الملك فيصل وعائلته" الصادر عن (دار سطور ــ جدة) توثيقًا مهمًا للحياة الطبية فى المملكة العربية السعودية والتطورات التى لحقت بها منذ الخمسينيات وحتى الألفية الجديدة، كما أنه يكشف عن جانب مهم عن النظام الطبى المتبع فى الأسرة الحاكمة بالمملكة العربية السعودية، وذلك من خلال تتبع سيرة الطبيب المصرى الخاص للملك فيصل ولعائلته لمدة أربعة عقود الدكتور سيف الدين السمنودى ابن المنصورة.

سيرة صوتية

يوضح خالد ربيع السيد محرر الكتاب أنه تمت كتابة سيرة الدكتور الراحل سيف الدين عبدالحميد حسن السمنّودى المولد فى مدينة المنصورة عام ١٩٢٤ والمتوفى عام ٢٠١٧م من واقع تسجيلات صوتية وثق فيها مذكراته، والتى كان قد سجلها فى عام ٢٠٠٧م، وهى منقولة كما رواها، فيما عدا بعض التعديلات اللغوية والمتعلقة بالصياغة إلى الفصحى، دون المساس بالمعنى بأى حال من الأحوال، وتم نقل شهادات بعض الشخصيات القريبة من أقاربه وأصدقائه وزملائه فى العمل والأمراء الذين ربطتهم به صلة قوية بحكم عمله الذى استمر لأكثر من ٤٠ سنة فى الإشراف على الحالة الصحية فى القصر الملكى أيام الملك فيصل رحمه الله، فقد كان رفيقه طيلة مدة حكمه، وطبيبه ومراقب حالته الصحية، المهتم بوزنه وطعامه ومعايير دوائه، طبيب عائلته وحاشيته وخدمه، المؤتمن على صحته وحياته، وبعد رحيله استكمل مسيرته الطبية مع عائلته خاصة الملكة «عفت» رحمها الله التى كان يناديها بـ«العمة».

وصيفة الخديوى

يقع الكتاب فى ٢٣٥ صفحة ويحتوي على مقدمة ومدخل وستة فصول حمل الباب الأول اسم "رحلة الحياة: شبابى ونشأتي" ويسرد فيه السمنودى تفاصيل نشأته فى مدينة المنصورة لأب تاجر يدعى عبدالحميد السمنودى الذى تعود أصوله إلى تركيا حيث جاء أجداده مع الوالى محمد على إلى مصر، وتزوج أبوه فى عام ١٩١٩م من إحدى وصيفات قصر الخديوى عباس حلمى الثانى آنا شهدية التى لم تكن تعرف العربية.

ويكشف السمنودى عن طبيعة وظيفة الوصيفة فى هذا العصر وكيف كان يقع الاختيار عليها، فهو منصب شرفى لا تتقاضى عليه راتبًا ولا يتم اعتماد الوصيفة إلا بعد تدقيق وتمحيص، فالوصيفة ينبغى أن تكون سيدة محترمة، رفيعة الخلق والأدب والعلم، كما تكون حسنة المظهر والسلوك وتجيد التصرف فى المراسم الملكية والبروتوكولات التى يضعها القصر. ونتيجة للأصول التركية لوالدة السمنودى ومولد الأميرة عفت فى تركيا وقدومها إلى المملكة العربية السعودية فى شبابها ولم تكن تجيد العربية وقتها، توطدت العلاقة بين الملكة وبين آنا شهدية لما رأتها، كانت ترحب بها وتستضيفها فى القصر وتتحدثان باللغة التركية لغة البلاد التى ولدا فيها، كما كان ذلك سببًا من الأسباب التى دعمت وجود الدكتور سيف الدين السمنودى كطبيب فى القصر الملكي.

أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب

ويبين السمنودى علاقة عائلته الجيدة بأساطين الفن فى مصر فى القرن العشرين مثل أم كلثوم التى كانت تأتى لزيارتهم فى البيت لتسلم على والده ووالدته فى المنصورة، وكذلك الموسيقار محمد عبدالوهاب الذى كان يزورهم ويحيى حفلات الأفراح الخاصة بالعائلة، حتى أنه فى يوم زواج شقيقته «قدرية» اعترض موسيقار الأجيال على زواجها لأنها لا زالت صغيرة، حسبما قال. واعتذر عن إحياء فرحها لارتباطه بفيلم «يحيا الحب»، وحين ولد شقيق السمنودى الأصغر محمد، سأله والدي: ماذا نسميه؟ فقال: "سموه محمد على اسمي"، وتم ذلك. فكان محمد عبد الوهاب الفنان المفضل لدى السمنودي.

بداية صعبة

فى الباب الثانى " إلى مهبط الوحى وقبلة المسلمين" يرصد الدكتور سيف بداية عمله فى المملكة العربية السعودية

سيف الدين السمنودى عن الملك فيصل: "يتسم بالصبر والعدل والحكمة والفروسية والهدوء والقراءة وكثرة التفكير وحمل هموم الأمة واستشارة أهل الاختصاص والتدين الحقيقى والتواضع والعفو عن الناس واحترام المواعيد"

كطبيب عام ١٩٥٢م والصعوبات القاسية التى واجهها بسبب عمله طبيبًا متنقلًا فى بوادى المملكة الشاسعة، حيث عمل فى بوادى القصيم التى يصف العمل فيها فى ذلك الوقت بالقول: "واجهت فى بادية القصيم الحياة القاسية إلى أبعد حدود القسوة، لم أتعرض فى حياتى لمثل هذه الظروف، كان أقصى ما أفكر فيه هو أن أحافظ على أهم احتياجاتي، أى الطعام والماء والنوم. بمعنى آخر البقاء حيًّا، كنت وزملائى نخشى من البعوض والزواحف والهواء اللافح". ثم انتقل بعدها للعمل فى جدة: كان الوضع الإنسانى فيها لا يختلف كثيرًا عما فى بادية القصيم، سوى أن المياه صارت أنظف، ولكن الصعوبة تكمن فى العيش مع مرضى السل، والاحتكاك والتلامس اليومى مع المصابين به".

ويكشف ذلك الباب مأساوية الوضع الصحى فى المملكة العربية السعودية فى هذه الفترة ووجود مستشفيات بدائية وانتشار الأمراض والأوبئة، مما يبرز قيمة التطور فى القطاع الصحى الذى أصبحت فيه المملكة الآن، بجهود متوالية لملوك السعودية بداية من الملك عبدالعزيز رحمه الله، كما يرصد السمنودى من واقع حياته ومعيشته فى المملكة قائلًا: "المملكة بلد واسع الأرجاء وملك شاسع، يفتقد آنذاك إلى كثير من عناصر نمو الحياة، وحين أتامل كيف تغيرت هذه البلاد فالأمر يبدو أشبه بالمعجزة".

القصر الملكي

فى الباب الثالث "فى رحاب القصر الملكي" يكشف السمنودى عن حياته منذ ١٩٥٦ للعمل كطبيب فى القصر الملكى وقربه من الملك فيصل وأسرته، فيحكى عن لقائه الأول مع ولى العهد وقتها الأمير فيصل صحبة الدكتور رشاد فرعون وزير الصحة السعودي، فكان كلما التفت الأمير لشيء ما يلكزه وزير الصحة فى صدره ويهمس له بصوت مكتوم ويطلب منه أن يقول «طال عمرك، قل: طال عمرك». فقد كانت هذه العبارة جديدة على السمنودي، ولم يعتد عليها فى مصر، أو فى القصيم وجدة، فواصل حديثه مع الأمير دون أن يقولها لأنه لا يفهم المغزى منها، ولأنه لم يكن يجيد طريقة مخاطبة الملوك والأمراء فى ذلك الوقت ويضيف السمنودي: "لكن بعد ذلك الموقف أصبحت عبارة "طال عمرك" التى تحمل معنى الدعاء بطول العمر وفى نفس الوقت تعبر عن التقدير والتوقير لمن تقال له، طبيعية على لساني، وتعودت عليها، بفضل الدكتور رشاد فرعون".

اللقاء الأول

ومن ضمن الحوار الذى دار بين الملك والطبيب فى أول لقاء، أنه سأله عن والده ووالدته بحضرة الملكة عفت آل سعود زوجته، فأجابه أن والده يعمل تاجرًا وأن أمه تركية الأصل، فشعر باستحسان الملكة عفت لذلك، وشعر بأنه نال ثقة إضافية فى هذا اللقاء، وتسلل إلى نفسه شعور بأن الملك وثق به بسبب تلقائيته وعدم تكلفه، ومنح إثر قبوله للعمل كطبيب خاص لولى العهد الجنسية السعودية دون أن يفقد جنسيته المصرية.

تشخيصات خاطئة

ويكشف السمنودى عن الحالة الصحية للملك الفيصل حيث تعرض لمجموعة من التشخيصات الطبية الخاطئة التى أدت إلى إجراء عدة عمليات لم يكن بحاجة إليها أثرت على صحته بشكل كبير، حيث كان يعانى من ورم حميد سبب له الكثير من المتاعب فى معدته وكان يشخص على أنه قرحة معدة، إلا اكتشف بالصدفة أثناء إجراء إحدى العمليات هذا الورم، الذى كان يضغط على الضفيرة العصبية الشمسية فيحدث الآلام التى كان يتكبدها. اكتشفوا ذلك بعد عمليات كلفته فى صحته ثمنًا غاليا. ولو أنهم وفقوا إلى اكتشاف هذا الورم من قبل وأزالوه، لما احتاج إلى عملية التفاغم (آنستومرز) ولا إلى غيرها.

بقى الأمير أكثر من سنتين، بعد العملية، يشعر بهبوط فى القوى وضيق فى التنفس بعد تناول الطعام بساعة، فالعملية بين المعدة والأمعاء، تجعل الطعام يهبط رأسًا إلى الأمعاء، مما يسبب هبوطا مفاجئا، يرافقه شيء من التعرق، وضيق التنفس. لأنه لا يوجد مكان ينتظر فيه الطعام، وعندما ينهى طعامه تراه يريد أن ينام فيذهب فى غيبوبة. كانت مرحلة الغيبوبة تأتيه بعد الأكل وكانت مدتها فى البداية حوالى ثلاثة أرباع الساعة، ثم نقصت إلى نصف ساعة، ثم إلى ربع ساعة، ثم إلى خمس دقائق، وبعدها يصحو، ثم بدأت تزول قليلًا قليلًا. إلى أن بدأت المعدة تصنع معدة ثانية، أى تتمدد شيئا فشيئا فصنعت جيبا، فصار الأكل يبقى فيه برهة من الوقت.

تحمل الأمير كل ذلك بصبر عجيب. ونتيجة للعمليات التى أجريت له خطأ، كان يلتزم في طعامه نظام حمية استمر أكثر من ثمان وعشرين سنة. حيث يبدأ بلحم مشوى أو دجاج، ثم أرز مع خضار مسلوقة، ثم حبة موز أو تفاحة، وربما تناول بعض المهلبية.

الولع بالصيد

ويسرد الطبيب جانبًا من رحلاته مع الملك فيصل وولعه بالصيد "المقناص" فى البرارى الشاسعة، يصطاد الحبارى والأرانب، والغزلان، ومحبته لعبة العرضة تلك اللعبة الشعبية التى أعطاها حياة جديدة وجعل الشعب يعتز بها كما يعتز بعاداته وتقاليده.

وبسبب مقربة السمنودى من الملك بحكم وظيفته ينقل مجموعة من صفات الملك التى رآها بنفسه مثل عدم التسرع، والصبر والعدل والحكمة والفروسية والهدوء، والقراءة، وكثرة التفكير وحمل هموم الأمة، واستشارة أهل الاختصاص، والتدين الحقيقى والتواضع والعفو عن الناس، واحترام المواعيد.

ثم ينتقل السمنودى إلى الحكى عن عالمه مع الملكة عفت ابنة الأمير محمد الثنيان آل سعود، التى طالبته بالاستمرار فى عمله، ويكشف عن دورها التنويرى والرائد وحرصها على نشر التعليم، ففور وصولها إلى المملكة قالت: «دهشت عندما تعرفت عن كثب على الشعب السعودي، فلم أر شابا أو شابة متعلمة. كان سؤالى أين المدارس؟ أين التعليم؟» منذ تلك اللحظة قررت أن تكون امرأة فاعلة فى بلدها الأم، فاتخذت مواقف تصب فى خدمة مجتمعها وبنات جنسها، وعملت على حل مشاكلهن فى مجلس مفتوح، يرحب بالزائرات فى كل أسبوع، لتستمع إلى مطالبهن وتقدم العون للمحتاجات منهن، ومن ثم نقل همومهن ومشاكلهن إلى زوجها الأمير ثم الملك فيما بعد. فقامت بفتح مدرسة للبنات داخل قصرها، وكانت تشرف على كل مدرسة تفتح للبنات داخل البلاد.

ترحيب الأسرة المالكة بوالدته

ويصف السمنودى كيف عوملت والدته من قبل الأسرة الحاكمة فى السعودية عند زياتها لها، ففى أثناء فترة وجوده فى قصر الملك حضرت والدته إلى المملكة لتحج، وتم ذلك مرتين، وقد سعدت الملكة عفت بوجود والدته التركية حيث مثل وجودها فرصة لتتحدث بالتركية بعد زمن طويل، فارتاحت لها، وكذلك الأميرة نورة بنت عبدالعزيز شقيقة الملك، استضافتها عندها فى بيتها فترة من الزمن. قالت له: "أبقها عندى بالبيت وسيكون لها غرفتها الخاصة، وعندما تود أن تراها تفضل عندنا أهلا وسهلا بك". حيث كان وقتها طبيب العائلة ومنهم الأميرة نورة، والأميرة مشاعل، وعائلتهما، فقد اهتموا بوالدة السمنودى آنا شهدية وأكرموها، وحججت برفقتهم.

الطبيب الإنسان

ويروى فى الفصل الرابع "الأب كما خبره أبناؤه" أبناء الدكتور سيف الدين السمنودى "عبير وغادة إيهاب وفيصل" ذكرياتهم مع والدهم داخل البيت، وعن خصاله الطيبة ومساعدته للناس حتى بعد إصابته بالزهايمر، ثم رحيله فى عمر التسعين، ونقل الفصل الخامس مجموعة من شهادات الأصدقاء والأقرباء والذين تعاملوا معه وعرفوه عن قرب، وجاء الفصل الأخيرة فيما يشبه الخاتمة بعنوان "الطبيب الإنسان" لأنه عندما أنشأ عيادته فى بدايات مشواره العملي، فى المنصورة بعد تخرجه لم يكن يهتم بالعائد المادى الذى يدفعه المريض، رغم أنه كان فى مرحلة تأسيس وفى أشد الحاجة للمال، وإذا استشعر بأن أحد المرضى بحاجة إلى المال فإنه كان يعطيه ما يعينه ولا يأخذ منه. فمعظم ما يتقاضاه من عمله كان يمنحه للمرضى، وأثر ذلك على دخله، وأصبحت العيادة لا تحقق له الدخل الذى يمنحه الاستمرارية. لذا حين جاءته الفرصة للسفر إلى السعودية فى بداية الخمسينيات سافر لأنه وجد فرصة العمل دون أن يأخذ مالاً من مرضاه، فوزارة الصحة تمنحه راتبه وتجعله متفرغا للقيام بواجباته.

قراءة: د. عبدالكريم الحجراوي

سيد علي إسماعيل يوثق مسرح حرب أكتوبر 73 من خلال الصحف

يتتبع الدكتور سيد علي إسماعيل في كتابه «مسرح انتصار أكتوبر» الصادر حديثا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب صدى حرب أكتوبر على الحركة المسرحية المصرية في الصحف والجرائد القومية بين أكتوبر ٧٣ وحتى أكتوبر ١٩٧٤م، ويأتي ذلك بمناسبة الاحتفال بانتصارات أكتوبر لـ١٩٧٣في «اليوبيل الذهبي» لهذه الذكرى المجيدة في تاريخ الشعب المصري.

يوثق الكتاب بشكل دقيق للحركة المسرحية المصرية المصاحبة لانتصارات أكتوبر طوال العام الأول للحرب. ويأتي هذا التوثيق لهذه الأحداث لأول مرة، بسبب عدم وجود كتب اهتمت بتوثيق تفاصيل العام الأول من مسرح انتصار أكتوبر، كما أن مجلة المسرح المصرية لم تواكب هذه الأحداث مسرحيًّا كونها كانت متوقفة ولا تصدر في هذه الفترة.

ويشير إسماعيل في مقدمة كتابه أنه على الرغم من مرور خمسين عامًا على انتصار السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ إلا أن مسرحه غير موجود، وغير مكتوب، وغير منشور، وغير معروض، مضيفًا أنك لو كنت معاصرًا لهذه الحرب وحاولت أن تتذكر أسماء المسرحيات المنشورة أو المعروضة عن هذا الانتصار خلال العام الأول من أكتوبر ١٩٧٣ إلى أكتوبر ١٩٧٤، لن تسعفك ذاكرتك باسم مسرحية واحدة منشورة في هذا العام، وربما تتذكر أسماء بعض المسرحيات التي عُرضت في العام الأول، ولن تسعفك ذاكرتك بعدد مساوٍ لعدد أصابع اليد الواحدة لأسماء هذه العروض.

ويخلص إسماعيل معلومة قد تكون صادمة في مقدمة كتابه بأنه لا توجد أسماء لمسرحيات منشورة أو معروضة بعد انتصار أكتوبر بسنوات – وحتى الآن – تعبر بحق عن هذا الانتصار الكبير؛ لسبب بسيط وهو عدم وجود مثل هذه المسرحيات التي لم تُكتب منذ انتصار أكتوبر ١٩٧٣ وحتى الآن .. ولن تُكتب مستقبلًا.

ويضيف إسماعيل أنه فترة رئاسته للمركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية عام ٢٠١٥ قام بتشجيع مجموعة من الشباب الباحثين للكتابة مقدمات أو قراءات لبعض مسرحيات انتصار أكتوبر، ومن هؤلاء الشباب: «أحمد عادل» الذي كتب عن مسرحية «السويس ٢٤» لفتحي رأفت. و«علي داود» الذي كتب عن مسرحية «العبور» لجلال العشري. و«أسماء صلاح» التي كتبت عن مسرحية «يا صباح النصر يا مصر» لحسين محمود إسماعيل. و«رنا عبد القوي» التي كتبت عن مسرحيتي «في حب مصر» لسمير عبد الباقي، ومسرحية «يوم ستة شهر عشرة سنة ٧٣» تأليف جماعي. و«دعاء الألفي» التي كتبت عن ثلاث مسرحيات هي: «رصاصة .. شظية .. حفنة رمال» لسعيد عبدالغني، ومسرحية «عبور» لحمدي عباس، ومسرحية «هيلا هيلا يا مصر» للسيد طليب. أما «حسن الحلوجي» فكان له نصيب الأسد، حيث كتب عن خمس مسرحيات، هي: «الطريق للبوابة التاسعة» لأحمد رفعت متولي، ومسرحية «أنشودة سيناء» لماجد يوسف وسمير عبدالباقي، ومسرحية «حدث في القنطرة شرق» لمحمد سالم وزغلول الصيفي، ومسرحية «دموع الأخطبوط» لعلي عبد المنعم ومحمود السبكي، ومسرحية «وطلع النهار» لإبراهيم الحفني قطب.

ويؤكد إسماعيل أن هناك نصوصا أخرى لم يحالفها الحظ من القراءة أو الكتابة عنها، كونها ما زالت مخطوطة ولم تنشر حتى الآن، مشيرًا إلى أن هذه النصوص تفتح المجال أمام الباحثين لكتابة أبحاث ورسائل علمية حول مسرح أكتوبر المجهول. ومن هذه المسرحيات «البركان» لأنور عبد الدايم، «الحب والحرب» لشوقي خميس، «العمر لحظة» ليوسف السباعي، «القرار» لسعيد عبد الغني، «الكل يعبرونها والعة» لنبيل بدران، «اليوم الكبير» لكريم المخزنجي، « انتقام السماء» لصلاح الدين أحمد عوض، «حُراس الحياة» لمحمد الشناوي، «سقوط بارليف» لهارون هاشم رشيد، «سنين الصبر» لعبد الحي عبده سرحان، «عبور الفلاحين أو ملحمة العبور» لمحمد محمود عبد العال، «عفاريت من ورق» لصلاح راتب، «عمار يا مصر » لمحمد توفيق، «عيلة ٦ أكتوبر أو كارت للذكرى» لحمدي العدوي غيث، «قاهرة السادات: مصر ٢٠٠٠» لمحمد إبراهيم أبو العلا، «كفاح الأحرار» لمحمد رشاد عبد الرحمن.

د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 334 - السنة الثالثة عشر- الأحد 28 أبريل 2024 م – 19 شوّال 1445هـ

قالت العرب

رأيتك فى جبال الشوك راعية بلا أغنام / مطاردة و فى الأطلال / وكنت
حديقتى وأنا غريب الدّار / أدقّ الباب يا قلبى على قلبى يقوم الباب والشبّاك
والإسمنت و الأحجار.

بعد 203 أيام حرب كسر الإرادة لم تفلح والمقاومة لا تنهزم

دولة الاحتلال مخيرة بين الركوع و «تايتانيك»

يوفال نوح هراري.. أحد أهم المفكرين فى إسرائيل: غطرستنا ورغبتنا فى الانتقام ستلحق بنا كارثة تاريخية

الجنرال المتقاعد اسحق بريك: على الإسرائيليين التخلص من هذه القيادة التى تقودهم وتضعهم على متن سفينة تايتانيك إسرائيلية

السفير الفرنسى السابق فى تل أبيب: إسرائيل لم تحقق أياً من أهدافها و حرب ٧ أكتوبر هى أكبر هزيمة استراتيجية فى تاريخ إسرائيل

وقت كتابة هذا التقرير يكون قد مر على بدء أعنف عدوان همجى تشنه دولة الاحتلال الإسرائيلى منذ إنشائها مئتين وثلاثة أيام، عربيا تختلف قراءة النتائج ، هناك من يرى فى الصمود الأسطورى لأهلنا فى غزة إحياء لقضية فلسطين ووضعها على أجندة العالم كله رغما عن أنفه رغم الخذلان العربى والإسلامى الجماعى وأن النصر صبر ساعة، وآخرون لا يرون منها إلا مشاهد الدمار وجثث الضحايا وأنات الجرحى والمتضورين جوعا ويتهمون حماس وفصائل المقاومة بأنها سبب كل المصائب، متعامين عن حقيقة أن المأساة الفلسطينية مستمرة منذ أكثر من ٧٦ عاما وأن أجيالا كاملة دفعت أثمانا وسطرت بطولات لابد من أن يأتى يوم لحصد ثمارها، وأن حماس لم تفعل غير ممارسة حق طبيعى تقره كل المواثيق الدولية فى مواجهة احتلال تجاوز النازية والفاشية بمراحل.

لكن ماذا عن الجانب الآخر وكيف يقيم نتائج ماحدث؟

بداية وبحسب صحيفة يديعوت أحرونوت وصل إجمالى خسائر جيش الاحتلال الإسرائيلى لـ٧٣ مليار دولار، منذ بداية الحرب على قطاع غزة، بحوالى ٢٧٠ مليون دولار خسائر يومية بسبب الإنفاق العسكري، ورغم التعتيم لم يجد جيش الاحتلال بدا من الاعتراف بجزء من الخسائرفأعلن سقوط ٦٠٤ من جنود وجنود الاحتياط وضباط الأمن المحليين، وإصابة ٣ آلاف و١٩٣ آخرين منذ ٧ أكتوبر. ومن بين هؤلاء ٢٦٠ جنديا لقوا حتفهم وأصيب ١٥٥٢ خلال العمليات البرية فى غزة.

وحسب مسؤولين أميركيين فعلى الرغم من الخسائر الفادحة التى تكبدتها حماس، فإن الكثير من قياداتها العليا فى غزة لا تزال فى مكانها، مختبئة فى شبكة واسعة تحت الأرض من الأنفاق ومراكز العمليات، وهى صاحبة القرار فى مفاوضات الرهائن. وهذه الأنفاق ستسمح لحماس بالبقاء وإعادة تشكيل نفسها بمجرد توقف القتال. يقول دوجلاس لندن، وهو موظف متقاعد فى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بعدما قضى ٣٤ عاما فيها: «إن المقاومة الفلسطينية لإسرائيل، والتى تتجلى فى حماس والجماعات المسلحة الأخرى، هى فكرة بقدر ما هى مجموعة مادية وملموسة من الناس.. وعلى الرغم من الضرر الكبير الذى قد تلحقه إسرائيل بحماس، إلا أنها لا تزال تتمتع بالقدرة والمرونة والتمويل وطابور طويل من الأشخاص المرجح أن ينتظروا التسجيل والانضمام بعد كل القتال وكل الدمار وكل الخسائر فى الأرواح».

وفى تقييم استخباراتى سنوى صدر فى مارس الماضي، تبدى وكالات التجسس الأمريكية شكوكها فى قدرة إسرائيل على تدمير حماس حقًا، وقالت: «من المحتمل أن تواجه إسرائيل مقاومة مسلحة مستمرة من حماس لسنوات قادمة، وسيكافح الجيش من أجل تحييد البنية التحتية تحت الأرض لحماس، والتى تسمح للمقاتلين بالاختباء واستعادة قوتهم ومفاجأة القوات الإسرائيلية».

نتكبد هزيمة تاريخية

يوفال نوح هراري، أحد أهم المفكرين فى إسرائيل يكتب فى مقال: «فى حال لم نسارع إلى إحداث تحول درامتيكى على مسار سلوكنا، فأن غطرستنا واستلابنا للانتقام كما يحدث فى غزة ستفضى إلى تكبدنا هزيمة تاريخية» ف «بعد ستة أشهر من الحرب على غزة، لم نعد الأسرى ولم نلحق هزيمة بحماس، ما حدث هو أن إسرائيل تحولت إلى دولة منبوذة فى العالم بسبب ما تفعله فى غزة..نحن لا نملك الموارد حتى نتمكن من البقاء فى ظل مقاطعة العالم لنا.. فالخيار المتاح أمامنا أن نتحول – وفق السيناريو الأكثر تفاؤلا – إلى نسخة شرق أوسطية من كوريا الشمالية».

ويتساءل هراري: "حتى متى تستطيع إسرائيل الاعتماد فى بقائها وفى حروبها على دعم الغرب ودول عربية! وكم من الوقت تستطيع أن تبقى دولة منبوذة؟.. «فالذين اعتادوا على إمكانية حرق بلدة فلسطينية انتقاما لقتل إسرائيليين اثنين يرون إمكانية تدمير كل القطاع انتقاما للسابع من أكتوبر أمرا مفروغا منه»

يضيف يوفال نوح هراري: «إسرائيل تواجه هزيمة تاريخية، وهى الثمرة المرة لسنوات من السياسات الكارثية. إذا أعطت الآن الأولوية للانتقام على حساب مصالحها الخاصة، فإنها ستعرض نفسها والمنطقة بأكملها لخطر جسيم. وفى الأيام المقبلة، يتعين على إسرائيل أن تتخذ قرارات سياسية تاريخية، يمكن أن تشكل مصيرها ومصير المنطقة بأكملها لأجيال قادمة. ولسوء الحظ، أثبت بنيامين نتنياهو وشركاؤه السياسيون مرارا وتكرارا أنهم غير مؤهلين لاتخاذ مثل هذه القرارات. إن السياسات التى اتبعوها لسنوات عديدة دفعت إسرائيل إلى حافة الدمار. وحتى الآن، لم يبدوا أى ندم على أخطائهم الماضية، ولم يظهروا أى ميل لتغيير الاتجاه. وإذا استمروا فى تشكيل السياسة، فإنهم سوف يقودوننا والشرق الأوسط برمته إلى الهلاك».

ويتابع قائلا: «هناك معيار رئيسى واحد يمكن من خلاله قياس النجاح فى الحرب: هل تم تحقيق الأهداف السياسية؟ فى أعقاب عملية ٧ أكتوبر، كانت إسرائيل فى حاجة إلى تحرير الرهائن ونزع سلاح حماس. لكن حكومة نتنياهو تجاهلت كل هذه الأهداف، وركزت بدلا من ذلك على الانتقام. فقد فشلت فى تأمين إطلاق سراح كافة الرهائن، ولم تنزع سلاح حماس. والأسوأ من ذلك أنها تسببت عمدا فى إلحاق

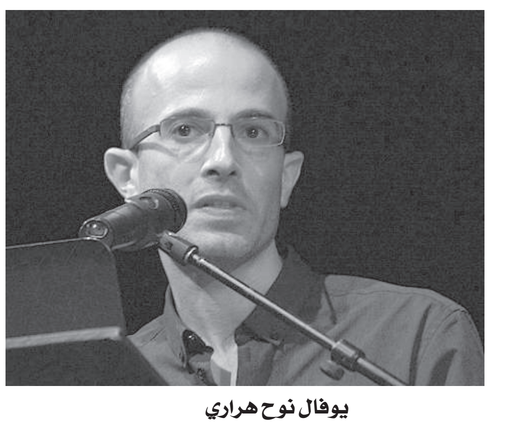

يوفال نوح هراري

كارثة إنسانية بحياة ٢,٣ مليون فلسطينى فى قطاع غزة، وبهذا تقويض الأساس الأخلاقى والجغرافى السياسى لوجود إسرائيل». «فبعد ستة أشهر من الحرب، ما زال العديد من الرهائن فى الأسر، وما زالت حماس واقفة على قدميها، ولكن قطاع غزة مدمر، وقد قتل عدة آلاف من أهله، وأصبح أغلب سكانه الآن لاجئين يعانون الجوع. ومع غزة، فقد أصبحت مكانة إسرائيل الدولية فى حالة خراب أيضا».

فخ التاريخ

مصير نتانياهو المنتظر

هاآرتس

فخ التاريخ

وفى كتابه «إسرائيل فخ التاريخ» تحدث جيرار أرو الدبلوماسى والسفير الفرنسى السابق لدى تل أبيب عن الحرب الأطول والأكثر دموية فى تاريخ الكيان الصهيوني، وأكد أن إسرائيل لم تحقق أيا من أهدافها الأساسية، مثل إطلاق سراح الرهائن وتدمير حماس عسكريًا والقضاء على قادتها، وضمان أمن الحدود الجنوبية والشمالية لكيان الاحتلال. و أن حرب ٧ أكتوبر هى أكبر هزيمة استراتيجية فى تاريخ إسرائيل، وهذه الهزيمة تهدد وجود الكيان الصهيوني. وأوضح أن هذا الهجوم كسر عقيدة المناعة اللاقهرية لكيان الاحتلال، وأصبح من الصعب استعادة مصداقيته، حيث تأثر أمنه الأساسى وفقد قدرته على الردع.

ويزيد مسؤول أميركى لتايمز أوف إسرائيل على كلام السفير الفرنسى قائلا: «لن يقوم أحد فى المنطقة بإنقاذ إسرائيل فى غزة إذا لم يكن ذلك فى سياق مبادرة دبلوماسية تحاول واشنطن الترويج لها، ولا يمكنك هزيمة حماس فقط من خلال الوسائل العسكرية»، كما نقلت صحيفة نيويورك تايمز عن مسؤولين إسرائيليين قولهم: «إن هزيمة حماس ستستغرق سنوات» وهذا إعلان مبطن بالهزيمة.

أما الكاتب الإسرائيلى «آلون مزراحي» فكان أكثر صراحة ووضوحا حيث قال: «حركة حماس غيرت التاريخ إلى الأبد، فهى لم تهزم إسرائيل فحسب، بل هزمت الغرب بأكمله ، لقد أكسبت حماس القضية الفلسطينية قلوبا من جميع أنحاء العالم، واحتفظت الحركة بكل أسير أسرته تقريبا قبل ٦ شهور، ولم تستسلم لأية ضغوطات».

يضفى المصداقية على ماسبق دعوة وزير الأمن القومى المتطرف إيتمار بن غفير الأربعاء (٤/٢٤)، إلى حل كابينيت الحرب الإسرائيلى فى ظل فشله فى إدارة الحرب على قطاع غزة والمواجهات الحدودية المتصاعدة مع «حزب الله». يقول بن غفير فى منشور على حسابه فى منصة «إكس» أعلن فيه غيظه من «صور الآلاف وهم يستحمون على شاطئ البحر فى قطاع غزة»، ويضيف:»حان الوقت لتفكيك كابينيت الهزيمة وإيقاف سياسة الاحتواء والتعقل وأن نظهر لأعدائنا أن صاحب البيت قد جن جنونه. طالما استمرت السياسة الحالية لكابينيت الهزيمة، فإن النصر المطلق سيصبح بعيد المنال أكثر فأكثر».

أما الجنرال الإسرائيلى المتقاعد إسحاق بريك فطالب إسرائيل الاعتراف بالهزيمة، وقال: يجب أن نسحب قواتنا من غزة لأنه من المستحيل هزيمة كل قوى المقاومة فى القطاع. والاستيلاء على رفح «لن يساعدنا»

ويقول بريك، فى مقال نشرته صحيفة "معاريف"، إنه على إسرائيل الإعلان عن وقف الحرب، فقد خسرتها، وسبق أن سحبت قواتها منها، ولا توجد لديها القدرة على إبادتهم نهائيا، ويتابع: "عليكم الاعتراف بالحقيقة بأننا خسرنا هذه الحرب، مثلما أنه على الإسرائيليين بذل الجهود للتخلص من هذه القيادة التى تقودهم وتضعهم على متن سفينة تايتانيك إسرائيلية" .

وحسب مايراه رون بن يشاى خبير الشؤون الأمنية والاستراتيجية فى صحيفة «يديعوت أحرونوت»، فإن

بن كسبيت : أصبحنا مشابهين جداً لشمشون فى أشياء كثيرة – الغطرسة والعمى والانتقام والانتحار – لدرجة أنه من المخيف جداً أن نتذكر البطل المتعجرف!

الإسرائيليون «عالقون» ووصلوا فى هذه الحرب إلى باب موصود استراتيجيا»، ويضيف: «إسرائيل مجبَرة على التنازل عن موقفها المتصلب تجاه القضية الفلسطينية والتجاوب مع المطلب الأمريكي. فمن دون التعاون الاستراتيجى مع إدارة الرئيس جو بايدن، فإننا لن نظل عالقين فى طريق دون مخرج فحسب، بل إننا سننهى الحرب بهزيمة».

ويضيف رون بن يشاى «إن الفصح اليهودي، هذا العام، هو أحد الأعياد المصيرية فى تاريخ إسرائيل، فهى تجد نفسها فى ذروة حرب وجودية متعددة الجبهات، وفى الوقت نفسه، عالقة ومتعثرة، وتواجه طريقاً مسدوداً فى كل جبهة من الجبهات الست المهمة بالنسبة إليها. وجهود إسرائيل المبذولة لتحرير الرهائن عالقة لأنها فقدت، بمبادرة من إسرائيل، كل أوراق الضغط الفعالة ضد قائد "حماس" فى غزة يحيى السنوار».

مشون

أما الكاتب فى صحيفة معاريف بن كسبيت فيقول: «لقد قال شمشون: (سأنتقم انتقامة واحدة... ولتمت نفسى مع الفلسطينيين). منذ ٧ أكتوبر، أصبحنا مشابهين جداً لشمشون فى أشياء كثيرة – الغطرسة، والعمى، والانتقام، والانتحار – لدرجة أنه من المخيف جداً أن نتذكر البطل المتعجرف الذى انهار المنزل على رأسه وقتل روحه فى سبيل قتل الفلسطينيين».

ويحذر أورى مسغاف الكاتب فى "هآرتس" «من هزيمة كبيرة لإسرائيل بحال لم يسقط الإسرائيليون حكومتهم. عيد الفصح، اليوم، هو الأكثر حزناً من بين الأعياد التى يذكرها، فلا حرية، بل عبودية، فيما بقى ١٣٣ إسرائيلياً فى الأسر، وهزيمة فى كل الجبهات.. رجعت من زيارة للجليل، وقد اهتزت كل مشاعري، فالشمال، كما فى جنوب البلاد، مهجور، ويتعرّض للهجمات والإهمال، وتحولت مدينة كريات شمونة لمدينة أشباح». ويرجح مسغاف «أن ينفجر كل شيء قريباً، عشية يوم الاستقلال (النكبة) الوشيك، بعدما تبيّنت الصورة للواقع المأزوم بعد ٢٠٠ يوم من الحرب على غزة دون تحقيق أى من أهدافها».

أما محرر الشؤون العسكرية فى صحيفة «هآرتس» عاموس هارئيل، الذى يقول إنه قبيل اليوم الـ ٢٠٠ للحرب ضد "حماس"، والتى تمدّدت إلى جبهات أخرى، لا مفرّ من الحديث عن إخفاق خطِر فى وضع الأمن القومي.

تقرير – هيباتيا موسى

الصين تستولى على العالم خيال علمى أم حقيقة وشيكة؟

هيمنة الصين على العالم.. صداع مزمن فى رأس الولايات المتحدة

ازدادت فى السنوات الأخيرة، التكهنات حول نية الصين السيطرة على العالم، ومما زاد من هذه التكهنات، صعود الصين كقوة عظمى اقتصادية وعسكرية، بالإضافة إلى سياستها الخارجية المتنامية على مستوى دول العالم.

فقد شهدت الصين نموًا اقتصاديًا هائلاً خلال العقود القليلة الماضية، لتصبح ثانى أكبر اقتصاد فى العالم، يُعزى هذا النمو إلى استراتيجية تصنيع قوية وتركيز على الصادرات، يُمكّنها من الاستثمار فى جيشها وتكنولوجياتها، وتعزيز نفوذها على الصعيد العالمي.

التفوق العسكري

تُعد الصين واحدة من أسرع الدول نموًا من الناحية العسكرية فى العالم، فقد زادت الصين بشكل كبير من ميزانيتها الدفاعية فى السنوات الأخيرة، وقامت بتطوير تكنولوجيات عسكرية متقدمة، حتى احتل جيشها المرتبة الثالثة على مستوى أقوى جيوش العالم بعد الولايات المتحدة وروسيا وفق مؤشر «غلوبال فاير باور» لعام ٢٠٢٣، إذ يصل عدد القوات إلى ١,٦ مليون جندي، كما أنه الثانى من حيث الميزانية بعد الولايات المتحدة؛ مما يشكل تهديدًا للدول الأخرى.

وأعلنت الصين مؤخرًا عن إطلاق قوة حرب المعلومات لدعم دفاعاتها العسكرية، بعد تقدم البلاد فى تقنيات الصواريخ والأسلحة النووية والذكاء الاصطناعي، وهو قرارٌ استراتيجى اتخذته الصين لتعزيز حماية المعلومات؛ بحسب ما أفاد به الرئيس الصيني.

وبدأت الصين التى لم تخض حربًا منذ عام ١٩٧٩م، فى بناء ترسانات أمن المعلومات فى إطار حملة تحديث وإضفاء طابع احترافى فى الأمن السيبرانى لجيشها، مهمة هذه القوة العسكرية هى إحباط أى هجمات سيبرانية والتحقيق فيها، وتحمّل كافة المسؤوليات فى تعزيز وتطوير وتسليح الجيش الكترونيًا، والانتصار فى الحروب.

النمو الاقتصادي

وشهد الاقتصاد الصينى خلال العقود الأربعة الماضية نموًا هائلًا جعله ثانى أكبر اقتصاد فى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وحقق الاقتصاد الصينى معدلات نمو سنوية متوسطية فوق ٩٪ خلال العقود الأربعة الماضية، ففى عام ٢٠٢٣ بلغ النمو الاقتصادى للصين ٣٪، فيما حددت هدف النمو الاقتصادى لعام ٢٠٢٤ بنسبة ٥٪، وبلغ نصيب الفرد من الدخل القابل للتصرف فى الصين حوالى ٥٥١١ دولارًا أمريكيًا فى عام ٢٠٢٣، بزيادة ٦,٣٪.

وركزت الصين على تنمية قطاعها الصناعى فأصبحت أكبر مُصنّع فى العالم، واستثمرت بشكل كبير فى البنية التحتية، مثل الطرق السريعة والسكك الحديدية وموانئ البحر، كما اتبعت منذ عام ١٩٧٨م سياسة الانفتاح الاقتصادى التى شملت خصخصة بعض الشركات وجذب الاستثمار الأجنبي.

كما أصبحت الصين لاعباً رئيسيًا على الساحة الدولية مما زاد من نفوذها فى المنظمات الدولية، وعلاقاتها الثنائية المتنامية مع الدول الأخرى، بما يؤثر على القواعد والأعراف الدولية لصالحها.

وتُعدّ الصين من أكبر الدول المستثمرة فى العالم، حيث تُقدّر استثماراتها الخارجية المباشرة فى عام ٢٠٢٣ بأكثر من ١,٨ تريليون دولار أمريكي، وتتوزع هذه الاستثمارات على مختلف أنحاء العالم، مع تركيز خاص على الدول النامية.

وتتنوع مجالات الاستثمار الصينية لتشمل مختلف القطاعات الاقتصادية، مع تركيز خاص على البنية التحتية، والطاقة، والموارد الطبيعية، والتكنولوجيا والزراعة.

استثمارات الصين فى مصر

تُعد الصين من أهم الدول المستثمرة فى مصر، ويأتى هذا التنافس فى سياق سعى الصين لتوسيع نفوذها الاقتصادى فى أفريقيا وإقامة مبادرة الحزام والطريق، ومما يدفع الصين للاستثمار فى مصر؛ أن مصر تتمتع بموقع جغرافى متميز على مفترق طرق التجارة العالمية مما يجعلها بوابة إلى الأسواق الإفريقية والأوروبية.

وكان السفير الصينى فى مصر ليا ليتشيانغ، أكد خلال مؤتمر صحفى عُقد فى مارس المنقضي؛ أن الصين أكبر شريك تجارى لمصر منذ ١١ عامًا متتالية، وأن بلاده تعد من أكثر الدول نشاطًا وأسرعها نموًا فى الاستثمار فى مصر.

وتُقدّر الاستثمارات الصينية حالياً بأكثر من ١١ مليار دولار أمريكي، وتتنوع هذه الاستثمارات لتشمل مختلف القطاعات الاقتصادية، بما فى ذلك الطاقة؛ فتُعد الصين من أكبر المستثمرين فى مشاريع الطاقة فى مصر، خاصة مشاريع الطاقة المتجددة مثل طاقة الرياح والطاقة الشمسية، كما تُشارك فى العديد من مشاريع البنية التحتية الكبرى فى مصر، مثل مشاريع الطرق السريعة والموانئ والسكك الحديدية، وتُقيم الصين منطقة اقتصادية خاصة فى قناة السويس، تهدف إلى جذب المزيد من الاستثمارات الصينية وتشجيع التعاون التجارى بين البلدين.

مخاوف بشأن هيمنة الصين

تخشى بعض الدول من أن تؤدى ممارسات الصين التجارية العدوانية، مثل الإغراق وإعانات الصادرات، إلى إلحاق الضرر باقتصاداتها، وتتعرض الصين لانتقادات واسعة النطاق بسبب سجلها فى مجال حقوق الإنسان، بما فى ذلك قمع الحريات السياسية واحتجاز الأقليات الدينية، كما يثير تنامى القوة العسكرية للصين قلق الولايات المتحدة والدول الحليفة لها فى المنطقة.

وفى تصريحاته الأخيرة، عبّر وزير الخارجية الأمريكى أنتونى بلينكن عن قلقه إزاء دعم الصين العسكرى لروسيا، وذلك بعدما أعلنت الصين عن زيادة ميزانيتها العسكرية بشكل كبير، مؤكدًا أن ذلك يمثل تهديدًا للولايات المتحدة وحلفائها، معلناً زيارته للصين هذا الأسبوع لبحث سُبل تهدئة التوتر بين البلدين فيما يتعلق بالتجارة العالمية والصراعات الإقليمية والحرب بين روسيا وأوكرانيا، وذلك بعدما دعا الرئيس الأمريكى جو بايدن، إلى فرض رسوم جمركية عالية على المنتجات المعدنية الصينية، وردّت الصين بالمثل.

ويؤثر هذا الخلاف بين الولايات المتحدة والصين، سلبًا على الاقتصاد العالمي، كما يهدد باندلاع حرب باردة جديدة بين البلدين.

وتشير التصريحات الأخيرة بين الولايات المتحدة والصين، إلى أن هذه التوترات من المرجّح أن تستمر فى التصاعد مستقبلا.

التحديات التى تواجهها

تواجه الصين عددًا من التحديات الداخلية التى يمكن أن تُعيق طموحاتها العالمية، وتشمل هذه التحديات عدم المساواة الاقتصادية المتزايدة، والفساد، والتهديدات البيئية، وإذا لم تتمكن الصين من معالجة هذه التحديات، فقد تُصبح غير مستقرة داخليًا، مما يُقلل من قدرتها على السيطرة على العالم، كما أنه من المرجّح أن تواجه مقاومة كبيرة من الدول الأخرى إذا حاولت السيطرة على العالم، حيث تُشكل الولايات المتحدة وحلفاؤها، مثل الدول الأوروبية واليابان، قوة عسكرية واقتصادية كبيرة يمكن أن تُعيق أى تقدم صيني.

الآفاق المستقبلية

لا تزال نوايا الصين الحقيقية غير واضحة، فمن الممكن أن تسعى الصين إلى الهيمنة العالمية، أو أنها قد تكون راضية عن دور أكثر تواضعًا فى النظام الدولي، ويُعد عدم اليقين هذا أحد العوامل الرئيسية التى تُعيق تقييم إمكانية سيطرة الصين على العالم.

من غير الممكن التنبؤ بشكل قاطع ما إذا كانت الصين ستسيطر على العالم أم لا، فتُشير بعض العوامل إلى أنها لديها القدرة والإمكانيات لتحقيق ذلك، بينما تُشير عوامل أخرى إلى أن هناك عقبات كبيرة أمام تحقيق هذا الهدف، ومن الممكن أن تسعى الصين إلى لعب دور أكثر نشاطًا فى الشؤون العالمية، مع تعزيز مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية.

ومع ذلك، من الممكن أيضًا أن تظل الصين أكثر تركيزًا على شؤونها الداخلية، مع تجنب التدخل فى النزاعات الدولية.

فى النهاية، سيعتمد مستقبل الصين على خياراتها الداخلية والديناميكيات الدولية المتغيرة.

تقرير - إيمان جمعة

المشهد
العدد 334 - السنة الثالثة عشر- الأحد 28 أبريل 2024 م - 19 شوّال 1445هـ

قالت العرب

كلامك كالسنونو طار من بيتى /فهاجر باب منزلنا وعتبتنا
الخريفيّة وراءك/ حيث شاء الشوق وانكسرت مرايانا / فصار
الحزن ألفين وللمنا شظايا الصوت / لم نتقن سوى مرثية الوطن

الدكتور جمال زهران أستاذ العلوم السياسية فى حوار ساخن لـ « المشهد »

« طوفان الأقصى » أعاد هيكلة المنطقة وإسرائيل فى طريقها للزوال

المشروع الناصرى هو الأهم والأقوى فى مناهضة المشروع الصهيونى بالمنطقة

الرئيس السيسى لن يعين نائباً له ومدبولى باقٍ فى رئاسة الحكومة والتغييرات المقبلة شكلية

الإجابه إيران وموقف مصر الرسمى مجرد علاقات عامة أو محايد

الدكتور جمال زهران كاتب سياسى مصرى وأستاذ للعلوم السياسية بجامعة بورسعيد، شارك بالعديد من الأبحاث والدراسات العلمية فى منتديات (داخل مصر وخارجها) وقدم فيها أكثر من مئه بحث علمي، خبير بمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام وأستاذ زائر بأكاديمية ناصر العسكرية العليا وأستاذ محاضر بمعهد العلوم الإستراتيجية بالقاهرة. «المشهد» أجْرَت معه هذا الحوار:

● حدثنا عن نتائج وتداعيات طوفان الأقصى حتى الآن؟

– حرب السابع من أكتوبر – طوفان الاقصى – هى التى أطلقت نقطه التحول الكبيرة فى إعادة هيكلة الإقليم بالكامل، وهناك بعض قصار النظر الذين ينظرون إلى الأمور باعتبارها أحَداثا عادية، من جانبى منذ البداية وأنا أنظر إليها نظرة واسعة وشمولية، من حيث أنه حدث فى الوقت الذى كنا نحتفل بالذكرى الخمسين لحرب ٦ اكتوبر وكان الكيان الصهيونى يحتفل بانتصاره فى أكتوبر وكان هذا شيء من الاستفزاز لنا ، وتلك الحرب رغم النصر فيها، لم تخلق واقعا جديدا بالنسبة للإقليم لأنها أوقعت مصر فى شبكة التبعية للكيان الصهيونى وأمريكا والاستعمار، وهذا ماترتب عليه المعاهدة المصرية الاسرائيلية ، وتم تقييد الدور المصرى منذ ذلك الوقت وأصبحت ما هى إلا علاقات عامة، وليس لها ما يتفق مع تاريخ ومكانة مصر، مصر ذات المرجعية التاريخية وليس جمال عبد الناصر فقط بل محمد على وحتشيبسوت وهى سيدة حكمت مصر فترة من الفترات التاريخية منذ ما يقرب من ٥٠٠٠ سنه، وكانت تفكر كيف توفر العيش والأمن بالدولة المصرية، لأن مصر مستهدفة منذ قديم الزمان ، لذلك استولت حتشبسوت على السودان واثيوبيا وأوغندا والهضبة واحتلت الصومال وباب المندب واليمن إلى الشام، ومعها فلسطين وسوريا ولبنان وأرض الحجاز، ونصف ليبيا ايضا وما يحكم مصر فى مختلف المراحل التاريخية، اذ لم يكن الجيش فى عقيدته الاحتلال ، لكن هناك إلزام ان يكون لديك سيطرة وهيمنة على تلك الدول لانها تسمى بالجوار الجغرافي، وما حدث فى ٦ اكتوبر عام ٧٣ من مساعدات مختلفة من الدول العربية ، يدل ذلك على العروبة المصرية، وكان لابد أن يؤدى إلى تحرير فلسطين ولكن أدى الأمر بعد كامب ديفيد إلى التبعية، والسادات تجاهل وجود قبول عربي، واستحب على أن يعمل حركة زعامية بمفرده، فنتج عن ذلك ضياع السلاح والمال وقبل حرب ٧ اكتوبر – طوفان الأقصى – دخلت قضية فلسطين وضع النسيان، طوفان الاقصى هو نقطة تحول خطيرة فى مسيرة القضية الفلسطينية التى وصلت لمرحلة النسيان الاقليمى والدولي، والتآمر بين بنيامين نتنياهو وشركائه فى نشر التطبيع مع الدول الخليجية ، وكشفت ٧ أكتوبر جانبا آخر هو إمكانية تكرار المفاجأة الاستراتيجية التى تعلموها من حرب ٦ اكتوبر وأيضا ضعف أجهزة المخابرات بالكيان الصهيوني، حيث تم كشف عوراته وجيشه وكسر أسطورة الجيش الذى لا يقهرمجددا .

● ما رأيك فى رد فعل الكيان الصهيونى على طوفان الاقصى؟

– أولا إسرائيل فى طريقها إلى الزوال ، وما حدث خلال الأشهر الستة الماضية يؤكد أن إسرائيل فى بداية نهايتها حيث جاء رد فعل الكيان الصهيونى بأنه لم يقاتل المقاومة بل المدنيين العُزل، والملاحظات على الحرب المستمرة نحو ٢٠٠ يوم دون انقطاع أنهم قتلوا ودمروا وخربوا وقاموا بتشتيت الفلسطينين وهدم المنازل – ما يقرب من ٦٠٪ من جميع مبانى غزة ومؤسساتها ومراكز الخدمة من المستشفيات والتعليم- وقتلوا نحو ٣٥ ألف فلسطينى وأصابوا ٧٥ ألفا، وهذه سلسلة من جرائم الإبادة سيحاسب عليها كل عنصر فى حكومة نتنياهو أمام التاريخ أولا وسيحاكم أمام المحكمة الدولية يوما ما، ورغم ما حدث فهو يكشف صمود شعب غزة والمقاومة، وطوفان الاقصى بدا كى لا ينتهى إلا لتحقيق النصر الكامل وتحرير فلسطين وبيت المقدس وهى حرب استنزاف العدو الصهيوني، وهو يقتل والشعب يتحمل ويصمد ولكن المقاومة تستنزفه.

● ما تحليلك للخطاب السياسى لإسماعيل هنية؟

– الخطاب كان عن بداية المعركة ولم يتوقف، ولن يتوقف الا بتحرير بيت المقدس، فبالتالى تحليلى يتركز على الاستمرارية لأنها أساس تحقيق الهدف ، فعند توقف المقاومة سيتوقف تحقيق الهدف، ولهذا أقول إن قوة المقاومة فى الاستمرارية، ونتوجه الى شيئين هما الدول الداعمة «للكيان الصهيوني» الذى أراه مشروعا أمريكيا استعماريا، وتم توريده بعد الحرب العالمية الثانية وزرعه لتحقيق هدفين، أولهما ألا يتحقق مشروع الوحدة العربية الذى كان السبب والدافع له هو الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وكانوا يخافون منه كثيرا ، حتى عندما ظهر اسمه من جديد قالوا لن نسمح بوجوده مره اخرى، والهدف الثانى ألا يحدث تقدم فى المنطقة واستمرار السيطرة عليها بالكامل.

● ماهى الخطوات العملية لتحرير فلسطين فى رايك؟

– أول خطوة فى تحرير فلسطين، هى توحيد جميع المنظمات الفلسطينية التى تبلغ نحو ٢٢ منظمة، والثانية بدء فتح ساحات لتخفيف العبء عن غزة لاستنزاف الجيش الصهيونى وفتح جبهات مختلفة، ومنها جنوب لبنان وسوريا فى الجولان واليمن والجبهة العراقية وغلق طريق باب المندب، وللأسف توجد نظم عربية خادعة تعمل فى خدمة الكيان الصهيونى وتحاول إنشاء طريق برى آخر بدلا من باب المندب، وهناك انكشاف للأنظمة التى تعمل لدى الكيان وبهدف حماية نفسها تنخرط فى مشروع التبعية للاستعمار ، وهذه الصورة الأخيرة التى أصبحنا عليها الآن.

● ما تداعيات الرد الإيرانى على إسرائيل بعد قصف القنصلية الايرانية فى دمشق؟

– أهم نقطة فى موضوع الكيان الصهيونى هى استراتيجيته، القائمة على الانفراد بجبهة واحدة ويركز عليها لإحداث انتصار وهذه قاعدته، فعندما قامت مصر بالتنسيق مع سوريا لمجابهته قبيل حرب ٦٧ شنوا هجوما استباقيا على ثلاث جبهات واحتلوا سيناء والجولان، وكان ذلك نتيجة الأخطاء وغياب الوعى لدينا، ولكن الاستراتيجية بعد تلك الحرب أصبحت عدم تمكن جبهتين من التوحد ضده، ومع ذلك تفاجأ العدو الصهيونى بحرب ٧ اكتوبر، والجبهة اللبنانية أثبتت أنه غير قادر على تحقيق النصر حتى إذا كان على جبهة واحدة، عقب الاستراتيجية السالفة ذكرها، وعند احتلال لبنان استطاعت بنفسها تحرير دولتها، وأصبحت منذ ذلك حائط صد للكيان الصهيوني، وتصور أنه سينتصر على الفلسطينيين ولكنه راى أن مواجهتهم شرسة، فقام بمواجهة رئيس محور المقاومة وهى إيران لتحقيق هدفين، فضرب القنصلية الايرانية، التى يوجد بها سبع قيادات كبرى من الحرس الثورى الإيرانى بسوريا، والاعتداء على أرض ايرانية، وكان الهدف الآخر هو الدخول فى مناقشة معها لاختبارها وتخويف كل الأنظمة العربية، وهذه رسالة للمطبعين العرب تدعوهم للاستسلام للمشروع الصهيونى الامريكي.

وايران عند ضرب قنصليتها فى دمشق كان أمامها احتمالان، سكوتها إلى وقت معين تحت فكرة الصبر الاستراتيجى أو أن تقوم بالرد، وكنت من أنصار أن إيران ستوجه ضربة عسكرية بمختلف الاشكال للكيان الصهيوني، وقد حدث ذلك بالفعل، وهذا الحدث سيبقى تاريخيًا وقوه الدولة الايرانية انكشفت هنا، والقدرة العسكريه للجيش يجعلها رقم ١١ على مستوى العالم، وذلك بدراستنا العسكرية والاستراتيجية، بينما العدو الصهيونى يحتل المرتبه ١٧ عسكريا .

● ماهى نتائج الضربة الايرانية على الكيان الإسرائيلي؟

– الضربة العسكرية وجهت رسالة للمطبعين العرب، بأننا من الممكن أن نضرب الكيان وآن الاوان ان تتخلصوا من تلك التبعية عديمة المعنى، والرد الايرانى أحرج المطبعين العرب وهز هيبة الكيان وأسطورة الجيش لا يقهر، كما أعلنت صحيفة أمريكية ، ورصد أحد مراكز البحث أن ٥٠٪ من القذائف الايرانية على الكيان قد اجتازت كل قواعد الدفاع الجوى الصهيونية، وأصابت أكثر من قاعدة من ضمنها قاعدة نفتالين، التى أطلقت منها طائرات لضرب القنصلية الايرانية وأيضا مركز الاستخبارات الصهيونية المتواجد فى جبل الشيخ فى الجولان، كما أدت – كما يؤكد رئيس الأركان الإيرانى توقف إلى توقف أحد المطارات لما حدث به من أضرار حتى الآن.

● كيف ترى الموقف الرسمى المصرى حتى الآن من طوفان الأقصى ومن الرد الايراني؟

– باختصار أرى أن موقف مصر الرسمى لا يرتقى أن يكون أكثر من علاقات عامة ، او قل موقفا محايدا .

● ننتقل إلى موضوع داخلى .. هل تتوقع تعيين نائب لرئيس الجمهورية عبدالفتاح السيسى ؟

– لا أتوقع ذلك، فالرئيس السيسى لن يقوم بعمل أى تغييرات على الإطلاق والرئيس «مستريح» مع هذه النخبة من الحكومة والأشخاص المتواجدين على الساحة، وليس لديه حاجة إلى ضخ دماء جديدة فى شرايين الحكومة ، لانها من الممكن أن تعكر صفو المشروع الرأسمالى المتوحش الذى يحكمنا، والذى يتمثل فى صندوق النقد والبنك الدولى وصناديقه المتواجدة فى العالم التى تدعم بالقروض، وأدت لدخولنا فى تلك الدوامة التى لن نستطيع الخروج منها، فبالتالى ذلك المشروع والمتواجدين قاموا بالواجب ولا يلزم تعيين نائب للرئيس.

● هل تتوقع تغيير رئيس الحكومة د. مصطفى مدبولي؟

– لا أتوقع تغيير رئيس الحكومة ، مدبولى رجل مسالم يتسم بالطيبة، وأيضا يؤدى دوره كما ينبغى فى ظل دعم النظام الرأسمالي، لأننى ضد ذلك النظام وأميل إلى التوجه الاشتراكى الناصرى الذى يقوم على فكرة العدالة الاجتماعية، والآن يوجد تمييز كثير فى كل شيء ولا توجد عدالة حتى فى الأزمات توجد مناطق تنقطع بها الكهرباء، واخرى لا يحدث بها ذلك، وهذا يسهم فى التفكيك المجتمعي، وأتوقع تغيير بعض الوزراء الذين لا يمثلون أهمية كبيرة فى النظام الرأسمالي، لتحسين الشكل الخارجى فقط، وهناك انتهاك للدستور والشعار اليوم هو عدم احترامه، وأطالب النظام أن يحترم النصوص الدستورية.

● ما هى الآليات التى تقترحها لإحياء المشروع الناصرى بشكل عام؟

– أولا دعنى أقول أن المشروع الناصرى هو المشروع الأهم والأقوى فى مناهضة المشروع الصهيونى فى المنطقة، المشروع الناصرى هو مشروع متماسك وليس نظريا ، بل وجدت ترجمة له فى الواقع الفعلى نحو ١٨ سنة منذ ثورة ٥٢ وحتى عام ٧٣ فى مرحلة السادات، وعند الحرب تم التخطيط لضرب المشروع الناصرى تدريجيا وحتى الآن، من حيث التخلص من شركات القطاع العام وتصفيتها مثل شركات الغزل والنسيج، والحديد والصلب أيضا، وتوجد حالة من العداء فى الدولة العميقة بمصر ضد المشروع الناصرى وإنجازاته، ولكننا نعلم أن كل ذلك نتاج ضغوط خارجية بقيادة السعودية ضد مصر، ولابد من تغيير السياسات الاقتصادية والاجتماعية المطروحة وأن تشعر الدولة الجمهور بالحماية الاجتماعية، وليس أن تعطيهم أموال صدقه، بل إنها حقوق والدولة لا تتصدق، وتفقد وظيفتها عند ترك مواطنين دون حماية، ولكن يحب أن يكون التعليم والعلاج بالمجان، وتوفير فرص عمل، هنا سيشعرون بالانتماء للمجتمع، ولذلك لابد من حرية الرأى وحرية ممارسة الأحزاب لنشاطها السياسى ، أيضا ومنذ بداية عهد السيسى طرحت مشروع إعادة تنظيم الحياة السياسية، وقمت بكتابته وطرح أفكار نتيجة خوفنا على المجتمع والبلد والسياسات المتبعة حاليا، لأنها ستؤدى الى مصير مجهول وعنف وعدم استقرار.

● ما هى الاقتراحات للوصول إلى دولة قوية ومتماسكة ؟

– لابد من عودة التعليم والعلاج بالمجان بأسس جديدة، ويلزم على الدولة أن تلعب دورا كبير فى استعادة السيطرة على موارد الدولة وليس الصندوق السيادي، ووقف الإنفاق على مشروعات غير مجدية مثل القطارات والمونوريل وغيرها، لابد أن نقوم بإعادة التوازن للبناء الاجتماعى وتقوية الطبقة الوسطى، وهى عبارة عن قاعدتى مثلثين مقلوبين، يوجد فى الأعلى أثرياء جداً وفى الأسفل فقراء جداً، والطبقة الوسطى كلما اتسعت تضمن استقرار المجتمع بشكل حقيقي.

أيضا نشر الحرية السياسية، ولابد أن يكون المشروع بجناحين، جناح اقتصادى بسياسات اقتصادية جديدة، وليس بتغييرات للحكومة، لأنها أصبحت بلا جدوى، والجناح الثانى هو السياسى عن طريق حركة سياسية واسعة وأن ترفع الدولة يدها عن الأحزاب السياسية والأمن ايضا، السياسة والأمن لا يجتمعان لأن كل شيء وله وظيفته، وكل من يرتكب خطأ فادحا يمثل جريمة، لابد من إيقافه ولابد من التخلص من الاتهامات المعلبة وتجاوزها وتعظيم حرية التعبير عن الرأي، وليس إتهامهم عند التعبير أمام نقابتهم، مثلما حدث مؤخرا من إعتقال لبعض المواطنين أمام نقابة الصحفيين لمجرد أنهم هتفوا بالتضامن مع الشعب الفلسطينى فى حربه ضد الكيان الصهيوني.

حوار - إبراهيم خالد

تخفيف الأحمال وحل أزمة السكر وتطبيق الحد الأدنى للأجور فى القطاع الخاص مطالب المواطنين من الحكومة

دائمًا ما تنتاب المواطنين مع انقضاء الأعياد حالة من التواكل الحذر، فبطبيعة الحال يميل البعض إلى الحديث حول العودة للعمل والاستيقاظ مبكرًا، فيما يتطرق آخرون إلى ما ينتظرهم من قرارات حكومية يغلب عليه طابع الإلزام، كما هو الحال فى تحديد جدول تخفيف أحمال التيار الكهربائي، وموعد انتهاء أزمة السكر، إضافة إلى موعد تطبيق الحد الأدنى للأجور بالقطاع الخاص.

«المشهد» ترصد أبرز المطالب والأزمات التى يبحث المواطن عن حلول لها بعد أن انتهت إجازة عيد الفطر.

جدول تخفيف الأحمال

أول الملفات التى يجب على حكومة مدبولي، التصدى لها الأزمة الخاصة بتخفيف أحمال التيار الكهربائي، فيما أعلنت كل محافظة، على الانتظام بصورة دورية على انقطاع الكهرباء لمدة ساعتين لكل مجموعة، وذلك بدءًا من الحادية عشر صباحًا حتى الخامسة من مساء كل يوم، بينما لم يصدر أى بيان رسمى من وزارة الكهرباء فى هذا الشأن حتى الآن.

وأرجعت مصادر، أسباب تنفيذ خطة تخفيف الأحمال إلى نقص الوقود الخاص بمحطات إنتاج الكهرباء وبالتالى لا يغطى احتياجات المواطنين من الكهرباء، إلى جانب عدم الترشيد فى الاستهلاك، وكذلك سرقات التيار الكهربائى بالشوارع والمنازل والأسواق.

وكانت الحكومة قد أرجأت جدول تخفيف الأحمال إلى ما بعد انتهاء شهر رمضان المعظم وإجازة عيد الفطر، لتواصل تنفيذه بدءًا من أول ايام العمل بعد الإجازة، ولمدة ساعتين يوميًا، وهى الخطة الاستثنائية التى أقرها مجلس الوزراء.

وفى مطلع يناير الماضي، أعلن جهاز تنظيم مرفق الكهرباء فى مصر زيادة أسعار الكهرباء بداية من يناير ٢٠٢٤، وتعديل أسعار شرائح الاستهلاك السابقة، إلى جانب تغيير خطة تخفيف أحمال التيار الكهربائى لتصبح مقتصرة على ساعات النهار.

ومن خلال خاصية الخط الساخن (١٢١) لأعطال الكهرباء، أتاحت وزارة الكهرباء أرقامًا للتواصل معها والإبلاغ عن الأعطال والمشكلات التى تواجه المواطنين

● متى تنتهى أزمة السكر؟

ملف آخر يشغل بال أكثر من ١٠٠ مليون مصري، وهو البحث عن إجابة قاطعة لتساؤل: متى تنتهى أزمة السكر؟، بعد أن وصل سعر الكيلو الواحد فى بعض الأوقات نحو ٤٠ جنيهًا وكان غير متوفر بالأسواق.

مع تبعات تلك الأزمة التى أصدرت المحكمة العسكرية، على إثرها حكمها بمعاقبة مستشار وزير التموين بالسجن المشدد ١٨ عامًا وتغريمه ١,٥٨٠ مليون جنيه مصرى و١٤ ألف دولار أميركى مع عزله من منصبه، وكذا مصادرة الأموال والأصول العقارية المضبوطة والمتحصلات الناتجة عن الجريمة، كما أصدرت حكمها بمعاقبة مدير عام مكتب رئيس إحدى شركات السكر بالسجن ٧ سنوات وعزله من وظيفته، ومعاقبة أصحاب شركات خاصة بالسجن ١٠ سنوات بتهمة التربح وحجب السلع عن الأسواق.

وفى محاولة للاقتراب أكثر من الإجابة على هذا التساؤل، أكد أحمد الوكيل، رئيس الاتحاد العام للغرف التجارية، انخفاض أسعار عدد كبير من السلع، خاصة فى السلاسل التجارية، مشيرًا إلى أنه فيما يتعلق بمشكلة "السكر" كان يفترض أن تنتهى تمامًا مع منتصف الشهر ، وذلك فى ظل توافر كميات كبيرة منه، منوها إلى أن آليات السوق تعود لطبيعتها حاليًا، وأنه مع المزيد من توافر السلع ستنخفض الأسعار أكثر.

وقال مدبولي، إن الحكومة تتابع وترصد موقف انخفاض الأسعار، مضيفًا: "سنتعامل مع أى تحد، والمهم أن تنخفض الأسعار، ويشعر بهذا المواطن، تنفيذا لتوجيهات رئيس الجمهورية فى هذا الشأن". وشدد مدبولى فى وقت سابق، على أهمية أن تكون هناك موجة انخفاضات أخرى فى الأسعار، خاصّة أن الأمور حاليًا مُستقرة من حيث توافر العملة الأجنبية، ويتم تلبية أى مطالب بشأن الإفراج عن السلع من الجهاز المصرفي.

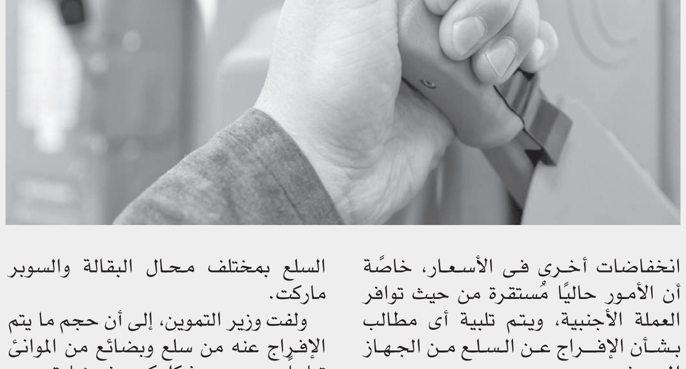

من جانبه، نوه وزير التموين والتجارة الداخلية إلى أننا سنشهد تباعاً خلال الفترة المقبلة حدوث انخفاضات فى أسعار السلع بمختلف محال البقالة والسوبر ماركت.

ولفت وزير التموين، إلى أن حجم ما يتم الإفراج عنه من سلع وبضائع من الموانئ تباعا، سيسهم وبشكل كبير فى زيادة حجم المعروض من السلع بالأسواق وإحداث توازن كبير فى الأسعار، مطمئنا الجميع أن انخفاضات السلع ستزيد بعد العيد.

تطبيق الحد الأدنى للأجور فى القطاع الخاص

سؤال آخر يشغل قطاعا عريضا من العاملين فى القطاع الخاص، خاصة بعد تأكيد الرئيس السيسى تطبيق الحد الأدنى للأجور مطلع مايو القادم.

فمن المقرر تطبيق الحد الأدنى للأجور فى القطاع الخاص بعد الزيادة الجديدة إلى ٦٠٠٠ بدءًا من شهر مايو المقبل ٢٠٢٤، وأكدت د. هالة السعيد، فى وقت سابق، أن رفع الحد الأدنى للأجور يأتى فى إطار الحرص على تحقيق مصلحة العاملين، خاصة مع المستجدات الأخيرة والتغيرات الاقتصادية داخليًا وخارجيًا.

وكان الحد الأدنى للأجور للعاملين بالقطاع الخاص وصل لأول مرة إلى ٢٤٠٠ جنيه فى شهر يناير ٢٠٢٢. ثم تم رفعه إلى ٢٧٠٠ جنيه فى يناير ٢٠٢٣ ، وإلى ٣٠٠٠ جنيه فى يوليو ٢٠٢٣ و٣٥٠٠ جنيه فى يناير ٢٠٢٤، ثم وصل إلى ٦ آلاف جنيه، شاملة كافة عناصر الأجر، متضمنا حصة صاحب العمل فى الاشتراك التأميني.

كانت الجريدة الرسمية قد نشرت قرار المجلس الأعلى للأجور الخاص بتحديد الحد الأدنى لأجور القطاع الخاص عند ٦٠٠٠ جنيه شهريا .

وجاء فى مضمون القرار أنه يكون الحد الأدنى للأجر بالقطاع الخاص ٦٠٠٠ جنيه (ستة آلاف جنيه مصرى فقط لا غير، وذلك اعتبارا من ١/٥/٢٠٢٤، ومحسوبا على أساس الأجر المنصوص عليه فى البند (ج) من المادة (١) من قانون العمل شاملا حصة صاحب العمل فى اشتراكات التأمينات الاجتماعية.

المادة الثانية

حال تعرض المنشاة لظروف اقتصادية يتعذر معها الوفاء بالحد الأدنى للأجر، يجوز لها أن تتقدم بطلب الاستثناء من الالتزام المشار إليه بالمادة الأولى طبقا للقواعد والإجراءات الموجودة على الموقع الرسمى لكل من وزارتى التخطيط والتنمية الاقتصادية والعمل فى موعد غايته ١٥ مايو من عام ٢٠٢٤ على أن يكون ذلك عن طريق الاتحادات التابعة لها .

تقرير - إبراهيم خالد

قالت العرب

سننزعها معا فى صدر جيتار / وفوق سطوح نكبتنا /
سنعزفها لأقمار مشوهّة و أحجار / ولكنيّ نسيت نسيت
يا مجهولة الصوت / رحيلك أصدأ الجيتار أم صمتي.

المشهد

العدد 334 - السنة الثالثة عشر- الأحد 28 أبريل 2024 م – 19 شوّال 1445هـ

عمار على حسن: اعتبار القضية الفلسطينية صراعا دينيا يخدم أهداف الاحتلال

انقلب العالم رأسًا على عقب بعد عملية طوفان الأقصى، وعادت قضية فلسطين إلى الواجهة مرة أخرى بعد أن ظن الكيان الإسرائيلى أنه قضى عليها تمامًا وأخذ يفاخر بتطبيعه مع بعض البلدان العربية دون أن يضع أى اعتبار لفلسطين، حتى انقلب السحر على الساحر بما فعلته المقاومة فى السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، لتثبت للعالم بأسره وهمه إذا ظن أن هناك سلام سوف يتحقق مالم تحل قضية فلسطين العالقة منذ أكثر من ٧٥ عامًا، هذا الحوار مع الباحث السياسى والأديب الكبير عمار على حسن يفتح أفقا للتفكير فى أصداء الطوفان وأهم الخسائر الإستراتيجية التى مُنى بها الكيان، وكيف استطاعت المقاومة زعزعة السردية الإسرائيلية فى الغرب، ويعرض توقعاته لمآلات هذه الحرب المستمرة منذ أكثر من ٧ أشهر. ولماذا يفضل حل الدولة الواحدة فى فلسطين المحتلة؟ وتعرية الموقف الغربى المتناقض فى علاقته مع إسرائيل وفيما يلى نص هذا الحوار:

لو رفع الفلسطينيون مطلب "الدولة الواحدة" سيضعون إسرائيل فى مأزق شديد أمام العالم

حل الدولة الواحدة يبدد الدعاية الإسرائيلية التى تسوقها للعالم بأن المقاومة تريد إبادة اليهود

الأموال التى أُنفقت والجهود التى بُذلَت وسط المثقفين لدفعهم للتخلى عن القضية الفلسطينية فشلت كاملة

هناك قطاع من اليهود يعتبر قيام إسرائيل خطيئة دينية وسياسية من الأساس

طوفان الأقصى كشفت أكذوبة الدولة الحامية لشعبها بعد قهر جيش الكيان وظهور تهالكه للعلن

من الضرورى فتح نوافذ التعامل مع فلسطينيى ٤٨ الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية وعدم اعتبار ذلك تطبيعًا

تحول الرأى العام العالمى ضد إسرائيل خسارة كبيرة لها ولم تعهده بهذا الزخم منذ إنشائها عام 1948

إسرائيل تساوقت مع فكرة «حل الدولتين» دون اقتناع لتكسب به وقتًا وتعاطفًا غربيًا، وتستعمله ستارًا يخفى نواياها الحقيقية

●بوصفك مثقفًا كبيرا كيف تقيم موقف المثقفين العرب حيال ما يجرى فى فلسطين؟

– موقف أغلب المثقفين العرب مشرف لاسيما من أصدروا بيانًا ساندوا فيه المقاومة الفلسطينية، واعتبروا طوفان الأقصى نتاج ظلم وقهر طويلين، ودعوا مثقفى العالم إلى أن يتصدوا للعدوان الإسرائيلي، ويدافعوا عن الحقوق الفلسطينية المهضومة.

وأهمية هذا الموقف أنه جاء فى وقت كان هناك من يظن أن الأموال التى أنفقت، والجهود التى بذلت، وسط المثقفين لجعلهم يتخلون عن القضية الفلسطينية قد نجحت فى إزاحتها كى لا تكون قضية العرب المركزية.

●يهمش الكثيرون البعد الثقافى فى فهم طبيعة الصراع مع الكيان الصهيوني، فكيف ترى ذلك؟

– هذا التهميش هو خطأ شديد، فالثقافة كانت العامل المنسى دومًا الذى لا يحضر إلا إذا عجز الباحثون عن تفسير ظاهرة سياسية أو اقتصادية ما، فيرجعونها إلى أسباب ثقافية ترتبط بمعارف الناس والقيم التى تضبط سلوكهم، لكنها صارت عاملاً أساسيًا فى التفسير خلال العقود الأخيرة.

إهمال البعد الثقافى فى فهم طبيعة القضية الفلسطينية، أو التفكير فى مساراتها ومآلاتها، خطأ شديد، لأن إسرائيل قامت أساسًا على ذرائع ثقافية مرتبطة بتأويلات نفعية للنص التوراتى عن أرض الميعاد، وفى المقابل يتكئ قطاع من الفلسطينيين على تصورات مناهضة، أو تسهم فى تعبئهم خلال الكفاح ضد الاحتلال».

فإسرائيل تحاول أن تضفى على القضية الفلسطينية طابعًا يجعل منها "صراع هويات دينية" وهذا أمر يجب الحذر من الانسياق ورائه، بل الرد عليه بإظهار الجانب الإنسانى للقضية باعتبارها كفاحا من أجل تحقيق المصير، ونضالا ضد احتلال استيطاني.

●لماذا يجب الحذر من جعل القضية الفلسطينية صراعا دينيا؟

– لعلك ترى معى أن الحرب الدائرة على غزة الآن أظهرت بوضوح أن قطاعًا من اليهود يقفون ضد الاعتداءات الإسرائيلية، بل بينهم من يعتبر قيام إسرائيل خطيئة دينية وسياسية من الأساس، وإذا كان هناك مسيحيون إنجيليون يساندون إسرائيل لأسباب تتعلق بإيمانهم ببعض تأويلات العهد القديم فهناك مسيحيون من الإنجيلية المشيخية لا يؤمنون بهذا، وخرج ملايين الكاثوليك فى أوروبا والولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية فى مظاهرات رافضة للاعتداء على الفلسطينيين.

ويجب أن يمد الفلسطينيون، ومعهم الشعوب العربية المؤيدة لهم، أيديهم إلى اليهود والمسيحيين وأتباع كافة المعتقدات وحتى اللادينيين والملحدين الذين يتعاطفون مع حقوق الشعب الفلسطينى لأسباب إنسانية. مع ضرورة فتح نوافذ التعامل مع فلسطينيى ٤٨ الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية، وعدم اعتبار ذلك تطبيعا.

●استطاعت المقاومة فى طوفان الأقصى كسر الصورة النمطية التى رسمتها إسرائيل حول نفسها عسكريًا بأنها دولة لا تقهر وأنها الجيش الأكثر أخلاقية فى العالم؟

– أعاد «طوفان الأقصى» تشكيل صورة إسرائيل، فبات العالم يعى جيدًا أنها تمارس «الاحتلال التقليدي» الذى استمر قرونا فى الحقب الاستعمارية، وكانت البشرية تظن أنها فارقت هذا الدرب.

فقد صورت إسرائيل نفسها لمحيطها العربى على أنها وحش كاسر، لا يمكن مواجهته، فى الوقت الذى كانت ترسم لنفسها صورة مختلفة فى الغرب، على أنها حمل وديع وسط "قطعان من الذئاب الجائعة"، معولة على الصورة النمطية للعربى فى ذهن الغرب، والتى لا تعدو أن تكون إنشاء محرفا ومزيفا لإحن القرون الوسطى حسبما ذهب إدوارد سعيد فى كتابه "الاستشراق».

ورغم أن بعض الباحثين والمفكرين العرب قد انتبهوا إلى لعبة المبالغة فى القدرات لتركيع الخصوم، مثلما فعل عبد الوهاب المسيري، فإن الأغلبية من العرب ظلوا على حالهم القديمة، مستسلمين للدعايات الإسرائيلية فى الغالب الأعم، بل كان من بينهم من يغذى هذا الشعور، سواء عن قصد، أو عن جهالة، أو لامبالاة، وأحيانا للتنصل من تبعات المواجهة.

●لماذا لم تنطل هذه البروباجندا الإسرائيلية التى ذكرت على الفلسطينيين؟

– لم تنطل عليهم لأنهم وحدهم الفلسطينيون، ورغم الصدمة المروعة التى حدثت لهم أيام القتل والتهجير وبعده، راحوا يرون الأمر على حقيقته، دون مبالغة، وهى مسألة وفرها لهم الاقتراب الدائم والاحتكاك اليومى بالإسرائيليين، والذى أمدهم بعدة مزايا فى وقت واحد هي: اعتياد التعامل مع الإيذاء ثم التحايل عليه أو مواجهته، واكتشاف نقاط الضعف فى المجتمع الإسرائيلي، والمعرفة العميقة بشخصية اليهودي، باعتبار أن إسرائيل أعلنت نفسها دولة لليهود فقط.

فاكتسب الفلسطينيون مناعة بمرور الوقت، مثلما يحدث فى الجوانب البيولوجية للكائنات الحية، وصاروا أكثر قدرة على الاعتماد على الذات فى الدفاع عن أنفسهم، بعد أن ظلوا زمنا طويلاً يعتمدون على مساندة العرب عسكريًّا لقضيتهم.

●اعتمدت إسرائيل فى دعايتها على أنها ملتزمة باستراتيجية حماية الفرد، فهل هذه العقيدة ظلت صامدة بعد طوفان الأقصى؟

– هذا سؤال مهم ويحتاج إلى شيء من التفصيل والتغيرات التى لحقت بهذه الاستراتيجية تعد من أهم مكاسب طوفان الأقصى على المدى الطويل، حيث تعهدت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على الدوام بتوفير الأمان للأفراد، وبات راسخا لدى هؤلاء أن واحدة من الغايات الكبرى للدولة هى شعور الفرد بالاطمئنان أينما كان، فى حله وترحاله، داخل البلاد أو خارجها، وفى الحرب والسلم، لاسيما مع إطلاق يد المواطن اليهودى فى التعامل مع «الأغيار»، سواء كانوا الفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة أو بين عرب ١٩٤٨، أو حتى فى المحيط الإقليمى العربي.

وعاش الجندى الإسرائيلى سواء كان على قوة الجيش أم فى الاحتياطي، زمنا طويلا يؤمن بأن الدولة لن تتركه، إن وقع فى الأسر، حتى لو خاضت حربًا كاملة، مثلما حدث فى يوليو ٢٠٠٦ ضد حزب الله، أو دخلت مفاوضات شاقة فى سبيل استعادته، مثلما حدث مع الجندى شاليط الذى أسرته حركة حماس. وحتى لو قتل الإسرائيلى ودفن بعيدا فإن رفاته يظل مؤرقا للحكومة حتى تستعيده ليدفن فى إسرائيل. وهو حال قتله فى ميدان معركة تتكفل الدولة بصرف معاش مناسب لأهله، يضمن لهم عيشا ماديًّا لائقًا.

●لماذا ألزمت إسرائيل نفسها بهذاالسلوك؟

– بالتأكيد لذلك السلوك أسباب تفسره، أولها: ضيق المخزن البشري: فإسرائيل أعلنت نفسها دولة لليهود، وهؤلاء قلة فى العالم كله. وثانيها: صناعة الدولة الجاذبة: حيث تسوق إسرائيل نفسها بين اليهود باعتبارها الدولة التى تحمى الذى يختارها منهم وطنا له. وثالث الأسباب: صناعة الحكومة النافذة: فكل حكومة إسرائيلية حريصة على تعزيز شرعيتها وشعبيتها، وهذا يجعلها تعمل على إنجاز أشياء مادية ليهود إسرائيل خصوصًا، تقع فى قلبها مسألة حماية الفرد. والسبب الرابع: الحفاظ على التماسك الاجتماعي: فمن المشتركات التى يؤمن بها المواطنون اليهود فى إسرائيل أن الدولة، بجيشها وشرطتها وأمنها، لا تتوانى فى حماية كل فرد.

●وما الذى تغير بعد الطوفان؟

– تغير الكثير، كانت هذه العقيدة سارية فى رسوخ يوم انطلاق «طوفان الأقصى» فى السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، ليس لدى الإسرائيليين فحسب، بل إن المقاومة الفلسطينية نفسها كانت تدرك هذا جيدًا، وتبنى جزءا من تكتيكها القتالى عليه، وإلا ما أقدمت على التخطيط لخطف مجموعة من الأسرى، ومساومة تل أبيب على استعادتهم فى مقابل تصفير سجونها من آلاف الأسرى الفلسطينيين.

فمنذ الوهلة الأولى ظهرت الحكومة الإسرائيلية الحالية مستعدة للتخلى عن هذه العقيدة، ولو مرحليًا، فى سبيل تضميد الجرج الغائر الذى أصابها جراء عملية عسكرية كشفت أكذوبة الدولة الحامية، بعد قهر الجيش وإظهار تهالكه، وكشف جهاز الاستخبارات وإثبات فشله، وتعرية الأمن الداخلى وتبيان ضعفه.

منذ البداية جرى نقاش حاد فى إسرائيل عن تطبيق "بروتوكول هانيبال"، الذى يعنى إمكانية التضحية حتى بالأسرى فى سبيل عدم لى ذراع الدولة بإجبارها على الدخول فى تفاوض بشأنهم، والذهاب إلى هجوم عسكرى واسع لاستعادتهم عنوة دون قيد ولا شرط.

وظهر فى مختلف وسائل الإعلام الإسرائيلية من يتحدثون عن ضرورة توجيه ضربة قاصمة للمقاومة الفلسطينية حتى لو أدى ذلك إلى قتل الأسرى جميعا. وهذا التوجه إن كان قد قوبل باعتراض أهالى الأسرى، أو أهالى بعض الجنود الذين تم حشدهم إلى معركة غزة، فإن أصوات هؤلاء ضاعت فى ضجيج الراغبين فى الإفراط فى العنف ضد المقاومة، دون أدنى اعتبار لشيء أو أحد، من منطلق إيمان الداعين إلى حرب ضروس بأن ما حدث فى ٧ أكتوبر يهدد وجود إسرائيل نفسها، بما لم يحدث لها من قبل.

●كيف سيؤثر التخلى عن هذه الاستراتيجية على الكيان مستقبلاً؟

– التخلى عن هذا المسار هو من الخسائر بعيدة المدى لإسرائيل، إذ سيساهم فى هجرة بعض اليهود منها، ويؤدى إلى إحجام قدوم بعض اليهود إليها، بعد أن اهتزت ثقة المواطنين فى التزام الدولة بالقاعدة التى رسخت على مدار العقود الماضية، وكانت واحدة من الأسباب التى تثبتهم فى الأرض التى استحوذوا عليها، وتعزز انتماءهم للدولة، وتحفزهم على الدفاع عنها، والدعاية لها.

●كيف تفسر صمود الشعب الفلسطينى رغم حرب الإبادة التى يمارسها الكيان بحقهم، فهل المعتقد الدينى هو السبب فى ذلك؟

– ليس المعتقد الدينى وحده الذى يقف وراء صمود الفلسطينيين الأسطوري، إنما هناك علل أخرى، لا يقف عليها ويفهم آثارها، إلا من قرأ بإمعان يوميات العذاب التى يحياها الفلسطينيون تحت الاحتلال منذ النكبة وحتى انطلاق «طوفان الأقصى». فكثيرون منهم مروا بتجارب قاسية، بدءًا من هؤلاء الذين عاشوا تجربة التهجير الأولى فى عام النكبة وحتى أطفال صغار ينصتون ليل نهار إلى حكايات الجدات والأجداد عن صقيع الشتات وحيرته ووجع الشوق الجارف إلى الوطن.

الفلسطينيون يدركون أن أى انكسار أو تهاون أو فزع يدفعهم إلى هروب أو استسلام ستكون له عواقب وخيمة عليهم، أكثر إيلامًا حتى من القصف المتواصل على رؤوسهم، رغم غزارته وضراوته، واستهدافه البشر والحجر، والأخضر واليابس. فالصبر على النار والدم المؤقت، حتى لو طال أمد الحرب أكثر من توقعاتهم، أهون من الصبر على الاغتراب حين يفقدون أرضهم، ويضيعون فى بلاد الناس على غرار ما جرى لهم سابقا.

ومن أسباب صمود المدنيين الفلسطينيين أيضا أنهم يتابعون جيدًا كيف قادت تضحياتهم الكبرى إلى إعادة قضيتهم عفية على الساحة الدولية، بعد أن كانت إسرائيل قد نجحت فى أن تهيل عليها أكواما من التراب، وتخرجها من المعادلات السياسية فى المنطقة، بالانتقال من قاعدة "الأرض مقابل السلام" إلى "السلام مقابل السلام".

يزيد على كل هذا أنه فى هذه المرة، أكثر من سابقاتها، أدرك المدنيون الفلسطينيون أن استهدافهم يرمى إلى كشف ظهر المقاومة وكسر إرادتها، بإظهارها وكأنها غير معنية بما يجرى لحاضنتها الشعبية، أو يرمى إلى دفع هذه الحاضنة إلى الكفر بالمقاومين، وربما إلى ما هو أبعد من ذلك من خلال التمرد عليهم، أو حتى خيانتهم.

● كيف تنظر إلى تناقض الموقف الغربى الرسمى تجاه القضية الفلسطينية؟

– هذا ديدن الغرب فى كثير من القضايا، وعلى رأسها قضية فلسطين. لا ينكر الأوروبيون الرافضون لحق مقاومة الاحتلال للقانون الدولي، ولا للتاريخ الأوروبى نفسه، بل إنهم يقعون فى تناقض ظاهر، لا أعرف كيف لا يخجلون منه، حين يصير كل من يعمل لهم مناضلا، ومن يعمل ضدهم إرهابيًا، حتى لو كان عمله مشروعًا، يوالى فيه مصلحة بلاده.

فقد رأى أبناء جيلي، على الأقل، كيف كان الأوروبيون ينظرون إلى أى حاملى سلاح يدورون فى فلكه، ويعملون لأجله، على أنهم مقاومون ومناضلون وطلاب حرية، مثلما تعاملوا مع مقاتلى الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان، وهم أنفسهم الذين صاروا "إرهابيين" مع طالبان حين وقف ضد الغرب.

وهى مسألة تعلو من التنظيمات إلى الدول، فقد رأينا الغرب يمدح جوزيف ستالين، ويصفه بـ "العم جو" حين كان فى حاجة إلى أن يشاركه الاتحاد السوفيتى التصدى لأدولف هتلر خلال الحرب العالمية الثانية، لكن حين وضعت الحرب أوزارهــا، وظهرت موسكو منافسًا للولايات المتحدة، سرعان ما عاد ستالين ليكون الدكتاتور الدموى المتوحش.

استغل الغرب تنظيمات إرهابية مؤخرًا على رأسها داعش، فى تحقيق مصالحه، وزود التنظيم بالمال والخطط والسلاح، فيما وجدنا بعض الباحثين الأوروبيين مثل فرانسوا بورجا وجيل كيبيل يصرون على وصف الإرهابيين حقا بأنهم "مناضلون" ضد الظلم والقهر والإكراه، دون الالتفات إلى مضمون رسالتهم المغلقة المفعمة بكراهية الآخر، واستحلال عرضه وماله ودمه، ولا الوقوف عند ما كانوا يرتكبونه من جرائم القتل والتخريب. وكان مبرر هؤلاء أن التنظيمات الإسلامية المسلحة تعيش فى ظل أنظمة حكم قمعية فاسدة.

●نعود إلى طوفان الأقصى، فمن وجهة نظرك السياسية ما أكبر خسائر إسرائيل بعد هذه العملية؟

– إذا عدنا إلى بداية الحرب فى الهجوم المباغت للمقاومة الفلسطينية خسرت إسرائيل أربعة أشياء دفعة واحدة، فى المقدمة منها الفشل الاستخباراتي: إذ أن عملاء إسرائيل فى غزة، لم يصل إليهم نبأ ما تعده المقاومة، على مدار سنة كاملة، وربما أكثر. وفى هذا انكشاف جارح لجهاز «الموساد» الذى يسوق عن نفسه قدرة فائقة فى جمع المعلومات وتحليلها، وتمكين الجيش الإسرائيلى من الاستباق.

الأمر الثاني: الحدود المستباحة: فالجدار العازل الذى بُنى حول قطاع غزة، وبلغت كلفته مليار دولار، لم يمنع المقاومين من خرقه، بعد ضربه فى نقاط محددة، مكنت المقاومين من العبور السهل إلى مستوطنات غلاف غزة، والسيطرة عليها فى ساعات محدودة. ورغم أن هذه الأسوار المحيطة بغزة مزودة بأحدث أنواع الرقابة، وفى مطلعها الكاميرات فائقة القدرة، فإنها لم تغن عن إسرائيل شيئا، بعد أن تمكن المقاومون من تعطيلها إلكترونيًا، قبل بدء الهجوم.

الخسارة الثالثة فقدان التحكم والسيطرة: فبعد عبور المقاومين للحدود تمكنوا من التمدد غربا وشمالاً، إلى درجة الاستيلاء على مساحة مضاعفة للقطاع، دون أن يجدوا ما يصدهم ويردهم فى البداية.

ورابع هذه الخسائر من وجهة نظرى هى بطء رد الفعل وإخفاقه: فبعد أن وصل نبأ الهجوم إلى القيادة السياسية الإسرائيلية، أعطت أوامرها على الفور للجيش أن يتقدم ليعوض انهيار فرقة غزة، لكن التحرك جاء بطيئًا، ولم ينج أيضًا من الارتباك والذعر الذى أصاب العسكريين الإسرائيليين، إثر تأكدهم من الهزيمة الخاطفة التى حلت بقواتهم فى ساعات قليلة.

وهناك خسائر أخرى بالتأكيد تتكشف يومًا بعد يوم فى عدة أصعدة سواء فى جانب الاقتصادي، أو الاجتماعى والنسيج الداخلى فى إسرائيل الآخذ فى التناحر والتفكك، وصورتها فى الخارج التى بدأت تظهر على حقيقتها الوحشية للشعوب الغربية ..إلخ.

●بعد سبعة أشهر من الإبادة الجماعية فى غزة هل اعتاد العالم ما يجرى هناك؟

– لا يمكن لإنسان أن يُبقى مشاعره ملتهبة طوال الوقت حيال ما يجرى له أو حوله، ولا يقدر على أن يجعل الشغف يقظا، والاهتمام قائمًا، والعناية والرعاية مستمرة، دون أن يصيبه إزاءها شيء من الملل أو الفتور، وليست الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة استثناء من هذه القاعدة، التى سبق أن رأيناها، عما قريب، فى الحرب الأهلية التى تدور رحاها فى السودان بين الجيش وقوات «الدعم السريع»، والحرب الروسية – الأوكرانية، التى انجذب إليها العالم كله فى أيامها الأولى، وتصدرت عناوين وكالات الأنباء والصحف والقنوات.

هذه القاعدة تنطبق على ما يجرى فى غزة، رغم أنه «إبادة جماعية» تتأكد مفردات جريمتها كل يوم. فلم تعد الحناجر تهتف ضد الحرب فى الشوارع كما كانت فى الأسابيع الأولى، ولم يعد انشغال الناس على وسائل التواصل الاجتماعى مثلما كان، وقفزت أخبار أخرى إلى كثير من الشاشات التلفزيونية لتشارك غزة الاهتمام والعرض على الجمهور، ولم يعد الناس يأتون كثيرًا على ذكرها فى الثرثرة اليومية العادية فى البيوت والمقاهى ومكاتب العمل.

وفضلا عن العامل النفسى الأصيل الذى يمنع الإنسان من الانغماس التام فى حدث ما، يتابعه ليل نهار ولا ينفك عنه، فهناك عوامل عدة تخص الحرب على الشعب الفلسطينى فى غزة، هذه المرة أكثر من أى مرات سابقة، لاختلاف درجة الصراع من حيث الاتساع والعمق والمدى الزمني.

●هل هذا الفتور يصب فى صالح إسرائيل أم المقاومة؟

– إسرائيل تفهم أن أى فتور يصيب الناس حيال الحرب يكون فى صالحها، إذ أن أكثر ما أزعجها هو هذا الاهتمام الكبير، الذى أرسل إليها نقدًا وتقريعًا وتوبيخا، حمله متظاهرون ضاقت بهم شوارع مدن أوروبية وأمريكية عدة، وهذه العيون التى ترقب ما يرتكبونه من أفعال بشعة، ولذا فإن الفتور أو الانصراف عن المتابعة أو اللامبالاة يفيد تل أبيب فى ارتكاب ما تريد فى الظلام.

أما المقاومة الفلسطينية فهى تريد أن يظل هذا الاهتمام قائمًا، فهو ظهير ونصير لها، يعطيها مددًا هى فى أمس الحاجة إليه، وفى الوقت نفسه يضغط على أعصاب خصمها، الذى يدرك أن التحول فى الرأى العام العالمى ليكون ضده هو خسارة كبيرة له، لم يعهدها، بهذا الزخم، منذ إنشاء إسرائيل عام ١٩٤٨.

وأود أضيف هنا إذا استثنينا فى كل هذا المتبلدين أو اللامبالين فإن بقاء الانشغال والانفعال بالعدوان على غزة قائمًا، هو مفيد فى كل الأحوال للقضية الفلسطينية، لاسيما أن أحداثها ليست من قبيل المواجهات أو الحروب العابرة، إنما حلقات فى سلسلة طويلة من نضال، لا يجب أن يدع لمن يقتنع به ويؤيده أى فرصة للانفكاك منه، والتخلى عنه، حتى لا يستيقظ ذات يوم على فاجعة.

ناديت فى أحد أطروحاتك حول الصراع الفلسطينى الإسرائيلى بضرورة أن يرفع الجناح السياسى شعار الدولة الواحدة. فما سبب ذلك؟

– فى ظل التعاطف الواسع والعميق الذى ربحته القضية الفلسطينية بعد طول تجاهل وظلم، جراء الانحياز للرواية والموقف الإسرائيليين على مدار ثلاثة أرباع قرن. نعم أرى أنه من الضرورى أن يطلب الجناح السياسى للمقاومة، بعد اتفاق مع جناحها العسكري، على المناداة بـ «الدولة الواحدة» التى تقوم على أرض فلسطين التاريخية كلها، وتضم الفلسطينيين والإسرائيليين، وأتباع الديانات الثلاثة فى هذه البقعة الجغرافية الملتهبة من اليهود والمسلمين والمسيحيين.

لأن أحد صور زوال الاحتلال هو الانتقال إلى حل «الدولة الواحدة»، وهى مسألة ليس من قبيل المستحيلات، فهناك مليون فلسطينى يعيشون فى إسرائيل ويحملون جنسيتها، وقبل إعلان إسرائيل كان هناك يهود يحملون الجنسية الفلسطينية، منهم جولدا مائير.

ولو رفع الفلسطينيون الآن، بعد توافقهم، مطلب "الدولة الواحدة" سيضعون إسرائيل فى مأزق شديد أمام العالم حال رفضه المتوقع، حيث ستظهر قوة غاشمة توصد الأبواب أمام أى حلول طبيعية، بات العالم فى ألفة نسبية معها فى ظل تجربة جنوب أفريقيا.

هذا الطرح سيبدد الدعاية الإسرائيلية التى تسوقها إلى العالم بأن المقاومة الفلسطينية تريد إنهاء الوجود اليهودى تمامًا، ولا ترضى بديلاً عما تسميه "تحرير فلسطين من البحر إلى النهر"، وقد يكون الطرح نفسه نقطة التقاء تجتمع حولها الفصائل الفلسطينية تنهى به انقسامها، وتضع عثرات فى طريق الحلول الأخرى، التى تعرضها إسرائيل حاليًّا، وتطلق عليها "اليوم التالى بعد الحرب".

●وماذا عن حل الدولتين الذى يُنادى به منذ زمن؟

– ظهر للجميع أن إسرائيل ترفض حل الدولتين، ولم تظهر موافقة على هذا التصور الذى حمله اتفاق «أوسلو» ١٩٩٣ إلا لكسب وقت، حتى تقضم على التوالى أرض الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ثم تخطط لتهجيرهم جميعًا، بشكل متدرج ومتتابع، دون أن ينجو من هذه الخطة الجهنمية فلسطينو ١٩٤٨ الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية.

لم تكن هذه الخطة خافية تمامًا، فكثير من قادة إسرائيل تلفظوا غير مرة بأن قبول "دولة فلسطينية"، حتى لو كانت منزوعة السلاح كما طرح البعض، معناه نهاية إسرائيل كدولة لليهود، كما سبق أن أعلنت، دون خجل من أن تكون هى الدولة الدينية الوحيدة فى العالم المعاصر، بل تبدو مُصرة على هذا، ومعتزة به، وتجد من القوى الكبرى تواطئًا معها، وسكوتًا عليها، رغم الأدبيات التى تسيل فى الشرق والغرب معتبرة أن "الدولة الدينية" هى نبت القرون الوسطى، التى لا تصلح للدنيا الحديثة والمعاصرة.

تساوقت إسرائيل مع فكرة "حل الدولتين" دون أن تكون مقتنعة بها، حتى تكسب بها وقتًا وتعاطفًا غربيًا، وتستعملها ستارًا يخفى نواياها الحقيقية، ولا سبيل لرفع هذا الستار إلا بطرح حقيقى يقبله العالم، الذى ينصت إلى صوت إسرائيل وهى تتهم المقاومة بأنها تسعى إلى استئصال وجود اليهود على أرض فلسطين التاريخية تمامًا.

يحتاج هذه الطرح إلى خطوة شجاعة تضعه محل نقاش فلسطينى داخلى أولاً، حتى يتم الاتفاق عليه وتحديد معالمه ورسم خطاه إلى النهاية، ثم يُعرض على العالم أجمع، وقد يكون هذا من النتائج المهمة الكلية للحرب الدائرة الآن.

●فى الأخير: ماذا لو انتهت الحرب الإسرائيلية على غزة دون الانتصار المطلق على حماس كما يروج نتانياهو لجمهوره؟

– فى ظنى ستكون أبرز هذه الخسائر اهتزاز معادلة «الجيش الحامي»: فإسرائيل جيش حوله مجتمع، والأخير يعتمد تماما على الأول فى بقائه. وعلى مدار ٧٥ عاما تعامل الإسرائيليون مع جيشهم على أنه لا يُقهر، وبذا فإن دولتهم آمنة ومستقرة. وهذه الفكرة التى تم تسويقها على نطاق واسع، طالما ساهمت فى قدوم كثير من اليهود إلى إسرائيل. لم تعد هذه المعادلة على حالها، مهما كانت نتائج الحرب. فإسرائيل اعتادت الحرب خارج أرضها، وأبقت حدودها آمنة، فلا تكون للمعارك وطأة شديدة على الشعب، لكن عملية «طوفان الأقصى» كانت فى مدن اسرائيل ومستوطناتها، ليس من خلال الصواريخ هذه المرة، إنما عبر الاقتحام والضرب فى العمق، أو الحرب على أرض العدو.

وثانى هذا الخسائر هى جرحها الصورة الناصعة: فقد صنعت إسرائيل لنفسها صورة سوقتها عالميًا على أنها واحة ديمقراطية وسط دول استبدادية، لتخفى وجهها الكريه فى التعامل ضد الفلسطينيين، والذى يتراوح بين فصل عنصرى وإبادة جماعية مستمرة، سواء بطرق ناعمة فى أغلب الأوقات، وخشنة وقت المواجهة والحروب.

أما ثالث هذه الخسائر فهو احتمال تراجع أنظمة عربية حاكمة عن اتخاذها إسرائيل ملاذ حماية أو شريكا عسكريًا، بعد أن ثبت لها أن الجيش الإسرائيلى ليس بالقوة التى كانوا يتصورونها، ومن ثم عليهم بعد الحرب أن يبحثوا عن وسائل أخرى لتحقيق قدر من التوازن الاستراتيجى أو التفاهم وحماية المصالح.

حاوره:
د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 334 - السنة الثالثة عشر- الأحد 28 أبريل 2024 م - 19 شوّال 1445هـ

قالت العرب

رأيتك أمس فى الميناء مسافرة بلا أهل بلا زاد / ركضت إليك كالأيتام أسأل حكمة الأجداد / لماذا تسحب البيّارة الخضراء إلى سجن إلى منفى إلى ميناء / وتبقى رغم رحلتها ورغم روائح الأملاح والأشواق تبقى دائما خضراء

«د. بدر ماشاء الله» رئيس حراك ليبيا الوطن لـ «المشهد»

إسقاط مجلس النواب والحكومة واجب وطنى بإمتياز

لا حسم سياسى فى ليبيا دون رعاية مصرية ونمد أيادينا للقاهرة ونأخذ عليها التمسك بأشخاص وأجسام مهترئة منتهية الشرعية والصلاحية

ليبيا كما السودان، ليس امتدادا وعمقا استراتيجيا فقط، بل فيهما تكمن حلول كثير من مشكلات مصر؛ وبدورها يمكنها حل جل أزماتهما، لكن الواقع أحال البلدين إلى تحدى يهدد الأمن القومى ويحده داخل الحدود، وكلما زادت اشتعلت الصراعات فيهما، ارتفع معدل هذا التهديد.

فى ليبيا حاولت مصر احتواء الوضع وتحييد التهديد بوسائل مختلفة، وكذا فعل المجتمع الدولى ممثلا بالأمم المتحدة، لكن كلما لاحت فى الأفق بوادر انفراجة؛ تأتى نذر مواجهة بين الفرقاء فيها، الأسبوع الماضى (الثلاثاء١٧ أبريل) أصبحت ليبيا الموعودة بمصالحة وانتخابات تنتظر الإجراء، أمست على إستقالة مبعوث الأمم المتحدة «عبد الله باتيلي» لينضم لمصفوفة من مبعوثين سبقوه، مثلت ليبيا معضلة لهم، فلم ينجز أحد مهمته إلا بالشذر القليل.

استقالة «باتيلي» جاءت على وقع تدهور عسكري، ونذر معركة جديدة بالعاصمة، مع تصاعد الخلاف بين رئيس حكومة الغرب «عبد الحميد دبيبة» ورئيس البنك المركزى «الصديق الكبير»، والنتيجة أرتال من السلاح تدخل طرابلس وتأهب ميلشاوى لجولة من المواجهة المسلحة..

جميع من يتصدر المشهد السياسى حمله مبعوث الأمم المتحدة مسؤولية الفشل، فكان السؤال البديهي، إن كانوا هؤلاء يمثلون الآزمة فمن يمثل الحل، وأين عموم الليبيين، هل عقمت ليبيا عن إفراز وطرح البديل، وهل غابت البدائل عن الفاعلين فى ليبيا؛ إقليميين ودوليين، فأغلقوا الدائرة على إعادة إنتاج ما فيها من شخوص، أسئلة توجهها (صحيفة المشهد) وفى أول حوار لوسيلة إعلام مصرية مع أحد من يطرحون أنفسهم بديلا سياسيا وجزءا من الحل (حراك ليبيا الوطن) وهذا حوارى مع رئيسه الدكتور مهندس «بدر ماشاءالله»..

نحن البديل .. هدفنا هو الانتخابات والفوز بالأغلبية

القوى الأقليمية تحتل أجزاء من ليبيا بموافقة الأطراف السياسية القائمة

● قرابة اثنتى عشرة سنة، من يد مبعوث أممى لأخر تنتقل ذات المهمة التى تراوح مكانها.. جمع الفرقاء والاتفاق على إجراءت يشارك ويقبل بها الجميع، وصولا لبرلمان موحد ورئيس واحد، وحكومة واحدة لدولة تمزقت بين غرب وشرق وجنوب، وحكومتين ومجلسين ورئيسين.. أين مكمن المعضلة!

. المبعوث الأممى كرر ما نردده فى الحراك ونؤكد عليه، أن الأزمة يقف خلفها القادة الليبيون وعدم رغبتهم فى التوصل لحل، فهم يتسمون ب»الأنانية»، ويسعون خلف مصلحتهم الشخصية لا مصلحة ليبيا، فلا أحد لديه الرغبة ولا الإرداة للوصول لحل، وهدفهم الحفاظ على الوضع الحالى عبر مناورات للمماطلة على حساب الشعب، كما قال.

فالساسة من أصحاب المصالح يسعى كل منهم لبقاء الوضع على ما هو عليه، ليس فقط لاستمراء الوضع الحالى والحفاظ على المكاسب والمميزات المالية والسياسية، لكن الخشية الأكبر من وقت الحساب والسؤال، أو بالأحرى المحاسبة عما تم اقترافه من فساد واستغلال نفوذ وسلطة لتحقيق مكاسب بطرق غير مشروعة. جميعهم أوصلونا لحالة التشرذم السياسى المقصودة التى نعيشها، ومن خلالها تدخلت القوى الإقليمية، التى لا أبالغ إن قلت إنها تحتل أجزاء من وطننا الحبيب بمساندة مجلسى النواب والدولة، مما ألحق الضرر البالغ بكرامة وسيادة الوطن.

فإسقاط مجلس النواب والحكومة نعتبره واجبا وطنيا بامتياز، إسقاط جميع الأجسام السياسية هدفا ساميا لنا، ونعلم أن أى عمل سياسى ومؤسساتى داخل الوطن، نهايته الفشل بعد استنزاف الوقت واللعب على مد أمد كيانات صارت غير شرعية طبقا للإعلان الدستوري، واتفاق «جنيف . تونس» والذى يعتبر مسودة اتفاق غير قابلة للتغيير أو الأنسحاب منها إلا بتتصل الأطراف الدولية الضامنة، والذى ضرب به المجلسان عرض الحائط، فالمجالس تتلاعب وستظل على هذا المنوال لصالح بقاء القوى الدولية والإقليمية، عبر قواعد عسكرية، بذريعة الإصلاح السياسي، بينما الهدف حماية مصالحها ومصالح عملائها، الذين يقودون المرحلة التى لم تشهد ليبيا مثلها منذ قرون.

● بعد استقالة «باتيلي» تعود ليبيا للمربع واحد، وتبقى رهينة لأطراف متصارعة.. فأين المخرج؟

نحن لا نعول على الأمم المتحدة، ووجودها من خلال بعثتها للدعم فى ليبيا كان سببه وضع البلاد تحت البند السابع بعد ثورة ١٧فبراير، ولدينا يقين أن البعثة الأممية لا تستطيع حل النزاع فى بلدنا، كما فشلهم فى باقى العالم وكذا تماهيهم من الأجسام المتصدرة للمشهد السياسي، والتى لا تتحمل مسؤولياتها فيما تم الاتفاق عليه فى كل الاتفاقات سواء اتفاق الصخيرات أو جنيف وغيرها، وهو ما يجعلنا نعتبر أن بعثة الأمم المتحدة والمجتمع الدولى غير صادقين فى إيجاد حل للمشكل الليبي.

ثانيا: التدخل الخارجى الذى أضعف دور الأمم المتحدة والبعثة الأممية، وأضعف أيضا المنظمات الإقليمية وعلى رأسها جامعة الدول العربية، وجعلها أدوات لتحقيق وتمرير أجندات تلك الدول، الأمر الذى جعلهم يدعمون أطرافا على حساب أطراف أخرى، مما جعل بعض المتصدرين للمشهد فى بلادنا يستقوون بدعمهم لكونهم ممثلين لهذه الدول، وجعل تلك الأطراف لا تقدم أى تنازلات لإيجاد حل.

ثالثا: لا وجود لنية صادقة لدى الليبيين المتصدرين للعملية السياسية لكونهم أصحاب المصلحة، وأيضا أصحاب الأزمة وقد يكونون صناعها فى بعض الأحيان كى لا يغادروا أماكنهم لإيجاد حل للنزاع القائم منذ ٢٠١١.

رابعا: الحياة السياسية فى بلادنا ينظمها الإعلان الدستورى المؤقت، ولا يصح أن تكون هناك خارطة طريق لإيجاد قاعدة دستورية من أجسام موجودة فى السلطة، وأغلبها وصل للسلطة بشكل توافقي، والأجسام التى تم انتخابها منهم انتهت مدتها الدستورية، هناك لجنة لصياغة الدستور مفوضة من الليبيين من خلال انتخابها ولا يتم تحقيق أى عمل بديل عنها فهى المختصة بذلك من خلال انتخابها، ولا يصح أن هناك أجسام أتت بشكل توافقى تكون بديلة عن لجنة صياغة أنتجت دستورا قد يكون غير ملبى لتطلعات الليبيين والواقع والحاجة، لكن اللجنة لم يتم الإعلان عن انتهائها، ولا نعرف ما آلت إليه وسط هذه الأجسام السياسية المعطلة للحالة السياسية فى بلادنا.

بذلك لايمكن لنا من التخلص من البعثة الدولية والوصاية الدولية، ما لم ينخرط الليبيون فى عملية ديمقراطية وتداول سلمى على السلطة على أسس حقيقية لتحقيق الأمن والأمان فى لبلدنا والمنطقة أيضا.

مَن عليه إحداث التغيير هو المواطن، الشعب ومنظمات المجتمع المدنى التى تعمل بفكر وطنى والمؤسسات الوطنية، وجود الدور الأممى يزيد الأمر إرباكا وسوءا، فهو النافذة التى يطل ويدخل معها التدخل الخارجى السلبي. للأسف هذا الوجود أصبح حتميا، وعلاج الجانب السلبى منه يتطلب وعيا عاما من جموع الليبيين ومؤسساتهم الوطنية، وتعاون ومؤازرة الأشقاء والأصدقاء، فالمجتمع الدولى منقسم تجاه الحالة الليبية، كل تبعا لمصالحه، ولابد من إيجاد صيغة مشتركة وتقسيم للأدوار بين المتدخلين فى الحالة الليبية ليحدث توافق على المصالح التى تؤسس لرؤى مشتركة لحل المشكلة السياسيه الليبية.

● وماذا عن الانقسام بين الشرق والغرب.. وتبدو هناك رغبة لدى البعض لاستمرار هذه الحالة!

- للإجابة على هذا السؤال لابد من الرجوع للخلف قليلا، فبلادنا أو ليبيا الحديثة تم تأسيسها من خلال توحيد الأقاليم الثلاثة (برقة، طرابلس، وفزان) وهذا المشروع لم يكن رغبة لبعض القادة السياسيين فى تلك الفترة، لكنه رغبة جموع الأمة الليبية فى الأقاليم الثلاثة، والذين ضغطوا على القادة باتجاه توحيد الأقاليم تحت راية (المملكة الليبية المتحدة) بقيادة الملك الراحل، طيب الله ثراه، "إدريس السنوسي"، وبذلك صدر قرار الأمم المتحدة بأن ليبيا دولة مستقلة مكونة من الأقاليم الثلاثة، أما ليبيا اليوم ما حدث فيها وما يحدث سببه المجتمع الدولى الذى شجع ودفع الليبيين ليقوموا بعملية التغيير التى حدثت فى ١٧فبراير، إلا أن المجتمع الدولى نفسه ترك الحبل على الغارب وأصبح يماهى ويتماهى وغير جاد فى حل الأزمة الليبية، الأمر الذى انتج الفشل السياسى من المتصدرين للعملية السياسية، وتسبب فى تقسيم الإدارة والمؤسسات الليبية، ما أضعف الدولة وأنتج مزيدا من الفوضى وعمليات الفساد والنهب، وما جعل الحالة تستمر مع تشبث وبقاء هذه الأجسام لفترات طويلة، ويصنعون مجالا لبقائها وأصبحت البلاد تسير للمجهول..لا نقول أنها ذاهبة باتجاه التقسيم، ولكن بقاء الحال على ما هو عليه يفضى لمزيد من الفوضى والفساد وإتلاف مقدراتها وتآكل مدخراتها.

وللخروج من هذه الحالة لابد من إيجاد حكومة وحدة وطنية توافقية تعمل على توحيد المؤسسات، وبخاصة المؤسسة العسكرية التى نعتبرها الضمانة الوحيدة التى يمكن أن تحافظ على وحدة التراب الليبي، وأن تحارب الجريمة والإرهاب، وهو ما حدث فى السنوات الماضية وتحافظ على مكاسب الليبيين سياسية أو اقتصادية. وأن تشرف هذه الحكومة على الانتخابات، خصوصا الانتخابات البرلمانية، وانتخاب لجنة لصياغة الدستور كى نستطيع القيام بإجراء انتخابات الرئاسية، وأن تطلق المصالحة الوطنية لإحداث حالة من التصالح بين الليبيين حتى وإن لم يكن هناك بين عمومهم حيث أصبح الخلاف سياسيا، مع أن التوجهات لا تعنى شيئا ما دمنا نعتبر أن ما تأتى به الصناديق هو ما يقبله الليبيون فى إدارة شئونهم بشكل ديمقراطي. وهذه الحكومة لابد أن تحدث عملية تنمية فى جميع أنحاء البلاد بشكل استراتيجى كى نستطيع تخفيف الأعباء عن الميزانية العامة وتخفيف الاعباء عن كاهل المواطنين من خلال التعيينات التى تثقل الميزانية بالرواتب التى تجاوزت كل الحدود وأن يقلل السلك الدبلوماسى وتغلق عديد من السفارات التى لا حاجة لها، ودراسة حالة دعم الوقود والتخلص من بؤر الفساد والجريمة والاتجار بالمخدرات التى زادت ونتجت عن حالة الفشل السياسى الذى تسببت فيه العملية السياسية طوال هذه الفترة.

● اسمح لى بسؤال ارتبط فى الذهن المصرى وربما العربى بأحداث ليبيا وهو "مّن أنتم.."! وسؤالى هنا موجه لحراك ليبيا الوطن؟

. حراك ليبيا الوطن، مؤسس من متقدمين للترشح للانتخابات البرلمانية، ويدعمهم فى ذلك بعض المشايخ والأعيان وزعماء القبائل ومؤسسات المجتمع المدني، والحقيقة ظهرت جليا رغبة الليبين للقيام بواجبهم الذى تكفله كل التشريعات والقوانين ليمارسوا حقهم فى اختيار قادتهم فى الأجسام التشريعة والتنفيذية أو الدستورية، ودليل ذلك هو تقدم أكثر من خمسة آلاف للترشح للانتخابات البرلمانية، وكذا تسجيل ٢ ونصف المليون مواطن بسجل الناخبين للإدلاء بأصواتهم فى اختيار من يمثلهم، ونحن فى حراك ليبيا الوطن لنا رؤية أو تقدير لما آل إليه الوضع فى بلادنا بعد اتفاق جنيف الذى أتت بموجبه حكومة الوحدة الوطنية وكذلك المجلس الرئاسى وتحديد موعد الانتخابات فى ٢٤ ديسمبر وفشل هذه العملية والإعلان عن «قوى القاهرة» التى بموجبها تم تأجيل الانتخابات لأمد لم يحدد، مما سبب خيبة ودهشة لليبيين، لأن الأسباب التى استند عليها التأجيل لم تكن حقيقية ومنطقية؛ فى التوأمة بين الانتخابات برلمانية ورئاسية وأنهما لا ينفصلان وفى حال فشل أحدهما تفشل الأخرى، وهو أمر نستغربه، ونعتبره إفشالا للعملية من أساسها الذى بدأ فى جنيف.

فالحراك يضم لفيفا من شخوص يطرحون أنفسهم كبديل سياسى يرفض الوضع الراهن بآلياته ويسعى لإقامة دولة عبر الوسائل الديمقراطية والتمثيل النيابى والسياسي، قطعنا شوطا كبيرا فى هذا المسار بقائمة من ٣٥٠ مترشحا لمجلس النواب القادم، بينهم ٨٢ نساء وشباب، و١٦ من قيادات منظمات المجتمع المدني، يمثلون الدوائر الانتخابية الأربع بالمنطقة الشرقية والغربية والجنوبية. فحراك ليبيا الوطن يحاول أن تكون مطالبه ورؤيته تشمل كل البلاد.

كثير ما تتحجج الأطراف الحاكمة بأن الشارع غير جاهز لإسقاطهم لأنهم راضون عن أدائهم، رغم ما يقترفونه من أخطاء، فجاء الحراك ليوصل رسالة بأن الشارع غير راض، وأنه يتطلع لتغيير المشهد واسترداد الدولة، فالأطراف الحالية ليست لها حاضنة شعبية، اجتماعات المجلسين تسير تبعا لإنفاق أموال الدولة على شراء الذمم، والتعطيل والإنفاق على منصات إعلامية ومالية للذهاب بالوطن لما لا يحمد عقباه، ولم يكن أمامنا سوى التوجه لصاحب الحق الأصيل فى هذا البلد ألا وهو الشعب، كان لنا الحظ الأوفر بالضغط القّبلى و المؤسساتى لتشكيل «حراك شعبي» ينقل صوت الشارع صافيا ونقيا، وصنع قرار سياسى عندما تكتمل أعماله، وذلك عبر ملتقيات شعبية منها «ملتقى القبة نحو الانتخابات» ٨ مارس ٢٠٢٢، و»ملتقى الأبرق نحو الانتخابات»، تلاه «ملتقى سلوق مشاركة أوسع من الحراك» و»ملتقى درنه نحو الانتخابات» مايو ٢٠٢٣ لدعم مبادرة المبعوث الأممى المستقيل «عبدالله باتيلي» لتشكيل لجنة رفيعة المستوى لإنجاز الاستحقاق الانتخابي، وتلا ذلك عدة ملتقيات ومسيرات فى (طبرق، القبة، شحات، المرج، درنة..) لحث الجماهير على الخروج لإسقاط جميع الأجسام السياسية منتهية الولاية.

● تركز فى حديثك ويركز الحراك فى فعاليته على الانتخابات، وليبيا لم تحسم معضلة أيهما يأتى أولا انتخابات برلمانية، أم رئيس وحكومة موحدة تشرف على الانتخابات؟

. الحراك شعاره نعم للانتخابات لا للتمديد.. وننشط فى تعبئة الشارع ليقوم الليبيون بممارسة حقهم فى اختيار قادتهم، والتواصل مع جميع الأطراف المحلية والمنظمات الدولية المعنية بذلك.. هدفنا هو الانتخابات وتحقيق الأغلبية فيها، نؤمن بأن الانتخابات البرلمانية أساسية لاستكمال الاستحقاقات الدستورية، فلا يمكن أن تجرى انتخابات رئاسية مالم يكن هناك دستور ينظم ذلك، وما أوصلنا لما نحن فيه هو أن الأجسام التى تولت المراحل الإنتقالية، من المؤتمر الوطني، وكذا البرلمان، فشلوا فى إنجاز مهمتهم لعدم إنجازهم الاستفتاء على الدستور، وانشغالهم بالمكاسب المادية والوظيفية الأمر الذى جعل البلاد تغرق فى الفساد والمحسوبية وتغول الميلشيات وجعل التدخل الخارجى يزداد استفحالا.

فالحراك مع إجراء الانتخابات أولا، لتفرز برلمانا يضع الأسس والقواعد الدستورية للدولة، وقد حذرنا سابقا من أن انتخابات ٢٤ ديسمبر ٢٠٢١ كانت تتجه لطريق مسدود، نظرا للمخالفات الدستورية والقانونية التى بدأت من اتفاق «الصخيرات»، ونعتبر الاتفاق مسؤولا عن بداية انهيار «القضاء الليبي»، بإغلاق الدائرة الدستورية وذلك خدمة لمصالح دول بعينها، وأعلننا معارضته، مطالبين بالرجوع للإعلان الدستورى الصادر من المجلس الانتقالي، والذى ينص على الانتخابات البرلمانية، ويجمع أبناء الوطن تحت قبة واحدة، ويضع دستور يستفتى عليه الشعب، ويليه انتخابات رئاسية، للخروج من النفق المظلم فى أقرب وقت ممكن. هدفنا الانتخابات والمصالحة والتنمية المستدامة وتمكين المرأة ودعم الشباب نحو بناء الدولة و دورهم الفعال فى البناء والاستقرار.

● ماذا عن تواصل الحراك مع الخارج، والقوى الفاعلة فى ليبيا؟

. نعتبر أنفسنا الممثل السياسى للشارع الليبي، إذا ما سقطت جميع الأجسام السياسية منتهية الولاية، ونعمل منذ فترة للتعريف عن الحراك بالمناسبات والاجتماعات قبلية، سياسية، عسكرية، وأمنية لتشكيل رأى عام وإجماع شعبي، بعد خيبة أمل الليبيين وخذلانهم وعرقلة حقهم فى ممارسة حقهم بعدم اتمام الاستحقاق الانتخابي، الذى يعقد عليه الليبيون آمال الخروج من أزمتهم.

الحراك سلك مسار الحصول على "ترخيص" يمكنه من العمل داخليا والتواصل خارجيا ممثلا للشعب الليبي، وسعيا للاستقلالية والتبرؤ من شبهة العمل لصالح أطراف خارجية زاد نفوذها وأتباعها فى ليبيا ما بعد القذافي، وفى سبيل ذلك تواصل أعضاء الحراك مع كل الأطراف الدولية الفاعلة فى ليبيا، وتلك الساعية لمصالحة أو لدور يضع حدا للانقسام، وتشكيل مؤسسات يعترف بها الجميع، تمثل الإرادة الحرة للشعب الليبى شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، تواصلنا مع البعثة الأممية والاتحاد الإفريقى والاتحاد الأوروبي.

ولنا مع "بعثة الأمم المتحدة" اتصالات مباشرة، كما التقت سيدات الحراك مع رئيس اللجنة السياسية بالبعثة الأممية، الذى سعى لترتيب لقاء مع سفراء دول دائمة العضوية بمجلس الأمن، لكننا نعتبرهم جزءا من المشكلة ما حال دون إتمام اللقاء، مع ذلك نجح الحراك باقناع البعثة الأممية بعدد من المبادرات، وأكثر ما استعان به وألقاه فى مجلس الأمن عن ليبيا كان نابعا من أسس الملتقيات أو البيانات التى نصدرها، كان آخرها دعم تشكيل "لجنه رفيعة المستوى للإعمار" بدعم ورعاية دولية وبمدة زمنية، ورفضنا أى وصاية عليها أو أن يمثل فيها مجلس النواب أو الحكومة، فقط خليط شعبى سياسى اجتماعى عسكرى وأمنى كممثل للشارع بعيدا عن الأجسام السياسية المتناحرة والمتصارعة. والمطلوب من المجتمع الدولى دعم الرؤية وتنفيذها من خلال إتفاق لأجل الإنسانية كى لا تخرج الأمور عن مسارها.

● بعد «إعصار دانيال» وكارثة «درنة» بدا المجتمع الدولى متقدما خطوة ليتجاوز الكيانات القائمة، سعيا لفعل وحلول على الأرض، كان ذلك واضحا فى مؤتمر إعادة الأعمار نوفمبر الماضي..

. المشاورات الدولية قائمة بوتيرة متسارعة نعم، وكنا جزءا من مؤتمر إعادة إعمار درنة، وكان لدينا تخوف فما نراه يبدو أكبر من كارثة الإعصار، من عدم جدية من المجتمع الدولى فى دعم خطط إعمار درنة والمناطق المتضررة، والصمت عن استغلال الكارثة كورقة سياسية تخضع للتجاذبات، وتتحول لحلقة من حلقات التنافس على حساب المنكوبين.

وللخروج من هذا التجاذب طرحنا فى «الحراك» رؤية لتنفيذ خطط الإعمار، بدأناها بمظاهرات «درنة» المطالبة بإسقاط جميع الأجسام السياسية ومحاسبتها، وتأييد إشراف القيادة العامة على إعادة الاعمار، وقرار المشير «خليفة حفتر» بضم المناطق الأخرى التى تضررت جراء الحروب أو من تبعات الإهمال والتقصير والفساد منذ سنوات، وأحيانا عقود فى بعض المناطق والأرياف، فالضرر لاحق بعدد ١٧ بلدية أكثرها أدى لنزوح أهلها.

لكننا، الليبيون لنا روابط اجتماعية خففت من ضغط النزوح، الذى يجب آلا يطول أمده أو يصير واقعا يمتد لأعوام قادمة، فالنازحون أولى بهم؛ وحقهم العودة لديارهم وبيوتهم وأرضهم، هناك خطط مطروحة من الدولة والنشطاء والنخب وكذا القيادة العامة لها رؤية وخطة تتفق معها الأطراف المحلية بعيدا عن الأجسام السياسية، التى تتعامل مع ملف الإعمار بصفته استرزاقا وتوسيعا لثرواتهم، أو ملفا سياسيا يمكن من خلاله لى ذراع احتياجات الوطن والمواطن.

● وماذا عن الدور المصرى فى ليبيا، كيف تنظر له، وماذا تنتظر منه؟

. الدور المصرى فى ليبيا ذو شقين أحدهما إيجابي؛ من ناحية المحافظة على الأمن القومى العربي، والأخر سلبى من ناحية التمسك بأشخاص بعينها وبأجسام منتهية الصلاحية، ضد إرادة الشعب الليبى الذى دفع ألاف من شبابه الدماء ليحصل على استقرار ووحدة صارت بعيدة المنال، تحت دافع المصالح الفردية والشخصية لكلا الأطراف.

والمنتظر دعم أبناء الشعب الليبى فى إجراء انتخابات حرة ونزيهه خاصة البرلمانية والمساندة فى القضاء على التيارات الإرهابية المتطرفة، وإخراج القوات الأجنبية والمرتزقة من أرض وطننا بالشرق والغرب والجنوب.

فنحن نعتبر جمهورية مصر العربية، أم كل العرب وقلب العروبة النابض، وعبر التاريخ كانت مصر داعما لليبيا، تمد يد العون كلما اقتضى الأمر أو استدعت الحاجة، فأثناء الاحتلال الإيطالى كانت لمصر وقفتها مع المقاومة، وفى مصر تأسس الجيش الليبي، ولمصر موقف لا ينسى بالوقوف مع ليبيا فى قضية لوكيربي، ووقت الحصار، وموقفها من ثورة فبراير لمساندة إرادة الشعب، وكذا «عملية الكرامة» ضد التنظيمات الإرهابية المدعومة دوليا، ولا نزال نعقد الأمل الأكبر كشعب وشارع يعتبر مصر الشريك والقريب الأول، والامتداد والترابط العائلى الذى يعتبر بمثابة خطوط حمراء، ونخشى من أثر دعم أو التمسك بأشخاص وأجسام مهترئة ومنتهية الشرعية والصلاحية أن ينال من هذه العلاقة أو يخدشها، ويفتح مجالا للعب فيها.

وليس لدى القاهرة مبررا بغياب البديل، والطرح السياسى المعبر عن ليبيا البعيدة عن النفوذ الإقليمي، ليبيا الساعية للوحدة ولعلاقة وطيدة وامتداد شرقا تفرضه الجيرة ومكانة مصر، كما يفرضه امتداد النسب، فالبطء فى ذلك يسبب شرخا ويعتبر ضربة فى مقتل فى جسم واحد يسعى كثيرون للالتفاف حوله، كى لا يتحقق تقدم وتنمية للبلدين، وها هى يد الحراك ممدودة ونطلب دعم الأشقاء لتحقيق المبتغى فى ليبيا موحدة وحكومة واحدة ومؤسسات جامعة لكل المكونات هدفها الأساس مصلحة ليبيا بعيدا عن القوى الإقليمية أو الدولية التى يحقق الوضع الحالى جل مصالحها.

فنحن نؤمن أن لا عمل سياسى ينجح فى ليبيا بعيدا عن رعاية ودعم مصرى مباشر، لرسم معالم المرحلة القادمة سياسيا واقتصاديا وكذلك عسكريا، فلا حسم سياسى فى ليبيا بدون رعاية مصرية. البعثة ترعى اتفاقات سياسية مع أطراف تقاتل لأجل البقاء فقط، لأنها تعلم أن محاسبة شعبية وقضائية وأخلاقية وتاريخية آتية لا محالة بعد سقوطهم، فقبل انتخابات مجلس النواب واتفاق الصخيرات كانت بلادنا خالية تماما من القواعد العسكرية الاجنبية، وسبب فشل بعثة الأمم المتحدة دعمها لطرف بعينه وتمسكها بأجسام منتهية الصلاحية تعتبرها طرفا فى حين أنها لا تعبر عن المجتمع، اى ان اشخاص فقط تقوم بتسيير مجالس بانفراد، المنتظر تشكيل لجنه رفيعة المستوى لإنجاز الاستحقاق الانتخابى عبر حكومة مصغرة تسمى حكومة مؤقتة، ذات مدة زمنية محددة تستعين بالإعلان الدستورى الصادر من المجلس الانتقالي، لعدم حدوث مشاكل دستورية أو قانونية.

● كأنك تطلب فرض وصاية مصرية على ليبيا، أو تدخلا أقوى ولا أقول أعنف..!

. ما أطلبه هو حوار يجمع كل الفاعلين والمؤثرين فى الوطن.. وألا يقتصر على المتصدرين للمشهد السياسي، فهم لايمثلون الطبقة الصامتة التى هى أغلبية الأمة الليبية، وصولا لتوافق على سلطة تنفيذية مهمتها الأولى والأساسية إجراء الانتخابات.. وأن نخرج من الجدل حول من هو الأحق أو المفوض بإنتاج خارطة طريق محتكمين للإعلان الدستورى الذى يتضمن آليأت الانتخابات البرلمانية، ونخرج من حالة الجمود، ونحمى البلاد من الانقسام الذى ضرب ويهدد وحدتها ويهدد مصر بالتبعية.

مصر قادرة على وضع خارطة طريق، تجرى على أساسها الانتخابات فتعدد الرؤوس والأجسام الموازية جعل البلاد تعانى حالة من التشظى والانقسام والتنازع على الشرعية والمشروعية، فكل الأجسام انتهت ولايتها والمدد التوافقية التى اعطيت لها، فـ»المؤتمر الوطني» الذى رفض ولم يعترف بالانتخابات البرلمانية انتهت المدة المحدد له، وأصبح جسما موازيا وكان على عاتقه انجاز الدستور واجراء الانتخابات الرئاسية فشل فى ذلك.. بعد ذلك تم التوافق على إجراء الانتخابات البرلمانية التى من واجباتها الأساسية القيام بما عجز عنه المؤتمر الوطني، إلا أن «البرلمان» هو الاخر لم يف بالتزاماته، وانتهت المدة المحددة له، صار كلا منهما أجساما موازية مددت لها فترات توافقية من اتفاق «الصخيرات» ثم اتفاق «جنيف تونس»، وكل الفترات المتوافق عليها قد انتهت، هذا الأمر جعلها لاتحظى برضا ولا قبول الليبيين جميعا..

● دكتور بدر، أنت ممن درسوا فى القاهرة، فما مدى علاقتك بها الآن.. وخاصة على المستوى الرسمي!

. القاهرة بيتى الثانى وملتقاى مع الأخوة العرب، فلا تزال تربطنى علاقة مع الجامعة العربية، وللعائلة علاقات نسب ومصاهرة من مصريين، كما أواظب على حضور الاحتفال بتأسيس الجيش السنوسى المقام بالقاهرة، لأن الجد «ماشاءالله» كان يعمل بجهاز المخابرات عند تأسيس الجيش الليبى والذى تم فى مصر، وكان أحد الحضور.

وأعتز بكثير من ذكرياتى فيها، ومن أهمها حضورى لثورة ٣٠ يونيو بالقاهرة، شاهدت بأم عينى خروج الشعب المصرى بالملايين فى الشوارع والساحات رفضا لحكم المرشد والجماعة، لحظات تاريخية لممارسة حقه الديمقراطى فى إقامة دولة قوية مستقرة آمنة. ووقوف الجيش مع إرادة الشعب، أما على المستوى الرسمى جرت عدة محاولات من جانبي، لكن القاهرة متحفظة على التواصل مع أى من الذين يطرحون أنفسهم بديلا عن الكيانات الموجودة، وهو ما نفسره بدعم ومساندة لأشخاص يمثلون مشكلة، وإغلاق الباب أمام من يمكن أن يكون حلا لصالح الجميع ليبيا وشعبها ومصر وأمنها.

حوار- سوزان حرفى

المشهد
العدد 334 - السنة الثالثة عشر- الأحد 28 أبريل 2024 م – 19 شوّال 1445هـ

قالت العرب

وأكتب فى مفكرتى /أحبّ البرتقال و أكره الميناء / وأردف فى مفكرتى / على الميناء وقفت / وكانت الدنيا عيون الشتاء / وقشرة البرتقال لنا و خلفى كانت الصحراء.

الأرض أرضنا.. النظرة التاريخية الإسلامية والمسيحية لفلسطين المحتلة

يدعى اليهود أنهم شعب الله المختار وأن الأراضى المقدسة هى أرض الميعاد، حكومتهم وجيشهم المحتل من نفذ خلال الشهور القليلة الماضية مجازر إبادة جماعية وجرائم ضد الإنسانية، ليس أكثرها فظاعة قتل الأطفال بدم بارد وتدنيس الأماكن المقدسة وانتهاك قدس الأقداس.

لدولة الاحتلال تاريخ إجرامى وهمجى منذ الأشهر التى سبقت إنشاءها وحتى اليوم ارتكبت العديد من المجازر وجرائم الإبادة الجماعية ويسجل التاريخ منها مجازر بلد الشيخ (ديسمبر ١٩٤٧) دير ياسين (أبريل ١٩٤٨) قرية أبوشة (١٤ مايو ١٩٤٨) الطنطورة (٢٣ مايو ١٩٤٨) قبية (أكتوبر ١٩٥٣) كفر قاسم (أكتوبر ١٩٥٦) مجزرتى خان يونس (٣ و١٢ نوفمبر ١٩٥٦) صبرا وشاتيلا (سبتمبر ١٩٨٢) المسجد الأقصى (أكتوبر ١٩٩٠) الحرم الإبراهيمى (فبراير ١٩٩٤) جنين (أبريل ٢٠٠٢) ولا إلى المجازر المتتالية ضد سكان غزة الأبرياء وأبرزها مجزرة مستشفى المعمدانى (أكتوبر ٢٠٢٣) وما تلاها من مجازر وقصف عشوائى استشهد خلاله نحو ٣٤ ألف فلسطينى خلال ٦ أشهر. ويتسق هذا مع تاريخ من العصيان والتمرد، تذكره الكتب المقدسة عنهم حيث يسجل القرآن الكريم كونهم قتلة أنبياء، وقال عنهم السيد المسيح «هوذا بيتكم يترك لكم خرابا» وتنبأ الإنجيل بأنهم: «سيكونون مشردين فى العالم كله».

فكيف ينظر التاريخ الإسلامى والمسيحى إلى الإسرائيليين والفلسطينيين، والأرض لمن، وما هى النظرة الإسلامية والمسيحية لدولة الاحتلال، وهل من يقطنها شعب الله المختار؟.

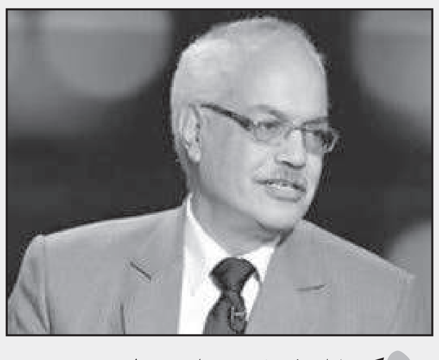

كمال زاخر: الربط بين مجيء المسيح وعودة اليهود متعسف والكنيسة الشرقية ليست طرفا فى هذا الصراع

إبراهيم رضا: الكيان الصهيونٍي يحاول إعطاء السرقة لوناً دينيا وهو صنيعة الدول الاستعمارية وأجهزة المخابرات

أمجد سمير: اليهود أشد أعداء المسيحيين ونحن كمسيحيين نعرف حقيقة اليهود أكثر من أى شعوب أو أعراق أخرى

●كيف تنظر المسيحية إلى الكيان الصهيوني؟

كمال زاخر، المفكر القبطى ومؤسس التيار العلمانى فى مصر يقول إن المسيحية لا تشترك فى السياسة، «لذلك فرضت عليها هذه القضية لأنها تؤكد على فكرة التعامل السياسى مع الأديان، فهل من المعقول أن يؤخذ رأى الدين فى القضايا التاريخية؟ وهذا – فى رأيه – تعميق لفكرة تديين السياسة. فالصراع الحالى هو فى الأساس صراع على خلفيات دينية، بين مكونين بشريين هما «الفلسطينيون والإسرائيليون»، الاثنان لهما تاريخ قديم جداً فى المنطقة، والصراع يدور على نفس المنطقة والمكان وعلى كل المكان وليس على جزء منه، وليس للمسيحية رأى فى وجود الدول. وإذا اعتمد اليهود على التوراة سيعتمد الفلسطينيون أيضا على التاريخ.

ويضيف زاخر أن الهجرات كانت سمة أساسية فى التاريخ القديم، وبالتالى حدث صراع بين الطرفين، ولكل منهما نفس فكرة الملكية والأصل التاريخي، أعتقد أن الأمر لن يحل على أساس قضية تاريخية، وإلا سيكون من حق العرب المطالبة بحقهم فى الأندلس. المشكلة تقتصر على كونها مبنية على خلفيات دينية. اندلعت الأزمة فى العصر الحديث مع أن الفلسطينيين واليهود عاشوا معاً قبل عام ١٩٤٨. كانوا موجودين ولكن كجزء أساسى من المجتمع، لكن حالياً هناك محاولات سياسية لتوظيف الآليات الدينية لإثبات الحق فى الوجود، المشكلة الحقيقية ليست الصراع الفلسطينى الإسرائيلي. المشكلة هى أن كليهما يطالب بكل الأراضي، وفكرة حل الدولتين مرفوضة من قبل الطرفين.

●كيف ينظر تاريخ الكنيسة إلى الأراضى المحتلة؟

يقول زاخر إن بعض الطوائف المسيحية المقيمة فى الولايات المتحدة تقودها أفكار خاطئة، وتتدخل فى القضايا اللاهوتية المسيحية القديمة، بما فى ذلك فكرة مجئ المسيح الثاني، وتحاول ربط ذلك بطريقة أراها متعسفة، بين مجيء المسيح وعودة اليهود، هذه قضية فيها خلاف كبير، ولا أعتقد أن الكنيسة الشرقية طرف فى هذا الصراع، والحاضرون فى الأمم المتحدة لهم مصالح بشكل أو بآخر مع اليهود، وحيثما توجد القوة يوجد الرأى الأكثر فرضا، وهذا التأصيل الدينى والتاريخى هو نوع من تأجيج الصراع بين الطرفين.

ويؤكد زاخر أن إعادة بناء هيكل سليمان فكرة تتبناها بعض الطوائف على أساسٍ بروتستانتى إنجيلي، وليس جميعها، وبعيداً عن الدين أرى نوعاً من المزايدة وتحميل النص أكثر مما يحتمل. ويقول إن إحدى الآيات الموجودة فى العهد القديم «التوراة» التى تتعلق بمقولة «من النيل إلى الفرات» تقرأ بالضرورة فى سياقها التاريخى ولا تتعلق بالمستقبل. وعما إن كان المسيحيون أكثر ميلاً إلى الجانب الإسرائيلى من الفلسطينيين بسبب إيمانهم بالتوراة؟ يقول: «على العكس، فالمسيحيون أكثر تحفظاً، إن لم يكونوا عدائيين. على الأقل هناك غصة فى حلق المسيحيين، لأن الفهم التاريخى للمسيحية هو أن الذين صلبوا المسيح هم اليهود، ومن الصعب عليهم أن يكون لديهم ميل نحو الأشخاص الذين كانوا سببا فى صلب من يؤمنون به، هذا أمر غير منطقي، وهو نوع من إقحام المسيحية فى الموقف السياسي. السياسة لها أدواتها وآلياتها، لكن فى الدين لا نكره، ومن حق كل مواطن أن يتفق مع الموقف الذى يتوافق مع الأيديولوجية التى يؤمن بها سياسيا وليس دينيا».

يضيف كمال زاخر: «أتعاطف مع الشعب الفلسطينى بشكل كبير لأنه شعب مظلوم ومقهور وبدون حقوق ولا أحد يستطيع أن ينكر أن حماس مقاومة وتسعى لاستعادة حقوقها وحقوق الشعب الفلسطينى سواء الأرض أو حقه فى العيش بسلام، لكن الملاحظة الوحيدة عن حماس هى أنها ترتكز على أساس ديني، والأساس الدينى دائما أحادى الجانب ويرفض إفساح المجال لأجنحة المقاومة الأخرى، وهذا سبب خسارة القضيةٍ وليس مكسبا لها، القضية الفلسطينية تحديداً، وهذا كان واضحاً فى الموقف الدولى العالمى عندما بدأت انتفاضة الحجارة. لقد دعموا القضية الفلسطينية، ولكن بعد ذلك تم اختطاف القضية إلى قضية دينية وتغير الاسم من انتفاضة الحجارة إلى انتفاضة الأقصى، حدث قلق وتردد ، لكن هذا لا يعنى على الإطلاق أن أنكر عليهم حقهم الطبيعى فى الدفاع عن قضيتهم، وكنت أتمنى أن تنشط هذه المقاومة أولاً، وأن تبدأ بإبرام مصالحة عامة بين فصائل المقاومة، لتتحول من جديد إلى مقاومة وطنية فلسطينية على أرضية وطنية وشعبية، فالشعب الفلسطينى يدفع الآن ثمناً لا ذنب له فيه.

ويصف زاخر: رد الفعل العنيف والمستمر للكيان الصهيونى بأنه غير مبرر، ولا يمكن اعتباره مجرد رد فعل، لأن رد الفعل لا يمكن أن يمتد إلى انتهاك الأعراف والقانون الإنسانى والوضعي، وحتى الحروب لها آداب وحدود يجب ألا يخرج عنها المتقاتلون، فاستهداف المستشفيات وسيارات الإسعاف ودور العبادة هو نوع من أنواع البلطجة والجريمة الفظة، وإذا كنا نطالب بمحاسبة حماس على اندفاعها يوم ٧ أكتوبر وأنها لم تكن تحسب النتائج، فإننا نطالب أيضا بمحاكمة إسرائيل أمام محكمة حقوق الإنسان والعدل لأنها لا تراعى أبدا القواعد الإنسانية والمعترف بها للحروب.

الدين اليهودى والكيان الصهيوني

يقول الدكتور إبراهيم رضا، أحد علماء الأزهر الشريف: الكيان الصهيونى لا علاقة له بالدين اليهودي، هو كيان زرعته أجهزة المخابرات العالمية. لقد أراد الغرب أن يتخلص من ذنبه تجاه الشتات اليهودي، خاصة بعد ما فعله هتلر فى ألمانيا، فبدأ الغرب يفكر فى التخلص من عقدهم ومشاكلهم وخلق وطن بديل لهم.

بعدها وقع الاختيار على الأرجنتين أو أوغندا، وبدأ الغرب يتآمر عليها لزرع الكيان الصهيونى هناك، ثم بدأ دور بريطانيا يتراجع فى منطقة الشرق الأوسط مع انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين، وبدأت بريطانيا تروج لفكرة أن أفضل مكان لزرع الكيان الصهيونى هو فلسطين، وعملوا على البعد الديني، لبناء دولة أهم ما يميزها أنها ستكون مختلفة عن كل دول العالم. وهى الدولة الوحيدة فى العالم التى نشأت بقرار أممى وأخذت وعد بلفور عام ١٩١٧، والأمم المتحدة هى التى قررت وجودها، كما أنها دولة استعمارية بلا حدود تقوم على التهام جيرانها، لأنها نظام توسعى قائم على الاستيطان وحاول أن يفعل ذلك مع مصر عندما استولت على سيناء.

●نسأله هل الكيان الصهيونى يعبر عن النبى موسى؟

فيجيب بالطبع لا، لأن الوصايا العشر: لا تقتل، لا تسرق، لا تزن، هى أبعد ماتكون عن دولة الاحتلال، ولا صلة بينها وبين نبى الله موسى، والدليل على ذلك المظاهرات اليهودية التى خرجت فى الولايات المتحدة منددة والصوت اليهودى الذى يقول إن إسرائيل يجب أن تترك الأرض لأصحابها لأنها سرقة، هناك دعم غربى غير مسبوق وحاملات طائرات أمريكية وإيطالية وألمانية وفرنسية، وستظل إسرائيل، سواء باتفاق السلام أو غيره، عدوا، ليس لمصر فقط، بل للشرق الأوسط برمته.

يضيف إبراهيم رضا أنٍ الكيان الصهيونى يحاول إعطاء السرقة لوناً دينياً وإقامة دولة دينية فى وقت تطالب فيه الدول الغربية بتصحيح الخطاب الديني، ففكرة أنهم شعب الله المختار ليست كلمة الله، إنها تصرفات الدولة الاستعمارية وأجهزة المخابرات .

يقول د. إبراهيم رضا: الإسرائيليون كيان غاصب جاء كمجموعات قبل عام ١٩٤٨. وكانت السفن تنزلهم فى حالة يرثى لها وكانوا بحاجة إلى الإقامة ولو لفترة مؤقتة، لدرجة أن الحكومة الفلسطينية استقبلتهم بحفاوة وكرم. وتعتبر هذه هى البداية، إذ ليس لها دولة ولا مكان تجمع من شتات العالم، واليهودى مثل المسيحى له دين، والإسلام يعترف به كدين، أما الإسرائيلى فهو صهيونى وصاحب حركة إجرامية تقوم على القتل والإبادة والتطرف الدينى ومحاولة بناء دولة دينية. الدولة التى قررت جهات استعمارية أن تكون فى قلب العالم العربي، لخلق شرخ بين عرب آسيا (دول الخليج) وعرب أفريقيا حتى لا يتحد العرب ويخلقون ما يسمى بـ"الولايات المتحدة العربية"، ولهذا السبب يرفض الربط بين اليهودية وإسرائيل، لأنه «خلط بين المقدس والمدنس»، فالدين بتعاليمه محترم ومعروف ومحدد، وله نبي، والقرآن قال: «التوراة فِيهَا هُدًى وَنُورٌ» لأن جميع الأنبياء فى نظر الإسلام لهم رسالة واحدة وهى تسليم الوجه لله.

ويضيف: «نحن أمام كيان مرعب وقاتل وتوسعي، وأعتقد أن إسرائيل أداة غربية تهدفٍ إلى تفكيك المنطقةٍ. فأمريكا ليست طرفاً محايداً أو عادلاً أو شريفاً وقد قالت رغم الحرب إنها مع إسرائيل، إن القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة يسمحان لكل من تتعرض أرضه للاحتلال بالدفاع عن نفسه، حماس لم ترتكب عملا إجراميا؛ لقد ارتكبت عملاً مشروعاً من أعمال المقاومة».

ويؤكد رضا: أينما ذهب الكيان الصهيونى فإنه يستخدم الدين لتزييف الحقائق. فقد زعموا أنه يجب هدم المسجد الأقصى من أجل بناء هيكل سليمان مكانه، يظهر التاريخ أن هيكل سليمان لم يكن مكان المسجد الأقصى، وإذا احتل اليهود فلسطين بوعد بلفور فسوف يتركونها بوعد الله، لأن الفلسطينيين متمسكون بدولتهم وعقيدة القتال لا وجود لها عند الإسرائيليين، فالقرآن الكريم قال ليس لهم حق، فمن لا حق له لا عقيدة له فى القتال، أعتقد أنه لا بد من إقامة دولة واحدة من مكون إسرائيلى وعربي. ولكن لن يوافقوا على هذا الحل إلا إذا فرض عليهم. وسوف تصبح دولة واحدة على أساس التعددية والتعاون والمشاركة التى تدعو إليها الدول الغربية.

عن موقف الكنيسة مما يحدث فى غزة يقول د. رضا: «الكنيسة مثل الأزهر. فالناس يطالبون بأن تكون المؤسسات الدينية فعّالة، وليس لدى المؤسسة الدينية سوى الكلمة. ولا تملك القدرة على اتخاذ قرارات الحرب. وهذا هو حال الأزهر والكنيسة، ويقول تاريخ الكنيسة فى مصر إن البابا شنودة له موقف من الاحتلال وتعرض لمحاولات إغراء ورفض الحج إلى الأرض المحتلة، وله موقف مشرف، وكذلك أرى أن الكنيسة لا تتغير، بل ما زالت على طريق البابا شنودة، وهى كنيسة وطنية ضد الاحتلال. موقف الكنيسة لايتسم بالضعف. ولكن يتوقع الناس منها أفعالاً هى من شأن الدول، وليست من شأن الكنيسة.

الشعب المطرود

يقول الباحث الشماس الأكليريكي، أمجد سمير شفيق حنا : فى خضم الأحداث والحرب غير المتكافئة بين إسرائيل وبين الشعب الفلسطينى نجد صوتا صارخا من بين الحجارة «صوت النبوة وصوت عبق التاريخ» يسرد مسيرة هذا الصراع المرير، وقد يظن البعض أن المسيحيين متعاطفون مع اليهود، لكن فى الحقيقة نحن كمسيحيين نعرف حقيقة اليهود أكثر من أى شعوب أو أعراق أخرى، وذلك لدراستنا للكتاب المقدس الذى نؤمن به بعهديه القديم والجديد وهم يؤمنون بالعهد القديم فقط ، هم أذاقوا المسيحيين صنوف العذاب وقاوموا المسيحية بكل الطرق وسلكوا طرقا شتى منها الوشاية عند الملوك أو إحداث الشغب ونشر الأكاذيب ويسجل لنا سفر أعمال الرسل بعض هذه الأضطهادات ، منها القبض على بطرس ويوحنا (أع ٤) وإستشهاد القديس إستفانوس أول شهيد فى المسيحية على أيدى اليهود حيث تحدث مع اليهود وحكى تاريخهم خلال أصحاح ٧ سفر أعمال وشهادة استفانوس (٥١ «يَا قُسَاةَ الرِّقَابِ، وَغَيْرَ الْمَخْتُونِينَ بِالْقُلُوبِ وَالآذَانِ أَنْتُمْ دَائِمًا تُقَاوِمُونَ الرُّوحَ الْقُدُسَ. كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذلِكَ أَنْتُمْ ٥٢ أَيُّ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهِدْهُ آبَاؤُكُمْ؟ وَقَدْ قَتَلُوا الَّذِينَ سَبَقُوا فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ، الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ وَقَاتِلِيهِ، ٥٣ الَّذِينَ أَخَذْتُمُ النَّامُوسَ بِتَرْتِيبِ مَلاَئِكَةٍ وَلَمْ تَحْفَظُوهُ». ٥٤ فَلَمَّا سَمِعُوا هذَا حَنِقُوا بِقُلُوبِهِمْ وَصَرُّوا بِأَسْنَانِهِمْ عَلَيْهِ.) (أع ٧: ٥١– ٥٤).

ويكمل أمجدَ: نجد فى التاريخ سجل لنا كتاب السنكسار الذى يحتوى على سير القديسين تذكار القديسة مطرونة التى استشهدت فى العاشر من شهر توت المبارك كانت خادمة لإمرأة يهودية وكانت مطرونة مسيحية عن آبائها وكانت سيدتها تغريها بإعتناق الديانة اليهودية فلم تقبل ولذلك كانت تهينها وتثقل عليها الخدمة وفى بعض الأيام اوصلت سيدتها إلى مجمع اليهود ثم عادت فدخلت بيعه المسيحيين ولما سألتها سيدتها إلى أين ذهبت؟ ولماذا لم تدخلى مجمعنا ؟ أجابتها القديسة إن الكنس التى لكم قد أبتعد الله عنها فكيف ادخله؟ وأنما المكان الذى يجب الدخول إليه هو البيعة التى اشتراها السيد المسيح بدمه فغضبت سيدتها لذلك وضربتها ضربا شديدًا ثم حبستها فى موضع مظلم ومكثت فيه أربعةٍ أيام بلا أكل ولا شرب ثم أخرجها وضربتها ضربا موجعا واعادتها إلى الحبس فتنيحت فيه فأخذتها سيدتها بعد موتها إلى أعلى مسكنها وألقتها إلى أسفل ليقال أنها سقطت عفوا لأنها خافت أن تطالبها الحكومة بدمها فداهمها السخط الإلهى فذلت قدمها وسقطت إلى أسفل وماتت.

الانجيل والتوراة

يرى أمجد أن الصراع الحالى صراع سجله الكتاب المقدس منذ عصر شمشون وكيف حارب الفلسطينيين

٣٠ وَقَالَ شَمْشُونُ: «لِتَمُتْ نَفْسِي مَعَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ». وَانْحَنَى بِقُوَّةٍ فَسَقَطَ الْبَيْتُ عَلَى الأَقْطَابِ وَعَلَى كُلِّ الشَّعْبِ الَّذِي فِيهِ، فَكَانَ الْمَوْتَى الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي مَوْتِهِ، أَكْثَرَ مِنَ الَّذِينَ أَمَاتَهُمْ فِي حَيَاتِهِ. (سفر القضاة١٦ :٣٠) وكذلك الحروب بين شَاول بن قيس أول ملك على بنى إسرائيل والفلسطينيين والذى ملك أربعين سنة ٥ وَتَجَمَّعَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِمُحَارَبَةِ إِسْرَائِيلَ، ثَلاَثُونَ أَلْفَ مَرْكَبَةٍ، وَسِتَّةُ آلاَفِ فَارِسٍ، وَشَعْبٌ كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي الْكَثْرَةِ. وَصَعِدُوا وَنَزَلُوا فِي مِخْمَاسَ شَرْقِيَّ بَيْتِ آوِنَ. (١صم ١٣:٥) كَما تَظهر قصة داود وجليَات الفلسطينى مدى الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين منذ مملكة داود الذى حكم بنى إسرائيل أربعين عاما.

ويضيف: الله جل اسمه طرد هذا الشعب من رحمته لأنه شعب عنيد قال عنه أشعياء النبى ٢ اِسْمَعِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَأَصْغِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ، لأَنَّ الرَّبَّ يَتَكَلَّمُ: «رَبَّيْتُ بَنِينَ وَنَشَّأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ. ٣ اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ». ٤ وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ، الشَّعْبِ الثَّقِيلِ الإِثْمِ، نَسْلِ فَاعِلِي الشَّرِّ، أَوْلاَدِ مُفْسِدِينَ تَرَكُوا الرَّبَّ، اسْتَهَانُوا بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ، ارْتَدُّوا إِلَى وَرَاءٍ. سفر إشعياء٤-١ :٢

وقد قاوم اليهود تعاليم السيد المسيح فكان دائم التبكيت لهم على أفعالهم

٧ يَا مُرَاؤُونَ حَسَنًا تَنَبَّأَ عَنْكُمْ إِشَعْيَاءُ قَائِلاً: ٨ يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ، وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا. ٩ وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ». إنجيل متى٩-١٥ :٧

وجاء فى انجيل متى ٢٣ ويلات عديدة للكتبة والفريسيين وختمها السيد المسيح أن اليهود سيكونون مشردين فى العالم كله

٣٧ «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا ٣٨ هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا. إنجيل متى٣٨-٢٣ :٣٧

وهكذا تشرد اليهود فى كل بقاع الأرض هذا الشعب المتكبر الذى يقف اليهودى منه يصلى ويشكر ربه أنه لم يخلقه أمميا ولم يخلقه إمرأة وبدأوا يتجمعون منذ عام ١٩١٧م بخطة مدروسة ودعم من قوى عظمى فى المنطقة وظهر الكيان الصهيونى فى صورة عصابات مسلحة ويسعون لبناء الهيكل ويذهبون ليبكون مملكة إسرائيل البائدة عند حائط المبكى هذا الشعب الذى لم يعرف الرحمة فطرد من مراحم الله ولن يقم لهم قائمة واليهود هم أشد أعداء المسيحيين وكذلك المسيحيين يدركون حقيقة هذا الشعب.

ويضيف الباحث قائلا: «ما زال اليهود يكرهون المسيحيين وينتظرون المسيح حتى الآن. ولعل أمريكا هى التى تفضل اليهود بسبب اقتصادهم ومعاملاتهم ومصالحهم، وهذا الاتهام يلحق بالمسيحيين كنوع من خلط الدين بالسياسة، وعندما تنتشر مثل هذه الشائعة فى الشرق الأوسط فإن ذلك يجعل بقية الشعوب ضد المسيحيين، وهذه صناعة غربية، العدو الرئيسى للمسيحيين هم بنى إسرائيل، وقبل ذلك يجب التمييز بين اليهودية كدين والعصابات الصهيونية التى بدأت مع نزوح إسرائيل إلى الشرق الأوسط.

تحقيق - مادونا شوقى

ممارسات إسرائيل تقطع طريق الحج المسيحى

الكنيسة القبطية تتجاهل إعلان مصير الحج هذا العام ومصادر تؤكد: الجهات الأمنية أوقفت الرحلات

ممارسات إسرائيل تقطع طريق الحج المسيحى

أمجد سمير: الحجاج المسيحيون المصريون يتجنبون التعامل مع سلطات الاحتلال الإسرائيلي

لا تفصلنا سوى أيام قليلة عن موسم الحج المسيحى إلى القدس المحتلة، والذى يتزامن مع احتفالات عيد القيامة المجيد، وبعد أحداث ٧ أكتوبر وما تبعه من حرب وحشية ضد غزة، بدأ البعض يتساءل عن مصير الحج هذا العام بعد إهمال الكنيسة إصدار أى بيان بخصوص هذا الحدث.

وبدأ البعض فى عقد مقارنة بين مواقف البابا شنودة الذى رفض زيارة القدس تضامنا مع أهل فلسطين، وموقف البابا تواضروس الذى اعتبره البعض سلبيا. وهو ما جعل البعض يطرح تساؤلات حول مصير الحج.

ويتوجه الأقباط للحج إلى القدس المحتلة خلال فترة رأس السنة، وأغلبهم يزورون القدس فى شهر إبريل من كل عام لرؤية النور المقدس يوم سبت النور.

وعلق المؤرخ إبرام راجي، المتخصص فى التاريخ الكنسى أن المنع بدأ أيام البابا كيرلس عندما وقع عدوان ١٩٦٧. فقد منع البابا الزيارات إلى القدس. وبعد ذلك جاء البابا شنودة ونفذ وأكمل قرار البابا كيرلس، وتسبب هذا فى أكبر صدام بين البابا شنودة والسادات، لأنه رفض الذهاب معه إلى القدس، وكان تبرير البابا هو كيف يمكن للأقباط الذهاب إلى القدس والموقف العربى كله معادى لإسرائيل، وكانت كل الدول تقاطع مصر بعد اتفاقية السلام، وعندما أعلن السادات فى مجلس الشعب استعداده للذهاب إلى إسرائيل، أصابت العالم العربى كله حالة صدمة، فقرر البابا شنودة منع زيارة القدس، وكانت هذه بداية الصدام بينه وبين السادات.

وبعد ذلك جاء البابا تواضروس الثانى وفتح الباب مع بداية انفتاح الرئيس السيسي، وكانت الخطوة الأولى وقت رحيل الأنبا أبراهام أسقف القدس، ولما تنيح ذهب البابا مع وفد كبير من مطارنة وأساقفة الكنيسة القبطية وصلى وزار القدس. أما البابا شنودة فقد فرض عقوبات على كل من يزور القدس، كما كانت هناك قيود أمنية مشددة على كل من يزور القدس فى ذلك الوقت. لقد كان البابا شنودة قائدا لأمه وليس فقط قائدا للكنيسة.

ولم يعلن البابا تواضروس وقف الرحلات إلى القدس، وكان على الكنيسة القبطية أن تعلن التضامن مع أهلنا فى فلسطين وتوقف رحلات التقديس هذا العام، لكن ذلك لم يحدث والقرار الذى صدر كان من الجهات الأمنية فى الدولة بمنع الرحلات حفاظاً على سلامة المصريين من الحرب.

وأضاف إبراهام راجي: كان ينبغى على الكنيسة أن تصدر قرارا، ولو صوريا . ففى زمن انتفاضة الأقصى فى التسعينيات، فتح البابا شنودة باب الكاتدرائية وأحضر مشايخ الأزهر وعلمانيين ومفكرين، وعقد مؤتمرا كبيرا أعرب فيه عن التضامن مع أهلنا فى فلسطين.

وقال الشماس الأكليريكى أمجد سمير شفيق (دياكون بطرس) الباحث فى التاريخ القبطي: إن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تنظر بعين البصيرة والحكمة تجاه قضية القدس، بدءاً بمثلث الرحمة، قداسة البابا شنودة الثالث، الذى أصدر قراراً بعدم الذهاب إلى القدس لأنها تحت سلطة الاحتلال الإسرائيلي، وكان موقفه واضحا وهو منع التطبيع مع إسرائيل، وذلك من الناحية الوطنية، رغم علمه بمكانة القدس عند الشعب القبطي، لقيمة الأماكن المقدسة، وكانت هناك بعض العقوبات الكنسية لمن يخالف هذا القرار، وكذلك بسبب المقدسات التى نقدسها هناك، ومشكلة دير السلطان التى لا تزال موجودة حتى الآن، وبعد نياحة البابا شنودة الثالث، جاء البابا تواضروس الثانى خلفا له على كرسى القديس مرقس الرسول، وكان يجيز أو لا يحرم أى شخص ذهب إلى القدس، وفى الظروف الحالية لم تصدر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ممثلة بالمتحدث الرسمى باسم الكنيسة، قرارا، بمنع أى شخص من الزيارة، فدور الكنيسة هو النصح وليس المنع وتقديم التوجيه حرصا على مصلحة أبنائها وحفاظا على حياتهم، نظرا لما يعانيه الشعب الفلسطينى من قمع وعدوان على يد الاحتلال الإسرائيلى الغاشم.

وتابع سمير: سلطات الاحتلال الإسرائيلى تتعامل مع الحجاج المصريين بطريقة محترمة، ولا يوجد أى تبادل أو قنوات اتصال بين الحجاج والسلطات. وأيضا، بسبب الشعور الداخلى لدى أقباط مصر بعدم الراحة من التعامل مع السلطات الإسرائيلية وتاريخ العداء، ومن شعور الأقباط ووطنيتهم، يتجنب الحجاج التعامل معهم، ولا يحق للكنيسة أن تمنع ذلك من منطلق حرية الإرادة، والله يحمى شعبه ويدعم ويعين مواطنى غزة العزل، و يوفق الجميع فى دعم الإنسانية.

إبرام راجي: البابا شنودة كان قائدا لأمة وليس للكنيسة فقط والبابا تواضروس لم يوقف الرحلات إلى القدس

رفعت فكري: زيارة القدس مسألة شخصية جداً ولا يحق للكنيسة أن تشجعها أو ترفضها

ويرى القس رفعت فكري، الأمين العام المشارك بمجلس كنائس لشرقٍ الاوسط: إن مسألة زيارة القدس هى مسألة شخصية جداً، ولا يحق للكنيسة أن تصدر أى بيانات، لا مشجعة ولا رافضة. كل مواطن حر، من يريد زيارة الأماكن المقدسة وكنيسة القيامة والأماكن التى سار فيها السيد المسيح، وهذه حرية شخصية ولا يمكن لأحد أن يتدخل فيها إطلاقاً. فمجرد زيارة الإنسان للقدس لا يعنى أنه يؤيد أى ظلم، ولا ينبغى تفسير ذلك على هذا النحو. هذه زيارات للأماكن المقدسة.

وتابع رفعت: لا يمكن للكنيسة أن يكون لها رأى فى هذا الأمر، ولا يحق لأحد أن يتدخل فى أمر لا يعنيه، ولا أفهم لماذا نعتبر الزيارة للقدس احتفالا، فربما يذهب الناس للصلاة والتضامن مع إخوانهم المسيحيين والمسلمين فى القدس، ويمكن تفسير رحلات القدس على أنها دعم للشعب الفلسطيني.

وأضاف أن الاحتفالات عبارة عن أدعية ومواعظ وحديث عن السلام ونبذ العنف، فالترانيم هى عبادة وصلوات وطلبات للسلام، سنحتفل بالسلام والقيامة، وهذا لا يعنى أننا نؤيد إسرائيل أو نؤيد الظلم. بل على العكس من ذلك، نحن نتضامن مع كل المظلومين ضد أى عنف وإرهاب وسفك للدماء.

ولم يتم الإعلان حتى الآن بالقدس عن تفاصيل الاحتفال بسبت النور هذا العام، وكانت قد أعلنت لجنة الستاتكو الكنائسية فى القدس العام الماضى الاحتفال بأحد أهم الطقوس الدينية فى المسيحية – سبت النور – أنه سيتم تقييده بشكل غير مبرر من قبل الشرطة.

واصدرت بيانا جاء نصه: «يمثل أسبوع الآلام الذى نعيش أيامه الآن الأسبوع الأقدس فى الحياة المسيحية، إذ نستذكر الأحداث التى أدت إلى صلب السيد المسيح، ونتذكر فيه قيامته المجيدة . إن الاحتفال بطقوس سبت النور، لهى لحظة عظيمة تربط المؤمنين بنور السيد المسيح. وقد جرت هذه الطقوس المفعمة بالإيمان فى كنيسة القيامة المقدسة منذ حوالى ٢٠٠٠ عام، حيث تجذب هذه الشعائر المسيحيين من جميع أنحاء العالم. فى كل عام، تُنسق الكنائس مع السلطات القائمة مجريات الشعائر لضمان تنظيمها بسلاسة ودون مشاكل. وفى العام الماضى لاحظنا إقدام السلطات الإسرائيلية على فرض حواجز مشددة فى جميع أنحاء البلدة القديمة، مما جعل من المستحيل على الحجاج وأبناء كنائسنا حضور طقوس سبت النور المقدس فى كنيسة القيامة المقدسة، الأمر الذى حال دون حريتهم فى العبادة ومشاهدة معجزة القيامة. هذا العام، وبعد العديد من المحاولات التى بذلناها بحسن نية لم نتمكن من التنسيق مع السلطات، حيث أن السلطات الإسرائيلية تريد ان تفرض قيودًا غير مبررة وغير مسبوقة على وصول المؤمنين إلى كنيسة القيامة – أكثر بكثير من العام الماضي. وهذه الاجراءات القاسية ستقيد الوصول إلى كنيسة القيامة والمشاركة فى طقوس سبت النور. كما ان الشرطة تريد تحميل العبء بشكل غير عادل وغير لائق على الكنائس لإصدار الدعوات اللازمة فى الوقت الذى تقوم الشرطة بفرض شروط غير معقولة على الكنائس، التى فى حال التزمت بها، فإنها ستمنع المصلين من الوصول الى الكنيسة، وخاصة ابناء كنائسنا المحلية وهذا يجعل من الصعب التنسيق مع الشرطة. ونحن بطريركية الروم الأرثوذكس، وحراسة الأراضى المقدسة، وبطريركية الأرمن، نؤكد بوضوح فى بياناتنا المختلفة، أننا سنواصل الالتزام بالعرف القائم «الستاتكو» ، وسيتم إقامة الطقوس كالمعتاد منذ ألفى عام، وندعو كل من يرغب فى العبادة معنا للحضور. وبعد هذا التوضيح، نترك السلطات لتتصرف كما تراه، وسوف تقوم الكنائس من جانبها بالعبادة بحرية وبسلام».

تحقيق - مادونا شوقى

المشهد
العدد 334 - السنة الثالثة عشر- الأحد 28 أبريل 2024 م - 19 شوّال 1445هـ

قالت العرب

ويجعل حاضرى غدها أعزّ عليّ من روحى / وأنسى بعد حين فى لقاء العين
بالعين بأنّا مرة كنّا وراء الباب إثنين / كلامك كان أغنية وكنت أحاول الإنشاد و
لكن الشقاء أحاط بالشفة الربيعيّة

الحبس الاحتياطي.. عقاب المتهم قبل النظر فى قضيته!

«المتهم بريء حتى تثبت إدانته» هكذا تقول القاعدة القانونية، ولكن للحبس الاحتياطى كلمته، فالمتهم محبوس حتى قبل النظر فى قضيته، وربما يصل الأمر إلى عامين كاملين، لن يعوضهما شيئا، حتى وإن برئت ساحتك كمتهم لاحقا.

(ع.م) شاب فى مقتبل العمر، ألقى القبض عليه بتهمة الانتماء إلى جماعة محظورة، ونشر أخبار كاذبة، بينما كان يستقبل طفلته الأولى، ويعمل طباخا، بأحد الفنادق، مستقرا فى عمله فى قطاع السياحة حيث درس، وأحب.

فجاة تنقلب حياته رأسا على عقب بإلقاء القبض عليه، حيث تم فصله من عمله، نظرا لتغيبه المستمر، والذى لايمكن إثباته، فى حال إخفائه قسريا، ومع ظهوره كان الأوان قد فات، ومع وجود زوجة وطفلة، مسؤولين منه، اضطر والداه الطاعنان فى السن، إلى بيع شقتهم، واستئجار أخرى للحصول على بعض من الأموال، تعينهم على مصاريف الزيارة، وكذلك مولودته الصغيرة، التى تعتمد على اللبن الصناعي، بعد ان دخلت الام فى نوبة اكتئاب كبيرة، نتيجة غياب الزوج.

أخيرا بعد عامين خرج الزوج – الابن إلى النور، دون محاكمة، يتبين منها ذنبه، ولكن ما ضاع منه يتجاوز العامين من العمر، ومطلع الشباب، فالخسائر المادية، يوازيها شعور بثقل المسؤولية، والطفلة التى لا تتعرف عليه، فضلا عن صعوبة إيجاد فرصة عمل خاصة فى القطاع السياحي، فضلا عن الوصم، وتخوف المحيطين منه، خسائر تمنى معها العودة إلى السجن مرة أخرى.

(ع.م) ليس الحالة الوحيدة كما ان الحنين إلى السجن هربا من المسؤولية، شعور عبر عنه الكثير من الشباب الذين نالوا حريتهم نظريا، ولكنهم لم يستطيعوا تنفسها، فيما يستحوذ حبسهم الاحتياطى على الباقى من أعمارهم، فسواء كنت مذنبا أم لا، فخسائرك مؤكدة، بعد ان أصبح عقوبة فى حد ذاته.

وبحسب مواد الدستور، من الضرورى الإبلاغ الفورى لكل من تقيد حريته بأسباب تقييد الحرية، وإحاطته بحقوقه كتابة، وتمكينه من الاتصال الفورى بذويه وبمحاميه، وحظر بدء التحقيق معه دون حضور محام، ويقر حق التظلم القضائى لمقيد الحرية، ويوجب الإفراج الفورى فى حال عدم الفصل فى التظلم خلال أسبوع من بدء تقييد الحرية، مما يضمن أن يكون تقييد الحرية فى أضيق نطاق ممكن ولأقصر فترة ممكنة.

كما يلزم الدستور أيضا بتوفير المساعدة القانونية، وبكفالة وسائل الإتاحة فى الأماكن المخصصة الاحتجاز ذوى الإعاقة أو حبسهم، كذلك يتضمن قانون الإجراءات الجنائية ضمانات تحيط الحرية الشخصية بسياج من الحماية القانونية لاسيما عند القبض على الأشخاص أو تفتيشهم فيمتنع حصولهما إلا فى أحوال التلبس بالجنايات، والجنح المعاقب عليها بالحبس مدة تزيد على ثلاثة أشهر إذا وجدت دلائل كافية على اتهامهم، أو وجود إذن قضائى مسبب.

ورغم المواد الدستورية الواضحة فى أغلبها خصوصا فى يتعلق بتقييد الحرية، فإن التشريع المصرى لم يضع فى حقيقة الأمر تعريفا محددا للحبس الاحتياطي، وإنما اكتفى بشكل مباشر بإيراد قواعد تعالج موضوع الحبس الاحتياطى فى قانون الإجراءات الجنائية.

ومن جانب أخر تعددت التعريفات التى تناولت الحبس الاحتياطى فى اجتهادات الباحثين المصريين خصوصا القانونيين والتى منها تعريفه بأنه عبارة عن سلب حرية المتهم مدة من الزمن تحددها مقتضيات التحقيق ومصلحته وفق ضوابط قررها القانون.

ألفاظ واسعة وتهم مطاطة

«أحبطت السلطات المصريّة العدالة النزيهة من خلال تقويض شروط مراجعة القاضى لما إذا كان ينبغى ترك شخص فى الحبس الاحتياطي. يتعيّن على السلطات إلغاء نظام تجديد الاحتجاز عن بعد، وإصلاح ممارسات الحبس الاحتياطى التعسفيّة، وضمان الحقوق المتعلّقة بالإجراءات القانونيّة الواجبة». (من تقارير منظمة هيومن رايتس ووتش الحقوقية)

محمد عبيد المحامى بالمفوضية المصرية لحقوق الانسان اعتبر أن إشكالية الحبس الاحتياطي، تعتمد على لغة وصفها بالواسعة المطاطة التى تميز أغلب المواد المنظمة للمسألة، ويتم استغلالها خصوصا فى تهمة نشر الأخبار الكاذبة، وقضايا الرأى عموما.

من جانب آخر فند عبيد مبررات الحبس الاحتياطى وقال إنها لا تنطبق تماما على قضايا الرأي، ومع ذلك يتم الزج بهم فى السجون حتى يستنفدوا الحد الأقصى، وهو فترة العامين، بالمخالفة لمواد الدستور والقانون.

ووضع القانون شروطا ومبررات للحبس الاحتياطى والتى تتمثل فى الخوف من هروب المتهم، او أن يكون لا يملك عنوانا محددا للوصول إليه، وهو بحسب عبيد ما لا يتوافر فى مسجونى قضايا الرأى على الاطلاق، وتعضده مواد الدستور الخاصة بالحريات الشخصية.

وفى محاولة للحل اقترح عبيد تنقيح القوانين بحيث تظهر أكثر وضوحا، وتحديدا فعلى سبيل المثال يمكن الحد من صلاحية القاضى فى مسألة مبررات الحبس، فلا يكون أمامه الاختيار بالأساس، كذلك مسألة التلبس التى تمنح السلطة التنفيذية، صلاحيات واسعة فيها ، والتى بدورها يمكن إساءة استغلالها.

من جانب آخر لفت عبيد إلى خطورة الاعتماد على التكنولوجيا فى تجديد الحبس للمتهمين، ويرى أن التجديد عبر الدوائر التلفزيونية يجب أن يكون محل نظر، حيث يعتمد قرار تجديد الحبس من عدمه على وجود المتهم أمام القاضي، وبعيدا عن أى ضغوط من الممكن أن يلقاها داخل محبسه، حتى يستطيع التعبير بمنتهى الحرية عن أسبابه، أو حتى معاناته.

كذلك لفت عبيد إلى ان مصر من الدول التى لا تملك بنية تحتية مناسبة لتلك التكنولوجيا، «والسيستم على طول واقع» على حد تعبير عبيد، فالأمر يحتاج إلى أكثر من مجرد قرار نظري.

(يجدر الإشارة إلى ان وزير العدل عمر مروان أصدر فى ديسمبر ٢٠٢١ «القرار قم ٨٩٠١ لسنة ٢٠٢١» الذى بات يسمح للقضاة بعقد جلسات النظر فى تجديد الحبس الاحتياطى عن بعد «باستخدام التقنية»، «مع مراعاة كافة الضمانات القانونيّة»، وبحسب «هيومن رايتس ووتش» لم يشرح هذا القرار ما الذى تنطوى عليه هذه الضمانات، وصلة هذا الإجراء بأى أحوال طارئة أو بأى ظرف محدد. بحسب بيان رسمى صادر عن وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات وإلى تقارير إعلامية، بدأت السلطات فى استخدام هذا النظام على نطاق ضيّق فى أكتوبر ٢٠٢٠ أثناء جائحة «كورونا»).

بدوره أشار عبيد إلى أن أى تعديل لا يمكن الأخذ به فى ظل قانون الطوارئ، الذى يمنح السلطة التنفيذية صلاحيات واسعة، يتعطل معها الكثير من القوانين، والمواد الدستورية.

مطاطية الألفاظ وتوسعها فى مواد القانون، بالنسبة لعبيد تظهر أيضا فى العديد من التهم التى اعتبرها جاهزة مثل تهمة نشر الأخبار الكاذبة، والتى لم يبين القانون معيارها كما يفترض بالنص الجنائى كأحد شروط إجازته، أو كلمات فضفاضة مثل ما شأنه تكدير السلم العام، والتى لا يمكن تضمينها فى صياغة نص عقابى يفترض فيه وضوح، وجلاء أركانه المادية، والمعنوية.

كما أن النص نفسه مستوحى من قانون استثنائى تم اجازته سنة ١٩٥٦، وكان بهدف مواجهة فكرة نشر أخبار كاذبة أو اشاعات تخص القوات المسلحة، وقت الحرب، واجمالا يخالف القانون المواثيق الدولية جميعا التى سبق وأن وقعت عليها مصر، والتى تنص على الحق فى حرية الرأى والتعبير.

ضوابط ضرورية

على النقيض من الرأى السابق يرى المحامى بالنقض محمد حسن سليمان أن الحبس الاحتياطى قد يكون شرا لابد منه فى بعض القضايا، خصوصا الجنائية الوخيمة، والممتدة الأثر، كحالة القتل، والسرقة، وماعلى شاكلتهما، من جرائم تستوجب مكوث المتهم فى السجن، لضمان عدم العبث بالأدلة، أو حتى أحيانا عدم ترهيب الشهود، فضلا عن حمايته هو شخصيا فى حالات الثأر.

وجوب الحبس فى بعض القضايا، لايراه سليمان مناقضا لفكرة تقنينه، والإسراع فى إجراءاته، إذ يشدد على ضرورة العمل على تقليل مدة الحبس الاحتياطى من عامين إلى ستة شهور، كأقصى مدة، وكما طالب الكثير من الفقهاء بذلك، ومنذ عشرين عاما.

وأقر سليمان بأن عامين من الحبس مدة ليست بالهينة على المتهم، وأسرته، كما أن تبرئة ساحته فى نهاية الأمر أمر وارد جدا، وعليه يكون عقابه بالحبس أمرا غير منصف على الإطلاق، كما ان المطالبة بالتعويض عن تلك المدة وبحسب القوانين الحالية ينتج عنها مبالغ زهيدة جدا، لا تعوض خسارته المادية والمعنوية والوصم الذى يحيط به لسنوات أطول.

وضرب سليمان مثالا بالاستئناف الجنائي، الذى سعى الفقهاء القانونيون لجعله مبدأ عاما، وأخيرا تم إقراره، ولكن بعد عقود من مناقشته، والمطالبة به، متمنيا ان تلاقى قضية تقليص مدة الحبس الاحتياطي، والعمل على إيجاد بدائل له نفس المصير.

فى الوقت نفسه لفت سليمان إلى إشكالية جادة تواجه المحبوسين احتياطيا، والتى أهمها قلة الدوائر المعنية بها، والكثافة الموجودة بها، ويلفت إلى ان قضاة التجديد لايملكون أى وقت للاطلاع على تلك القضايا، والحسم فيها، نتيجة أنهم مشغولون بقضاياهم الطبيعية صباحا، والتى تصل إلى العشرات فى اليوم الواحد، وقال: « ليس من المعقول ان نطالب القاضى فى نهاية يوم عمل شاق بالتدقيق فى قضايا التجديد أيضا التى ينظرها بعد الظهر من نفس اليوم، فيكتفى بالاستماع إلى مبررات الحبس ويكتفى بتجديد أمر الحبس غالبا».

وأقترح سليمان عمل دوائر جنائية مختصة بأوامر التجديد، وفصلها عن دوائر الحكم الطبيعية، التى تتناول قضايا يتم النظر فيها، فضلا عن تحويل القضية للنظر خلال شهر، حتى لا نطيل على المحكوم، وجهات دفاعه، ونخفف من كثافة السجون بدورها.

فى مسألة الاقتصاد فى مدة الحبس الاحتياطى التى أوردها سليمّان، جدير بالذكر أنه وخلال الشهر الجارى «أبريل» عقدت اللجنة العامة لمجلس النواب، اجتماعاً للاطلاع على آخر ما استقر عليه الرأى فى اللجنة الفرعية المشكلة لصياغة قانون «الإجراءات الجنائية» الجديد.

وتتضمن التعديلات التى أعدتها اللجنة وضع حد أقصى لمدة الحبس الاحتياطي، وتنظيم حالات التعويض عنه تحقيقاً للغاية من كونه «تدبيراً احترازياً» وليس «عقوبة»، وقلصت التعديلات مدة الحبس الاحتياطى لتصبح فى قضايا الجنح ٤ أشهر بدلا من ٦ شهور، وفى الجنايات ١٢ شهراً بدلا من ١٨ شهراً فى القانون الحالي، وأيضا ١٨ شهرا بدلا من عامين، إذا كانت العقوبة المقررة للجريمة السجن المؤبد أو الإعدام.

وكان عضو مجلس أمناء «الحوار الوطني» المحامى الحقوقى نجاد البرعى قد دعا إلى «إجراء حوار موسع حول مشروع القانون الجديد»، واقترح البرعي، فى منشور عبر صفحته على «فيسبوك»، أن «تقوم لجنة حقوق الإنسان بمجلس النواب بتنظيم جلسات استماع عامة ومذاعة، يشارك فيها محامون وأساتذة قانون جنائي، وأحزاب سياسية»، على أن يتم تجميع تلك المقترحات، وتشكيل لجنة مصغرة من أعضاء لجنة حقوق الإنسان فى مجلس النواب وحقوقيين وأساتذة القانون الجنائى لصياغتها، ويتم إعادة إرسالها إلى القضاة ووكلاء النيابة ومصلحة السجون واستطلاع آرائهم فيها وطلب تعليقاتهم عليها».

كما اقترح البرعى أن تقوم اللجنة التشريعية بعد ذلك بصياغة مشروع متكامل للحبس الاحتياطى والتعويض عنه، والتدابير البديلة، وعرضه على لجنة مصغرة من أصحاب المصلحة والفنيين.

«لم يعد يخلى سبيل أحد»

بحسب رصد الجبهة المصرية لحقوق الإنسان فخلال عام ٢٠٢٣ لأداء دوائر الإرهاب فى مرحلة ما قبل المحاكمة، توقفت تقريبًا دوائر الإرهاب عن إخلاء سبيل المتهمين فى قضايا أمن دولة.

عام ٢٠٢٣ نظرت ٣ دوائر إرهاب فى ١٢٧ جلسة ما لا يقل عن ٣٥٩٦٦ قرار تجديد حبس موزعين على ٣١٦٦ قضية أمن دولة (وعدد آخر غير معلوم فى ١٣ جلسة)، حيث أصدرت الدوائر ما لا يزيد عن قرارات إخلاء سبيل ٣ متهمين فقط، بنسبة لم تصل حتى إلى ٠,١ ٪ من إجمالى أوامر الحبس المنظورة أمامها، فى حين أصدرت قرارات بتجديد الحبس تلقائيًا لمدة ٤٥ يوما لباقى المتهمين، فى انخفاض شديد لأعداد إخلاءات السبيل مقارنة بالثلاثة أعوام الماضية على الأقل.

وفيما يخص أعداد المسجونين عموما فإن آخر تقرير سنوى يخص عدد السجناء أصدره «قطاع مصلحة السجون» التابع لوزارة الداخلية يعود إلى التسعينات، وفى السنوات الأخيرة تكرر رفض مسؤولين كبار، منهم الرئيس عبد الفتاح السيسي، الإجابة عن أسئلة الصحفيين حول أعداد السجناء، بمن فيهم المسجونين احتياطيا.

المحامى الحقوقى محسن بهنسى يعتقد أن زيادة أعداد المساجين خلال السنوات الأخيرة، ترجع إلى المغالاة فى استغلال أداة الحبس الاحتياطي، خصوصا فى قضايا الرأى التى لا يجب أن يكون تقييد الحرية نتيجة لها.

بهنسى يؤكد أن الأصل فى الحبس الاحتياطى هو كونه إجراء استثنائيا، مؤقت المدة، قبل الفصل فى موضوع الاتهام، واصفا قانون الإجراءات الجنائية بالمعيب، حيث لا يحترم الاتفاقيات الدولية، كونه يسند مسالة امر الحبس إلى النيابة قبل القضاء، وهو ما فيه تعارض، وتداخل بين السلطات.

ويسمح القانون بإبقاء المحتجزين فى الحبس الاحتياطى لمدة تصل إلى عامين، وطبقا لبهنسى قد تتجاوز مدة الاحتجاز ذلك، تذرعا بقانون الإرهاب، وذلك دون مبررات قانونية كافية وضعها القانون نفسه، حيث لا يتوقع مثلا فى قضايا الرأى أن يهرب المتهم، أو يعبث بالدلائل، فيضيفون عليها سمة الجريمة، والجناية، رغم الطابع السياسى للفعل.

ويتعجب بهنسى من أن جرائم مثل السب والقذف، او حتى الإساءة، ونشر الأخبار الكاذبة، كتهمة أشهر، قد تستدعى وضع المواطنين قيد الاحتجاز على مدار عامين كاملين، فى اغلبها لا تنتهى بمحاكمة عادلة، وتخلص إلى إخلاء السبيل، ما يجعل الحبس الاحتياطى بحد ذاته أداة للعقاب، فى حين ان الأصل الدستوري، ان المتهم برئ حتى تثبت إدانته، وختم: «وبهذا نتخلص من الأصل ونستغنى عنه بالقوانين الاستثنائية، التى عادة ما تجنح إلى تقييد حرية الإنسان».

وبحسب منظمات مصرية حقوقية ودولية مثل «العفو الدولية» وهيومن رايتس ووتش» ينبغى للسلطات المصرية إنشاء قاعدة بيانات على الإنترنت تكون متاحة لعائلات المحتجزين كى تتمكن من تحديد مكانهم بسهولة ومتى يُنقلون وأين، وكذلك الوصول إلى معلومات حول وضعهم الصحى والقانوني. كما ينبغى للسلطات أيضا السماح للمنظمات بزيارة مراكز الاحتجاز، وإنشاء سلطة مستقلة لمراقبة السجون والتحقيق فى ادعاءات سوء المعاملة، ونقل صلاحية إدارة السجون من وزارة الداخلية إلى وزارة العدل.

محمد عبيد: قوانين الحبس الاحتياطى واسعة ومطاطة وتنقيحها ضرورة

محمد حسن سليمان: الحبس الاحتياطى شر لابد منه ولكن يمكن تقليل مدته

محسن بهنسي: تجاوزنا الأصل واكتفينا بالقوانين الاستثنائية

تحقيق: أسماء زيدان

الجارديان: هكذا تم إيقاف هجوم إيران على إسرائيل

تم احباط هجوم ضخم بالطائرات المسيرة والصواريخ من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلى بمساعدة منسقة من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والأردن.

أحبط هجوم إيران المتوقع بشدة عبر الصواريخ والطائرات المسيرة بمساعدة من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة والأردن، بجانب جيش الاحتلال الإسرائيلي، حيث تم التأكد من تعطيل معظم الصواريخ الباليستية على مدار الليل.

صرحت قوات الدفاع الإسرائيلية بأن حوالى ٣٦٠ صاروخًا وطائرة مسيرة تم إطلاقها من إيران، وأن «٩٩٪ من التهديدات» تمت تعطيلها فى مهمة دفاع ناجحة قد تكلف إسرائيل ما يقرب من ٨٠٠ مليون جنيه إسترلينى – لكنها ستكون قد أنقذت العديد من الأرواح وأضعفت مصداقية القدرات العسكرية لإيران.

يبدو أن خطة إيران كانت محاولة لإغراق نظام الدفاع الجوى لإسرائيل بهجوم معقد من النوع الذى استخدمته روسيا ضد أوكرانيا، ولكن بمقياس أكبر بكثير.

تألف الهجوم من طائرات مسيرة بسرعة بطيئة نسبياً، وصواريخ كروز بسرعة أسرع، وصواريخ باليستية عالية السرعة قادرة على السفر عدة مرات أسرع من سرعة الصوت.

على الرغم من أن الهجوم كان متوقعًا بشكل جيد، مع تصريح وزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، يوم الأحد بأنه قدم إخطارا للدول المجاورة بمدة ٧٢ ساعة، فإن حجمه كان لافتًا للنظر.

صرح رئيس الأركان العام لإيران، الجنرال محمد باقري، يوم الأحد بأن العملية تم اعتبارها ناجحة ولم يكن هناك حاجة لهجمات إضافية من جانبهم – لكن بينما ستكون طهران خبرت نظم الدفاع الجوى الإسرائيلية، فإن معدل التأثير المنخفض، خاصة من الصواريخ، من المحتمل أن يكون مصدر إحباط.

بالمقارنة، فإن الهجوم المفاجئ بالطائرات المسيرة والصواريخ على منشأتى نفط سعوديتين فى أبقيق وخريص فى سبتمبر ٢٠١٩، الذى تم تنظيمه من قبل إيران، أوقف مؤقتًا ٥٪ من إمدادات النفط العالمية. تختلف التقديرات، لكن استخدمت حوالى عشرين إلى ثلاثين طائرة مسيرة وصاروخا فى ذلك الوقت.

سيدهارث كوشال من معهد الخدمات الملكية المتحدة للأبحاث قال: «انظر إلى حجم ومدى هذا الهجوم الأخير، كانت مصممة لتسبب أضرار حقيقية، لكن الحقيقة أنها لم تفعل ذلك ما يؤثر على مصداقية إيران».

كانت المساعدة الدولية حيوية فى القضاء على الطائرات المسيرة، قالت الولايات المتحدة إنها أسقطت حوالى ٧٠ طائرة مسيرة وثلاثة صواريخ. أضاف رئيس الوزراء البريطاني، ريشى سوناك، أن القوات الجوية الملكية البريطانية اعترضت عددًا غير محدد منها. أشارت تقارير أخرى إلى أن الأردن، الذى هو حليف أمريكى منذ فترة طويلة، قد أسقط العديد من الطائرات المسيرة فى أجوائه.

أضاف كوشال أن العمل المشترك للقضاء على الطائرات المسيرة والصواريخ الكروز والباليستية قد استدعى تخطيطاً دقيقاً. «الأمر معقد بكل الطرق. كان المدافعون عن إسرائيل قوة متعددة الجنسيات، يجب أن يعملوا بطريقة مفككة، يواجهون مزيجًا من الأسلحة ذات خصائص الطيران المختلفة، من الطائرات المسيرة بسرعة بطيئة إلى الصواريخ الباليستية عالية الارتفاع.»

قال الجيش الإسرائيلى إن جميع الطائرات المسيرة البالغ عددها ١٧٠ التى أطلقت من إيران، والتى من المرجح أن تكون من عائلة شاهد، تم إسقاطها قبل وصولها إلى الأجواء الإسرائيلية.

لا تشكل الطائرات المسيرة فى حد ذاتها تهديدًا كبيرًا، حيث أنها قادرة فقط على حمل قنبلة متواضعة تصل إلى ٥٠ كيلوجراما، لكن نية الهجوم هى الضغط على المدافعين.

أعطت مقاطع الفيديو للطائرات، التى تم تداولها على وسائل التواصل الاجتماعى قبل أن يتم إسقاطها، وقتاً كافيًا للرد. وأظهرت المحركات الصاخبة أنها من طائرات شاهد-١٣٦ بسرعة طيران بطيئة، والتى تستغرق ست ساعات للوصول من إيران إلى إسرائيل، على الرغم من أن بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية ذكرت أن إيران أطلقت طائرة شاهد ٢٣٨ ذات المحركات الأسرع، التى تسافر ثلاث مرات بسرعة أكبر وكانت مدة رحلتها تتناسب مع الأحداث التى جرت خلال الليل.

على الرغم من أن مشاركة دول أخرى غير الولايات المتحدة قد تكون مفاجئة، إلا أن هناك وقتًا كافيًا للتخطيط. فقد مرت ١٠ أيام منذ أن حذرت الولايات المتحدة للمرة الأولى من رد من طهران، وكانت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة تحركتا بالفعل لنقل المعدات العسكرية إلى الشرق الأوسط للتحضير منذ ذلك الحين.

قالت الولايات المتحدة يوم الجمعة السابق للهجوم إنها نقلت معداتها إلى المنطقة، لكنها رفضت تقديم مزيد من التفاصيل، بينما قامت المملكة المتحدة بتعزيز وجود قواتها الجوية فى قاعدة أكروتيرى فى قبرص. وكان التخطيط موجودًا فى نهاية الأسبوع، حيث قال رئيس الوزراء، ريشى سوناك، يوم الأحد إنه قد وافق على مشاركة بريطانيا فى اجتماع طارئ قبل يومين.

قالت إسرائيل إن إيران أطلقت أيضًا ٣٠ صاروخًا كروزًا باتجاه أراضيها، حيث اعترضت طائرات منها «خارج حدود البلاد»، وفقًا للمتحدث العسكرى دانيال هاجاري. تكون الصواريخ على الأرجح من طراز «Paveh-٣٥١" الجديد المصمم ليكون قابلاً للمناورة فى الطيران ولكن يستغرق الوصول من إيران ما يقرب من ساعتين.

جاء التهديد الأكثر جدية من الصواريخ الباليستية ذات السرعة العالية، القادرة على الطيران عدة مرات بسرعة الصوت وجعل الرحلة من إيران إلى إسرائيل (نحو ٦٠٠ ميل فى أقرب نقطة) فى أقل من ١٥ دقيقة. أطلقت إيران أكثر من ١٢٠ صاروخًا باليستيًا على إسرائيل، وأقر هاجارى بأن "عددًا قليلا" منها دخلت إلى أجواء إسرائيل، وضرب بعضها قاعدة نيفاتيم الجوية.

كانت مهمة التعامل مع هذه الصواريخ بشكل أساسى مهمة لنظام الدفاع الجوى الإسرائيلي، الذى يعتمد على الصواريخ لضرب الصواريخ الواردة. وكانت مهمة تعطيل الصواريخ الباليستية بشكل أساسى مهمة لنظام السهم ٢ والسهم ٣، المصنوعين فى تعاون إسرائيلى أمريكى ولم يتم استخدامهما حتى بداية حرب إسرائيل وحماس.

قال اللواء جنرال ريم أمينوخ، المستشار المالى السابق لرئيس هيئة الأركان الإسرائيلية، لصحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية إن صاروخ السهم يكلف عادة ٣,٥ مليون دولار (٢,٨ مليون جنيه إسترليني) فى كل مرة، ومعدات السهم الثلاثة تكلف مليون دولار (٨٠٠ ألف جنيه إسترليني).

قدرت تكلفة تعطيل ١٠٠ صاروخ باليستي، بالإضافة إلى تكاليف حملة الدفاع الجوى بأكملها، بـ "ترتيب من ٤ إلى ٥ مليار شيكل (٨٥٠ مليون إلى ١,١ مليار جنيه إسترليني).

ومع ذلك، كان الهجوم مكلفًا أيضًا على إيران، حيث تكلف الصواريخ الباليستية عمومًا أكثر من ٨٠ ألف جنيه إسترليني. تقديرات الولايات المتحدة تشير إلى أن طهران كان لديها حوالى ٣ آلاف صاروخ باليستي، وهى أكبر ترسانة فى الشرق الأوسط.

ترجمة - أسماء زيدان

قالت العرب

وَسُدْ الآنَ رَأسَكَ فَوقَ التُّرابِ المقدَّس/ وَاركَعْ طويلاً لَدَى حافَةِ النَّهْر/ ثَمَّةَ من سَكَنَتْ رُوحُهُ شَجَرَ النِّيل/ أوْدَخَلتْ في الدُّجَى الأبنوسيّ/ أوْخَبَّأتْ ذاتَها في نُقوشِ التَّضاريسِ/ ثَمَّةَ من لامَسَتْ شَفَتَاهُ/ القرابِينَ قَبْلَك

التراب المقدس - محمد الفيتوري (1936-2015)

المشهد
العدد 334 - السنة الثالثة عشر- الأحد 28 أبريل 2024 م – 19 شوّال 1445هـ

أول قائدة مصرية للطائرات العملاقة طويلة المدى (بوينج 777-300)

ماجدة مالك: هكذا تصرف الركاب حين شاهدونى لأول مرة فى كابينة القيادة

ماجدة مالك أول كابتن طيار فى فترة الألفينيات على مستوى مصر، منذ صغرها تهوى هذة المهنة الشاقة، والدها الطيار مالك عدلى نقيب طيارى مصر الأسبق، ظلت وراء هدفها حتى أصبحت أيقونة للمرأة المصرية فى العزيمة والإصرار، وقبل سنوات كانت صغيرة تتمنى الطيران إلى الأعلى مثل والدها الذى يجوب العالم، رسمت حدود حلمها بوضوح، وبعد تخرجها من المدرسة طلبت من والدها الالتحاق بمعهد الطيران لتصبح مثله إلا أنه رفض ذلك فى بادئ الأمر ثم اشترط أن تحصل على شهادة أخرى، وبالفعل اختارت دراسة إدارة الأعمال لتتمكن من إنهاء دراستها سريعا وتتجه بعدها لتتعلم الطيران، وضعت يديها على مقود الطائرة العملاقة التابعة لشركة مصر للطيران وسحبته إلى الخلف فارتفعت مقدمة الطائرة عن الأرض وكان يوما استثنائيا للرحلة التى تغادر مطار القاهرة إلى مدينة نيويورك على الساحل الشرقى للولايات المتحدة حيث تقودها إمرأة لأول مرة، لتكون أول سيدة تعبر المحيطات وتحلق لأبعد بلدان العالم، وتبدأ أولى رحلاتها من داخل قمرة القيادة بعد حصولها على عمل فى إحدى شركات الطيران الخاصة وبعدها تستقبلها شركة مصر للطيران، هكذا بدأت قصة ماجدة مالك وحبها للطيران لتصبح أول سيدة تضع يدها على مقود طائرة ضخمة من طراز يعد أكبر طائرات أسطول مصر للطيران... وإلى نص الحوار:

حوار: حنان موسى

● **فى البداية .. كيف بدأت قصتك وحكايتك مع عالم الطيران؟**

– والدى كان قدوتى طوال حياتى وبدأت قصة عشقى للطيران منذ الصغر حيث كان والدى طيارا بشركة مصر للطيران ، وكنت منبهرة به وأتمنى اليوم الذى أصبح مثله وأعمل فى نفس المجال، وكان يحكى لى قصصاً من بلاد العالم التى يذهب إليها بحكم عمله، فبعد أن أنهيت دراستى الثانوية أخبرت أسرتى أنى أرغب بدراسة الطيران فرفض والدى بشدة وطلب منى أن أكمل دراستى الجامعية أولا، وكان والدى يرى أن دراسة الطيران وحدها لا تكفى ولا بد من دراسة شيء أخر أولاً.

● **هل تقبلت أسرتك فكرة دخولك مجال الطيران بسهولة .. وكيف أقنعت أسرتك بالالتحاق بهذا المجال الصعب ؟**

– فى البداية حاولت التخلى عن حلمى ولكنى لم أستطع، والدتى كانت ترفض وتقنعنى دائماً بأن أصبح طبيبة وأنا كنت مصرة على معهد الطيران، ولذلك عملت على إقناع والدى بحبى لمجال الطيران، حتى وافق بشرط أن ألتحق بكلية أخرى قبل الطيران فوافقت على طلبه ودرست إدارة أعمال فى جامعة القاهرة وبعد الانتهاء من الدراسة الجامعية تقدمت لاجراء اختبارات بمعهد الطيران وحرص والدى على عدم التدخل باستخدام "الوساطة" لمساعدتى خلال المراحل المختلفة من الاختبارات، حتى يتأكد من قدرتى على العمل بهذه المهنة الشاقة وبالفعل كانت الاختبارات سهلة بالنسبة لى وتجاوزتها بسهولة.

● **وماذا عن التدريبات الخاصة فى هذا المجال؟**

– نمتلك أفضل أساتذة الطيران فى العالم، وبدأت كتدريب عام فى مصر للطيران والتى تعد مدرسة عظيمة لأى طيار، فهى تتميز بمساحة واسعة من التدريب وبعدها مارست العمل فى شركات طيران أخرى ، فالطيران يعتمد على شقين الأول نظرى والثانى عملى ، كما أن ٣٠٪ من الشق العملى يعتمد على الموهبة وحب المهنة لكى يستطيع أى فرد بذل الكثير من الجهد فيها، نظراً لأنها مهنة شاقة وكل المواقف التى يتعرض لها الطيار يجب أن تكون مدروسة وخاصة أن حياة مئات الركاب وسلامتهم متوقفة على الرحلة التى يقوم بها الطيار، والتى تحتاج إلى الاستعداد الدائم لشتى الظروف التى يمكن التعرض لها، كما أن التدريبات تكون مختلفة عن رحلات الطيران الحقيقية وتتضمن التدريبات على الحالات الحرجة والفحص الدائم للطائرة ومع تقدم العلم والتكنولوجيا أصبحت ممارسة المهنة أكثر سهولة من ذى قبل.

كما أننا نستخدم كل العلوم كالفيزياء والكيمياء وغيرهما من أجل حساب المسافات وإمكانيات الطائرات وغيرها وعلم الجو وعلم السحاب بأنواعه والتضاريس لأن مهمتنا دائمًا تتطلب أن نسبق الحدث بـ١٠خطوات لتفادى المشكلات والمخاطر فى الجو ومطبات الهواء فيجب على الطيار أن يكون مستعدا طوال الوقت، فالصعوبة تكمن فى أن ترى الصورة كاملة بوضوح ، ولا علاقة له برجل أو امرأة طالما تم اجتياز التدريبات الخاصة.

● **ما أسباب الاعتراض على التحاقك بعالم الطيران ؟**

– والدى بحكم عمله فى المجال كان يرى الصعوبات فى الطيران وأنا كنت أرى الشكل الخارجى فقط وكنت منبهرة بالبدلة ولكن والدى كان يرى ماهو أبعد من السفر واللعب وهوالمسؤولية الكبيرة وأن النجاح لن يكون سهلا إذا التحقت بهذا المجال الذى يلخص الحياة فى جدول مواعيد الرحلات، غير أن الطيران مهنة قصيرة العمر فإذا أصبحت غير لائقة طبياً فى أى وقت أفقد عملى ولهذا السبب كانت رؤية والدى أن دراسة الطيران وحدها لا تكفى ولا بد من دراسة شئ أخر أولاً.

● **كيف كانت أول فترة لك فى العمل؟**

– كان هناك رأى داخل الشركة أن هذا الطراز من الصعب أن تصعد عليه امرأة ولم يكن لدى أمل كبير، لكن قادتى نصحونى بالعمل وعدم الالتفات إلى الشائعات، وقد تعرضت لموقف فى بداية عملى فى الطيران بعد نهاية مدة التمرين بحوالى ٥٠ ساعة وكنت حينها مساعداً لكابتن الطائرة، وفجأة تعب وكان مرهقا لمدة ربع ساعة، شعرت بالمسؤولية وقتها وقمت على الفور بطلب الإسعاف وعمل كل الإجراءات اللازمة بقوة ودون خوف، وهناك مسؤلية كبيرة وضغوط تكون على الطيار فى بداية حياته وخلال فترة التأهيل، وبعد تسلم زمام الأمور يأتى شعور بمسؤلية جسيمة منذ أول لحظة يتسلم فيها طائرة ركاب صغيرة لا يتجاوز عدد ركابها ١٦٠راكبا، فالحياة العملية فى مجال الطيران كانت أكبر تحدى بالنسبة لى لأنى بدأت أتعامل واكتسب مهارات أكبر وأشمل بالإضافة إلى أنى أصبحت مسؤولة بشكل كامل عن مهام كبيرة ، ويحتاج الطيار إلى خوض تدريبات كل ستة أشهر لتجديد رخصته، ويجب أن تتوفر لديه معلومات معينة حتى يجتاز الاختبارات المطلوبة لكن كان هدفي أن أثبت أنى أستطيع تحمل المسؤولية عملياً بالرغم من المجهود الذهنى والعضلى الكبير.

× ما الصعوبات التى واجهتك فى الدراسة؟ وأثناء تأدية عملك؟

واجهت صعوبات كثيرة فى فترة الدراسة لأنها كانت تتضمن تدريبات شاقة على المستوى العملى والعلمى ، فدراسة الطيران تحتاج إلى وقت كبير وتفرغ تام، وبعد انتهاء فترة الدراسة التحقت بشركة مصر للطيران وكانت بالنسبة لى المدرسة التى كللت مجهودى وتعبى خلال فترة الدراسة، كما أن تولى قيادة طائرة تحمل على متنها ٣٣٥شخصاً، والتحليق بها فى السماء لمدة ٥٥ ساعة خلال ٣ رحلات كل شهر، ليس أمر سهلاً، ولكن أى عمل لا يخلو من المشقة وكثيراً ما يتطلب المزيد من الانتباه والدقة، بالإضافة إلى أن الحفاظ على حلم الطفولة لم يكن سهلا ً فالأحلام تحتاج إلى العمل الدائم لتحقيقها والحفاظ عليها فكما يحتاج الطبيب إلى المذاكرة والاطلاع طوال حياته، يحتاج من يتولى قيادة الطائرة للمذاكرة بنفس القدرة لكافة العلوم من الكيمياء والفيزياء التى تعتبر من العلوم التى يجب أن يكون قائد الطائرة ملماً بها وبكل جديد فيها طوال الوقت ، كما أن هذه الطائرة من الطراز العريض ومداها طويل، ولذلك تستطيع نقل أكثر من ٣٥٠ راكباً وبها طاقم عمل لتقسيم ساعات الراحة.

نمتلك أفضل أساتذة الطيران فى العالم.. ولدينا خبرات كبيرة فى هذا المجال

لا أنسى حين خرجت لتحية ركاب رحلة حج فقال رجل مسن «ويخلق مالا تعلمون»

ولكنى لم أستسلم لكل هذه الضغوط وواصلت تحمل التدريبات الشاقة التى أصفها بأنها "تشبه إلى حد كبير دخول الجيش" وقبل نهاية الدراسة اكتشف زملائى أننى ابنة الطيار مالك بيومى، أحد أعلام الطيران المدنى فى مصر، وأول نقيب للطيارين المدنيين.

● **هل واجهت صعوبات فى التعامل مع المسؤولين فى مجال الطيران .. وكيف كان يتعامل معك الطيارون الرجال؟**

– لم أشعر بأى تمييز، فالطيارون يعلمون بوجود النساء فى مجال الطيران منذ ثلاثينيات القرن الماضي، حيث كانت الكابتن طيار لطفية النادى أول مصرية تقود طائرة والثانية على مستوى العالم، وما تأكدت منه هو وجود مساواة بين الرجل والمرأة، فالمسؤولية التى تقع على عاتق الجميع واحدة وهى أن أرواح الركاب أمانة فى عنقهم، ولذلك تتعرض المرأة لنفس الاختبارات الذى يتعرض لها الرجل فضلاً عن أنه لاتوجد رحلات يتم التمييز فيها لأن شركة مصر للطيران حريصة على إخراج قائدى طائرات متميزين، وقبل تسليط الضوء من الإعلام عن وجود امرأة تقود طائرة كان المسافر العادى يندهش من وجود سيدة فى كابينة القيادة وتبدأ تساؤلات عن سبب وجودى، وبالنسبة لى أول مرة يرانى الركاب فى كابينة الطيار قاموا بالخبط على زجاج الكابينة لكى أخبرهم عن السبب وبدأت ابتسم وأشير لهم من خلال التعليمات التى تتم على متن الطائرة ليعرفوا أننى كابتن الطائرة، كما أن المعايير الدولية لا تضع جنس الطيار فى أى تعاملات، ومايهم المدرب هو اجتياز الاختبارات المطلوبة وعدد ساعات الطيران.

● **ولكن ماسبب قلة عدد قائدات الطائرات بمصر؟**

– البعض يرى أن المصريات لا يمتلكن القوة والأعصاب التى تؤهلهن لقيادة طائرة ومازالت هذه الوظيفة مستبعدة لمعظم الأسر المصرية، ورغم ذلك فإن الفترة الأخيرة بدأنا نلاحظ تزايد أعداد المتقدمات لمعهد الطيران، وبالتالى فالأمر أصبح ليس صعباً ولا توجد معوقات كما أن تراث المرأة المصرية وتاريخها من أهم مصادر قوتها ، وما يسهل الأمر هو أن جداول العمل تصدر قبل أسبوعين بل وأصبح حالياً خلال كل شهر، وهو ما يعطى الفرصة أمام الاستعداد لفترة العمل والإجازات وترتيب المواعيد بناءً على تلك الجداول الموضوعة.

● **ماهى أهم أساسيات العمل بقيادة الطائرات؟**

– قيادة الطائرة تتم فى المعتاد من خلال طيارين قائد أول وقائد ثانى، والاثنان يختلفان فى الخبرة التى تتضمن عدد ساعات العمل ومستوى التعامل مع الطائرة ، حيث يكون القائد الأول لدية خبرة أكبر فى المستوى والتعرض للمشاكل وحالات الطوارئ التى تتعرض لها الطائرة، وهذا مقارنة بالقائد الثانى الذى يتدرج فيما بعد لكى يصبح قائداً لطائرة وفقاً لخبرته التى تنمو مع الوقت. والطيار يجب أن يخضع لفترات التدريب كل ٦ أشهر ليكون قادراًعلى التعامل مع المعطيات والظروف المختلفة ويوجد عباقرة متخصصون فى مجال الطيران، حيث يتم محاكاة أوضاع مختلفة وقعت وأوضاع أخرى لم تقع ولكنها بمثابة محاكاة للواقع وهى تدريبات قوية وشاقة لكى يستطيع التعامل مع الطائرات فى مختلف الظروف والأوضاع الجوية.

● **وما أغرب المواقف التى تعرضت لها على متن الطائرة أو قابلتك خلال عملك؟**

– أنا أعتبره أطرف موقف فى حياتى عندما كنت فى إحدى رحلات الحج لتوصيل الحجاج إلى مكة المكرمة على خطوط العودة من السعودية إلى مصر وخرجت طبقا للبروتوكول لتحية الركاب بعد الوصول إلى أرض مصر، فشاهدنى أحد الركاب وهو رجل كبير ويمسك بيد زوجته وكنت أرتدى ملابس تختلف عن ملابس المضيفات فقال : (سبحان الله ويخلق مالا تعلمون) وغيرهما من المواقف الطريفة والغريبة التى دائماً نقابلها فى مهنتنا.

● **وأخيراً ..هل يتعارض عملك فى هذا المجال الصعب مع حياتك الزوجية؟**

لا يوجد تعارض على الإطلاق ولكن بالعكس، نحصل على ساعات عمل محددة وفى أوقات نحصل على إجازات، كما أن زوجي يعتبر جزءا مهما فى نجاحى وكان داعماً كبيراً لى فى جميع خطوات حياتى العملية، وهو الذى كان يهيئ أسباب النجاح والتقدم وهو الأمر الذى قابلته بالتوفيق بين عملى كطيار ومتطلبات المنزل كزوجة، وبالرغم من كونه يعمل طبيبا جراحا، وهو مجال يختلف عن مجال عملى بشكل تام إلا أنه يحترم دورى فى العمل فى هذا المجال الذى أعشقه منذ طفولتى، ولم يطلب منى التخلى عن حلمى بل يساعدنى كثيراً ويشجعنى على النجاح، أما المخاطر المحتمل التعرض لها خلال رحلات السفر المختلفة فجميعها بيد الله.

شبح الذكاء الاصطناعى يجتاح العالم.. فهل يمثل خطرا (2 من 2)

هل يمثل الذكاء الاصطناعى خطراً حقيقيا قادراً على تحييد قدرات العنصر البشرى وامكاناته أو القضاء عليه؟ هل نحن جاهزون على المستويين النفسى والعلمى لاستقباله؟ وهل نحن مستعدون لمواجهة مخاطره الدينية والثقافية والفكرية على أطفالنا، والاستفادة من منافعه فى نفس الوقت؟ وما هى الحلول المقترحة لمعالجة مخاطر دخول الأطفال إلى عالم الميتافيرس؟

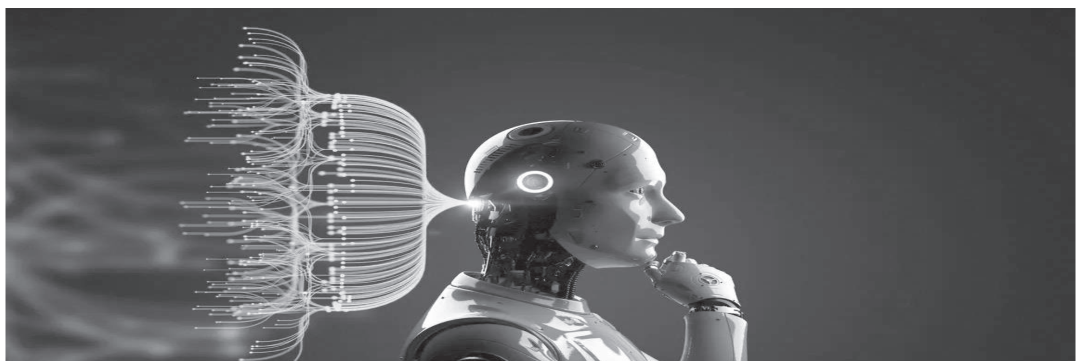

د.علياء المهدى: تأثير كبير على سوق العمل.. وتغييرات جذرية فى طبيعة الوظائف والصناعات

د.رجب عبداللطيف: مخاطره تهدد صحتنا العقلية والنفسية ويمثل نعمة إذا استخدم وفقا للمعايير الدينية والأخلاقية

د. أحمد ترك: أحدث هزة عنيفة وكبيرة فى إعادة تشكيل وهندسة العقل والادراك

طارق الشناوى: الذكاء الاصطناعى لايخلق وجدانا والفن والإبداع مرتبطان بالوجدان

فى الحلقة الأولى حاولت المشهد رصد ومناقشة أثار ومخاطر التطور التكنولوجى والذكاء الاصطناعى على سلوكيات المجتمعات، وما إذا كان يمثل خطرا حقيقيا على تقييد قدرات العنصر البشرى وإمكانياته، وأهم التحديات التى ستواجهنا فى المستقبل ومدى تأثير الذكاء الاصطناعى فى التنبؤ بالكوارث الطبيعية وأوردت آراء خالد عمار المتخصص فى الإعلام الافتراضى والمحاضر والمدرب فى "إعلام الميتافيرس" الذى أكد أن الفضاء الإلكترونى يحتوى على معلومات كثيرة مغلوطة وغير دقيقة لكن لا يجب معاداته، والكاتب الصحفى عمرو بدر عضو مجلس نقابة الصحفيين الأسبق، الذى طالب بتشريع قوانين لمواجهة هذه الظاهرة. وإجراء تعديلات على القوانين التى تنظم عمل الصحافة، والدكتور سعيد صادق أستاذ الاجتماع السياسى بالجامعة الأمريكية، الذى أشار إلى أنه يساعد على تغيير ألية الحروب.

عيوب يجب التعامل معها بحذر

الدكتورة علياء المهدى الخبير الاقتصادى وعميدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية سابقا، تقول إن التكهنات حول تأثير الذكاء الاصطناعى على القوى العاملة انتشرت بعد ظهور برامج الكمبيوتر مثل (تشات جى بى تى) والتى يمكنها إنشاء نص والإجابة على الأسئلة بطريقة تشبه الإنسان، وكما أن له العديد من المميزات باعتباره من الوسائل التكنولوجية الحديثة التى اجتاحت العالم فى الفترة الأخيرة وأحدثت تطورا رهيبا فى مختلف المجالات على جميع المستويات، فإن له أيضاً عيوبا يجب التعامل معها بحذر شديد فهو يساعد البشر فى مهام كبيرة فى مجالات مختلفة، وبصفة خاصة فى المجال الاقتصادى، ونحن كخبراء اقتصاد على سبيل المثال عندما نريد توفير الوقت والحصول على بيانات أو معلومات اقتصادية محددة دون بذل جهد فهو يعطيها لنا بأقصى سرعة ممكنة وبترتيب محدد ويساعد فى حل بعض المشاكل فيما يخص توفيرها، وقد يكون هناك بعض الأعمال والوظائف سوف يقوم بها وعلى سبيل المثال أعمال السكرتارية وتلقى المكالمات الهاتفية واستقبال بعض الرسائل والرد عليها، ومع التقدم والتطور المستقبلى سوف يقوم الذكاء الاصطناعى ببعض الأعمال والوظائف التى يقوم بها الأفراد فى الشركات والمؤسسات، ومن الممكن أن يقلل عمالة التشغيل والتوظيف بدرجة أو أخرى بعد العمل فى المصانع بديلا للعمال، ولذلك فالاعتماد على الذكاء الاصطناعى أصبح شيئا خطيرا ويجب التعامل معه بحرص شديد لما يحدثه من كوارث مستقبلية محتملة.

تضيف د. علياء: من وجهة نظري، فالذكاء الاصطناعى ليس ذكيا كما يقال عنه وخاصة فى مجال البحث العلمي، فهو يقوم فقط بجمع المعلومات والبيانات الموجودة والمتاحة على الانترنت ويعطيها للشخص فقط، ومن الممكن أن تكون تلك البيانات الموجودة غير دقيقة، فى نهاية الأمر وعن تجربة هو يعطى الإجابة على حسب المعلومات المتاحة فقط، وهذا يترتب عليه الحصول على إجابات غير دقيقة ولا يعتد بها على وجه الإطلاق، وأعتقد ذلك متواجد على جميع المستويات، ففى الصناعة والتجارة وغيرها توجد بعض المشاكل التى تواجه كل قطاع كل على حسب استخدامه، ويقول الخبراء أن وظائف خدمة العملاء فى جميع أنحاء العالم يتم شغلها بالفعل بواسطة الذكاء الاصطناعى.

كما أدى ظهور الذكاء الاصطناعى التوليدى إلى إعادة تشكيل سوق العمل التكنولوجى الحر بسرعة كبيرة خلال الأشهر الأخيرة، فهذه التكنولوجيا الجديدة التى ظهرت أواخر عام ٢٠٢٢، أصبحت تثير فضول الشركات والعلامات التجارية فى العالم، وتشعرها بضغوط كبيرة، تحتم عليها استكشاف أفضل السبل لدمج هذه التقنية الثورية فى أعمالها.

وبالرغم من أنه سوف يؤثر على التشغيل وفرص العمل للبشر – تقول علياء المهدى – إلا أنه لن يزيد من نسبة البطالة بالدرجة الكبيرة أوالمقلقة فى فترة قصيرة وذلك لأننا كنا قديما نعتقد أن الكمبيوتر وغيره من وسائل التكنولوجيا الحديثة سوف يزيد من نسبة البطالة، لكن كل اختراع جديد يوجد خدمات جديدة تساعد فى خلق فرص عمل للبشر أيضاً، ولا أعتقد أبداً أن الذكاء الاصطناعى سوف يؤدى إلى ارتفاع نسبة معدلات البطالة ولكن سوف يخلق فرص عمل من نوع جديد.

وتضيف علياء المهدى أن الأجيال الجديدة يجب أن تبحث عن كليات لها علاقة بالنانو تكنولوجى أو الأمن المعلوماتى وغيرها من الكليات المتعلقة بالتكنولوجيا فى جميع المهن، والذكاء الإصطناعى إذا قام بتقليل عدد الموظفين ٥٠٪، سيزيد فرص الوظائف بنسبة ٤٠٠٪ ، نظرا إلى تعدد أقسامه فى مختلف المجالات، وعلى سبيل المثال العالم نوبل مخترع الديناميت مؤسس جائزة نوبل، كان اختراعه الديناميت لأسباب خاصة بالبناء والتعمير وبالنسبة له يقوم بتفجير جبال وفتح طرق وغير ذلك من الأمور المشابهة، لكن فى نفس الوقت يمكن استخدامه كأداة إجرامية فكل وسيلة تكنولوجية حديثة لها مزايا وعيوب.

الأجيال القادمة لن تستغنى عنه

من جانبه يرى الدكتور رجب عبداللطيف الخبير الدولى فى التنمية البشرية، أن الذكاء الاصطناعى هو عبارة عن برامج متطورة يتم استخدامها وفقاً للاحتياجات المطلوبة، كما أن المستقبل القادم للذكاء الاصطناعى والأجيال القادمة لن تستغنى عنه فى أغلب المجالات، فالذكاء الاصطناعى نعمة إذا تم استخدامه وفقاً للمعايير الدينية والأخلاقية والاجتماعية للمجتمع، له ايجابيات متنوعة وبالتأكيد هو يخدم العالم من حيث السرعة والدقة إذا تم استخدامه بالشكل الصحيح، لكن فى المقابل له سلبيات كثيرة ومتنوعة ولكنها متوقفة على طريقة استخدامه والتعامل معه بحرص شديد، لأن التعامل معه بغير علم ومعرفة ووعى يؤدى إلى نتائج سلبية، لأن له تأثير شديد على البشرية بشكل عام ومخاطر عديدة يشكلها إذا لم يتم تنظيمه بشكل صحيح.

ومن أهم إيجابياته فى رأى د. رجب عبداللطيف توفير الوقت والمال ومما لاشك فيه أنه حاليا يستخدم فى المجال الطبى وثبت نجاحه إلا أنه مازال فى مراحل التطوير، كما أنه أصبح قادرا على التنبؤ بالكوارث الطبيعية ولكن الأهم من ذلك هو استعداد الدول فى التعامل مع هذه الكوارث ومحاولة صدها وحماية الناس قبل وقوعها.

ومن أبرز سلبياته زيادة البطالة وبالتأكيد يؤثر الذكاء الاصطناعى على الوظائف حيث أنه بإمكان روبوت يتم تحميل برامج متطورة عليه القيام بالعديد من الوظائف التى يقوم بها كثير من العمال، حتى الوظائف الإدارية يستطيع القيام بها مما يزيد من خطورة انتشار البطالة، ولاسيما يؤثر على الأطفال لأنه يخطفهم من العالم الواقعى إلى التعامل مع الأجهزة مما يجعل الطفل ضعيفا فى فن التعامل مع الناس ويميل أكثر للعزلة ومع الوقت يؤدى إلى التفكك الأسرى والاجتماعي، كما أن له العديد من المخاطر خاصة فى مجال الهكر الذى بإمكانه تدمير مؤسسات حكومية وشركات خاصة كما حدث مع العديد من الشركات، ويصبح أكثر خطورة إذا تم استخدامه فى مجال الأسلحة والحروب بين الدول والنتائج المترتبة على الاستخدام الخاطئ له، وكذلك احتمالية حدوث خلل فى البرمجة مما يؤدى إلى كوارث وأضرار بشرية أو فى الممتلكات، ولذلك بقدر ما للذكاء الاصطناعى من فوائد لا حصر لها للبشرية فإن له مخاطر كبيرة يجب الحذر منها وبما أنه يسهل ويسرع خطوات كثيرة كانت تستهلك جهداً ووقتاً كبيراً ويساعد الأشخاص على تطوير قدراتهم إلا أن مخاطره تهدد صحتنا العقلية والنفسية.

غياب الوجدان

وعن مخاطر استخدام الذكاء الاصطناعى فى السينما يقول الناقد الفنى طارق الشناوى أن التقنيات الحديثة تلعب دائماً أدوارا ايجابية والذكاء الاصطناعى مجرد "كمبيوتر" ولكننا نخاف من أى وافد جديد والإنسان دائماً يخاف من أن تلغى وجوده ولذلك يسبب الرفض لكل ماهو جديد فعندما ظهر التليفزيون قالوا أنه سوف يلغى السينما ولكن لم يحدث إلغاء بل على العكس تطورت السينما وأصبحت فى مراحل متقدمة ومتنوعة عن المراحل السابقة.

وبالنسبة لمشكلة الأغاني، فمع مرور الزمن سوف تتغير وتقترب أكثر ويكون لها مصداقية أكبر لكنها إلى الأن مازالت بعيدة، فأى اختراع جديد له سلبياته وايجابياته ولكن يجب علينا أن ندعم إيجابياته فالكثير من السلبيات مع مرور الزمن يتم التغلب عليها، ويؤكد الشناوى أن التخوف من أن يحل الذكاء الاصطناعى محل الإبداع فى غير محله، لأنه سوف تظل اللمسة الانسانية بالوجدان غائبة وهى التى تفرق بين كاتب وأخر، فالذكاء الاصطناعى لايخلق وجدانا والفن والإبداع مرتبطان بالوجدان.

تجديد الخطاب الدينى

الداعية الشيخ أحمد ترك من كبار علماء الأزهر الشريف، يقول: لا شك أن شيوع مواقع التواصل الاجتماعى ووجود العالم الافتراضى وتوفيره فى يد كل طفل وشاب، قد أحدث هزة عنيفة وكبيرة فى إعادة تشكيل وهندسة العقل والادراك فى كل المستويات جميعنا يعانى منها، ومن أبرزها اتساع الفجوة الثقافية والفكرية والتربوية بين جيل الآباء وجيل الأبناء، متسائلا هل سنواجه هذه التحديات بالمنابر وخطبة الجمعة؟ أم سنسبق الجميع ونحجز أمكنة هناك لإنارة الشباب ومحاولة تحصين الأطفال من الشرور القادمة؟ وماذا عن الأسئلة الفقهية والدينية التى ستظهر بعد استخدام الميتافيرس ؟

ويضيف: ظهرت بعض هذه الأسئلة عندما تم الإعلان فى السعودية عن ظهور تقنية ثلاثية الأبعاد تمكن الشخص من الطواف حول الكعبة وزيارة الأماكن المقدسة ، فهل يمكن اعتماد الحج والعمرة عبر هذه التقنية افتراضيا؟ وقام الكثير من العلماء فى العالم الإسلامى بإصدار فتاوى فى هذا الشأن مضمونها ، أن شعائر الإسلام لابد أن تؤدى أداءً حقيقياً وليس أداء افتراضياً، ومن المتوقع أيضا بعد ظهور الميتافيرس وجود مشاكل قانونية ستحتاج إلى تعديل قوانين وإنشاء قوانين أخرى للفصل فى المشاكل المحتملة والجرائم الخاصة بهذه التقنية كالسب والقذف والتنمر، ومن المتوقع زيادة حجم الأمراض النفسية والعصبية وشيوعها لدى الأطفال خاصة.

وأضاف الشيخ "ترك" أنه عالم مخيف لا يمكن منعه ولكن يمكن التحصين منه ومواجهة أخطاره، وإذا كنا قد تأخرنا فى تجديد الخطاب الدينى لمسايرة الواقع الافتراضى الحالى؟ فكيف الاستعداد لمواجهة الواقع الما ورائى هذا بتقنية ثلاثية الأبعاد؟ وعلى هذا أقترح عاجلا وليس آجلا ، تشكيل لجان متخصصة للدراسة ووضع استراتيجية كاملة واضحة المعالم لمواجهة المخاطر المحتملة على الأطفال ووضع حلول لها قابلة للتطبيق.

وأما على المستوى الدينى والفكرى ، فلابد من التعجيل بعمل دورات تدريبية لشباب الأئمة والوعاظ على منهج تدريبى يتم وضعه مسبقاً بعيداً عن الأطر الوظيفية الجامدة التى تحول كل فكرة جديدة إلى دعاية كاذبة بثقافة دهن الرصيف دون نتائج ملموسة على حد وصفه ، كما إن التسلح بالعلم والمعرفة والخبرة والتدريب هو الطريق الآمن لمواجهة مخاطر عصر الميتافيرس، الذى لا يمكننا منعه أو تجاهله بآثاره الإيجابية والسلبية، وإن أسلوب المناعة فى تربية أطفالنا هو بمثابة مصل للحماية من الأمراض الفكرية والثقافية، والمناعة تعنى الوعى بكل أشكاله وصوره.

وكذلك ينبغى على الآباء سبق الأطفال فى معرفة الجديد فى التقنيات الرقمية فضلا عن الحفاظ على جسور الثقة بينهم وبين أطفالهم ، وبالتالى يجب على الآباء فى هذا العصر الاستعداد العلمى لمواجهة المخاطر الفكرية والتربوية التى يقع فيها الأبناء ، بالتوازى مع جهود الدولة ومؤسسات الوعى المتخصصة فى هذا الجانب، ولابد من اعتماد ما يسمى العلوم المستقبلية كجاهزية واستعداد للمستقبل وعطائه الحضارى.

تحقيق: حنان موسى

المشهد
العدد 334 - السنة الثالثة عشر- الأحد 28 أبريل 2024 م - 19 شوّال 1445هـ

قالت العرب

رأيتك عند باب الكهف عند الدار / معلقة على حبل الغسيل ثياب
أيتامك / رأيتك فى المواقد فى الشوارع فى الزرائب فى دم الشمس /
رأيتك فى أغانى اليتم و البؤس رأيتك ملء ملح البحر والرمل.

هكذا عرفت شمس الدين الحجاجى

عالم موسوعي عصامى رحالة شجاع ثائر ضد الظلم باحث عن الديمقراطية

معتز بهويته وفى صوفى زاهد كاره لتولى المناصب مبدع استثنائى

تحمل سيرة الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى صفات أبطال السير الشعبية الذين كرَّس لهم الكثير من دراساته وجهوده العلمية، ثائرًا ضد الظلم يقف فى صف المظلوم حتى يأتى له بحقه ، يخوض معارك صعبة يتجنبها الجميع ليس من أجل مصالحه الشخصية وإنما من أجل آخرين. عرفت سيرته من خلال تعاملى المباشر معه منذ ٢٠١٢ وحتى رحيله فى ١٣ فبراير ٢٠٢٤، ومن خلال ما حكاه لى أو حُكى لى عنه من مواقف لم أعاصرها، عرفته عالمًا موسوعيًا، عرفته رحالةً كثير الأسفار بين قارات العالم، عرفته مناضلًا شديد الكراهية للظلم لا يتوقف عن النداء بالديمقراطية، عرفته عصاميًا، عرفته صوفيًا زاهدًا، عرفته مبدعًا، عرفته محبًا لأهله معتزًا بجذوره لم يغير لهجته الجنوبية الرائقة.

أذكر أنه عندما علم الصحفى عبدالرحمن أبو العنين أن الدكتور شمس هو من يشرف على أطروحتى للماجستير انهالت ذكرياته مع هذا الأستاذ الذى كان يشارك طلاب الجامعة فى المظاهرات ضد الظلم والاستبداد فيحمله الطلاب فوق أعناقهم فى مظاهرات الجامعة فى الثمانينيات وهم يهتفون «أحمد شمس يا أحمد شمس انهاردة ضلمة وبكره شمس» والهتاف الثانى الشهير «دكتور شمس يا دكتور شمس، لينا نهار ولينا شمس». فلم يكن يعبأ بالعواقب التى يتعرض لها والتهم التى قد توجه إليه بتحريض طلاب الجامعة على المظاهرات ، كل ذلك كان يلقيه وراء ظهره طالما وجد أن المطالب عادلة فلا يتأخر عن تلبية النداء.

أذكر عندما تعرض الدكتور سيد البحراوى إلى حملة تشويه وأكاذيب وتهم باطلة نتيجة لتدريسه لرواية الطيب صالح «موسم الهجرة إلى الشمال» على طلابه وكانت هناك مظاهرات ضده، سارع الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى ليكون أول مدافع عنه ضد هذه التهم الباطلة متناسيًا الخلافات التى كانت بينهما فى تلك الفترة، فهكذا كان ديدن الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى يقف مع الحق دون النظر إلى أى شيء أو حسابات أخرى.

ساند شعراء السيرة الشعبية ووقف فى وجه عبدالرحمن الأبنودى الذى كان يسطو على مجهودهم من خلال ادعائه أنه جمع السيرة من أكثر من راوى شعبى ووضعها فى كتاب بينما كانت فى الحقيقة كلها روايات مختلفة رواها له جابر أبو حسين فوضعها الأبنودى بين دفتى كتاب تحمل اسمه، وكان يعمل على إيهام الجمهور أن السيرة الهلالية من تأليفه وأن الراوى يقول صياغة الأبنودى للسيرة فقد كان الإعلان اليومى الذى تذيعه الإذاعة لرواية جابر أبو حسين: السيرة الهلالية، يرويها عبد الرحمن الأبنودي، غناء جابر أبو حسين. جاعلا من جابر مجرد مغنى لا مبدع صاغ هذه السيرة بقريحته الشعرية الشعبية الفذة. وقد فند الدكتور شمس الدين الحجاجى ادعاءات عبدالرحمن الأبنودى بشكل علمى فى دراسة له بعنوان «الانتحال على طريقة عبدالرحمن الأبنودي» ولم يخض شمس الدين الحجاجى هذه المعركة مع الأبنودى إلا من أجل نسب الحق إلى صاحبه الذى توفى - جابر أبو حسين - وظن الأبنودى أنه لن يجد من يدافع عنه ويرد له حقه.

المحبة

كانت مدرسة الدكتور أحمد شمس الدين قائمة على المحبة، يسعى إلى التأليف بين جميع تلاميذه وجعلهم أسرة واحدة مهما اختلفت أجيالهم، تلاميذ فى مدرسة شمس الدين الحجاجى التى تجعل من إتقان العمل هى القيمة العليا، كان يراجع رسائل تلاميذه حرفًا حرفًا موجهًا أبناءه إلى المراجع المفيدة لهم من واقع خبرته الطويلة، يكلفهم بقراءة عشرات الكتب، يطالبهم بإعادة ما كتبوه ولا يرضى لهم سوى بما يليق بالمدرسة التى أسس بنيانها على مدار سنوات عمره، ثم إذا جاءت المناقشة العلمية يكون خير مدافع عنهم بالحق لعلمه بما بذلوه من جهد فى كتابة أطروحتهم.

زاهد

عرفت الدكتور أحمد شمس الدين زاهدًا من أكبر زهاد عصره، عُرضت عليه مناصب جمة لكنه رفضها كلها، منها أنه كلف بأن يتولى أحد المناصب المهمة فى وزارة الثقافة اعتذر عن قبوله بصورة ربما شكلت صدمة لمن أبلغه بالأمر والذى كان يعتقد أن الدكتور شمس سوف يرحب به، خاصة وأن كثر يتقاتلون على نيله بينما جاءت إليه هو دون طلب منه.

وفى موقف ثان يدل على زهده واعتزازه بأرومته أنه حين دُعى إلى أحد الملتقيات الثقافية فى دولة خليجية، أعجبت إحدى الأميرات بطرحه الثقافى المتقن وموسوعيته وعفويته فى الحديث، وأمرت بأن يمنح مكرمة استثنائية تقديرًا له، فما كان منه إلا أن رفض ذلك عندما توجه إليه السكرتير الخاص بها بظرف به مبلغ مالى قائلا له فى إباء شديد (ما هذا يا بنى نحن أبناء شيوخ نُعطى ولا نُعطى) - كيف لا هو حفيد الشيخ أبو الحجاج الأقصرى وعميد الأسرة الحجاجية - فلما وصل ذلك الأمر بتلك الأميرة الخليجية ازداد إعجابها بموقفه هذا ونبله، وما كان منها سوى أن دعته إلى مأدبة عشاء مع أسرتها فى قصرها .

الوفاء

عرفت الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى وفيًّا، فلم أر إنسانًا يحب أبيه كما أحب الابن أحمد والده شمس الدين، كان كثير الحديث عنه والتغنى به، ذلك الأب الذى تعلم فى الأزهر الشريف فى بداية القرن العشرين، ثم عاد الأب إلى الأقصر وعمل مفتيًا لطريقة الشيخ أحمد الطيب جد الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر حاليًا، ثم بعدها عمل مأذونا إلى جانب عمله معلمًا فى إحدى مدارس الراهبات فى الأقصر، وحين خرج على المعاش لم تمنحه المدرسة مكافأة نهاية الخدمة التى يستحقها فقال له ابنه أحمد أنه من الممكن أن يرفع على المدرسة قضية فى القضاء وسينال حقه، فقال له الأب لو أخذتُ حقى ربما أغلقت تلك المدرسة أبوابها تمامًا ولم يعد لديها ما تُعَلم به أبناء الأقصر. ذلك الموقف كان له بالغ الأثر فى حياة أحمد شمس الدين الحجاجى فى تعلم معنى التسامى والزهد والتنازل عن حقه إذا كان ذلك فى صالح الجماعة مقدما مصلحة الكل على النفس.

عرفت ذلك الوفاء فى ذكره الدائم للدكتور نعمان القاضى الذى طالما حدثنى عنه وعن مواقف دارت بينهما، وكأن نعمان لم يفارق الحياة خالدًا فى ذاكرته وكأنه لم يعرف صديقًا صدوقًا سواه.

رحالة

عرفت الدكتور أحمد شمس الدين رحالة لا يكف عن تجوال قارات العالم، بدأها بالانتقال من الأقصر للتعلم فى جامعة القاهرة ليكمل سيرة والده الذى جاء إلى القاهرة للتعلم فى الأزهر الشريف من قبل، وبعد الانتهاء من الدراسة سافر إلى كوريا الجنوبية ودرس فى جامعاتها وبالتحديد فى جامعة هانكوك هناك، وخرج بتأملات مهمة حول أسباب غياب المسرح عن الثقافة العربية، وتعرف على الأسطورة كواقع معاش هناك، ثم عاد منها ليسافر إلى أمريكا طاف بين جامعاتها وحظى بشعبية هائلة بين الطلاب هناك وَلُقِبَ بالإمام وفتح الأبواب للكثير من زملائه للقدوم إلى أمريكا للعمل فى جامعاتها هناك، فقد درس فى جامعة يوتا وبنسلفانيا وأبلاشيا -نورث كارولينا- وويسكنسن وكتب كتابه بالإنجليزية هناك أصول المسرح العربي، ثم قرر ترك كل هذا والعودة للتدريس فى جامعة القاهرة، وبعدها عمل لبضع سنوات فى المملكة العربية السعودية وفى دولة البحرين، فعمل فى جامعات الملك فيصل، وكلية البنات بالرياض، وكلية البحرين الجامعية، وجامعة الشيخ زايد. ومازال تلاميذه من هذه الدول يكنون له شديد المحبة والعرفان وكانوا يوصوننى بأن أوصل لهم السلام، وإذا قدموا إلى القاهرة أن أصطحبهم إلى زيارته فى منزله.

مثابر

عرفت الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى الإنسان المثابر العصامى الذى بنى نفسه بنفسه، أنهى دراسته فى كلية الآداب جامعة القاهرة بالحصول على الليسانس فى الآداب، ثم حصل بكالوريوس التربية من جامعة عين شمس، وفى هذه الأثناء كان يعد أطروحته لرسالة الماجستير الرائدة فى مجالها حول النقد المسرحى فى مصر فى الصحف والجرائد المصرية ١٨٧٦ : ١٩٢٣، كان يمشى على قدميه إلى دار المحفوظات بالقلعة بضعة كيلومترات توفيرًا للنفقات، يعكف فيها على قراءة الصحف والمجلات القديمة ليخرج برسالة رائدة وأصيلة تؤرخ للحركة المسرحية فى مصر

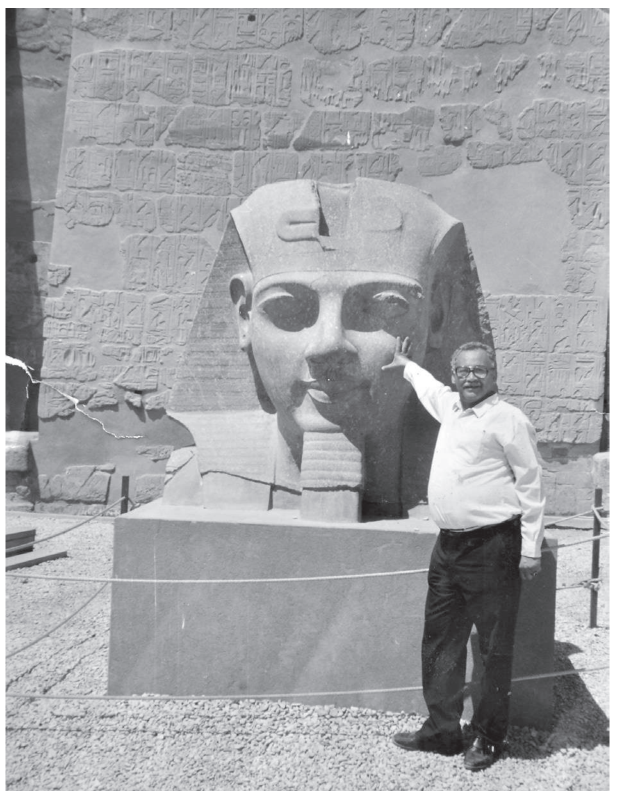

راصدًا فى هذا الكتاب الخطوط التى أدركها نقاد المسرح وكتابه فى تلك الفترة الزمنية. ثم أكمل رحلته العلمية موجهًا جهوده للنقد المسرحى بعدة دراسات منها العرب وفن المسرح، والأسطورة والمسرح الذى كان فى الأصل أطروحته للدكتوراه وحظيت بحفاوة كبيرة وكانت تدرس فى أقسام الفلسفة، كما أنه أصل للمسرح الشعرى فى كتابه المسرحية الشعرية ، ثم اتجه إلى الفنون الأدائية الشعبية خاصة السير الشعبية وأسهم فيها اسهامات بارزة بكتب تعد عمدة فى بابها ولا يمكن لأى باحث فى الأدب الشعبى أن يستغنى عنها مثل كتابه مولد البطل فى السيرة الشعبية، والنبوءة ومولد البطل وذلك بخلاف عشرات الكتب والدراسات حول الشعر والرواية العربية منها كتابه المتفرد صانع الأسطورة الطيب صالح.

الشجاع

عرفت الدكتور شمس الدين شجاعًا يدافع عن زملائه عام ١٩٦٠م أمام طه حسين الذى غضب منهم لأنهم لم يعرفوا نسب حسان بن ثابت الأنصارى الذى ينتمى إلى قبيلة الخزرج، وعدَّ العميد ذلك علامة من علامات تدنى مستوى الطلاب فى الجامعة وقرر عدم العودة إلى التدريس ولكنه عاد فى النهاية بعد تدخل العديد من الأساتذة واستطاعوا أن يقنعوه بالعدول عن رأيه، وفى المحاضرة التالية واصل تقريع الطلاب فوقف شمس الدين الحجاجى مدافعًا عن زملائه قائلًا فيما قال، إن عدم معرفتهم لنسب حسان بن ثابت ليست معيارًا على مستواهم العلمي، وأن جميع هؤلاء الطلاب يناضلون من أجل لقمة العيش ومع ذلك يصرون على إكمال دراساتهم العليا فى الجامعة فهم بحاجة إلى المساندة والدعم والتوجيه، فما كان من عميد الأدب العربى أن قال له (إنى أعلم ذلك، وإن كنت قد نسيته) ثم سأل الحجاجى عن اسمه فقال له أحمد شمس الدين الحجاجي، فقال له العميد إنه يعرف شخصًا بذلك الاسم يدعى «شمس الدين الحجاجي» كان يقرأ له ممن كانوا يقرأون له إبان دراسته فى الجامع الأزهر، فأخبره الحجاجى أن ذلك هو أبي، وحين عاد إلى الأقصر سأل والده لماذا لم يخبره أنه كان صديقًا لطه حسين فرد عليه أبوه (مالك وما لأصدقائى فهم أصدقائى لا أصدقاءك أنت) ليرسخ فى ابنه قيمة الاعتماد على النفس.

عرفت الدكتور شمس الدين الحجاجى شجاعًا فى ذلك الموقف الذى حكاه لى عما جرى بينه وبين صديقه الدكتور نعمان القاضى (توفي: ١٩٨٣) - وكان يردد اسمه كثيرًا ويذكره بمحبة شديدة - إذ رآه واقفًا أمام المبنى الرئيسى للجامعة وحين اتجه نحوه ليسأله عن سر وقوفه أخبره أن الدكتور سهير هى من فعلت ذلك ونصحه نعمان بأن يذهب بعيدًا عنه حتى لا تراه واقفًا معه فيؤثر ذلك على علاقة شمس بأستاذته سهير وربما يؤدى ذلك إلى تعطيل مناقشته للماجستير فعلم الدكتور شمس من ذلك الحديث أن هناك خلافًا كبيرًا بين سهير ونعمان القاضي، ورفض أن يغادر المكان ووقف مع صديقه حتى جاءت الدكتورة سهير فتقدم ناحيتها وبأسلوب الدكتور شمس الحكيم نجح فى حل مشكلة صديقه معها التى كانت تبدو عصية على الحل.

الديمقراطية

عرفت الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى المولع بالديمقراطية والحرية ولا يرى أن هناك سبيلًا لتقدم مصر دون وجود حياة ديمقراطية سليمة، وكان يرى أن نظام الملكية البرلمانية هو النظام السياسى الأفضل لمصر على غرار نظام الحكم فى إنجلترا. وكان يرجع غياب الحركة المسرحية فى مصر وضعفها إلى غياب الحرية فبدون وجود الحرية لا يوجد مسرح حقيقي.

ورغم أن عمره كان قد تجاوز السبعين حين اندلعت ثورة الخامس والعشرين من يناير إلا أنه شارك فيها ووقف فى ميدان التحرير وهتف مع المتظاهرين مطالبًا بالحرية وخطب على منصة التحرير محذرًا الشباب من الكثير من الأخطاء التى من الممكن أن يقعوا فيها إذا تركوا الميدان بعد تنحى مبارك، وحثهم على الإصرار على وجود حكم مدنى لمصر لكن الكثير من الأخطاء التى حذر منها حدثت بالفعل بعد ذلك.

الأقصري

عرفت الدكتور شمس الدين الحجاجى الذى لم ينس جذوره ولا أهله ولم تأخذه القاهرة عن ناسه، فقد ظل شديد الانتماء إلى الأقصر كثير الحديث عنها، كيف لا وهو عميد الحجاجية ويقام بشكل سنوى مولد لجده أبو الحجاج الأقصري. وقد كان هذا الانتماء إلى جذوره واحد من أهم الأسباب التى دفعتنى للسعى كى أكون مريدًا فى مدرسته، وكانت تلك واحدة من أكثر المناطق خصوصية فى الحديث بيننا كأبناء لمحافظة واحدة كان يحكى لى عن تاريخ الأقصر التى عاشها فى طفولته وكما سمع عنها من أبائه وأجداده ويحكى لي عن مدينة إسنا التى أنتمى إلى أحد قراها كاشفًا لى تاريخ هذه المدينة وكما كانت مدينة عظيمة.

المبدع

عرفت الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى مبدعًا غير عادى كتب روايته الأيقونية سيرة الشيخ نور الدين، لكنه أعدم قبلها ثمانى روايات رأى أنها غير جديرة بالنشر دون أن يطلع عليها أحدًا، وكذلك فعل مع المسرح إذ نشر مسرحية واحدة وهى الخماسين من بين العديد من المسرحيات التى كتبها دون أن ينشرها، فقد كان حسه النقدى لنفسه شديد الصرامة وحرم المكتبة العربية من الكثير من أعماله الإبداعية ولم يسمح لها بأن ترى النور، فقط روايته سيرة شيخ نور الدين التى بدأ كتابتها فى أمريكا فى أواخر الستينيات التى أفلتت من قبضته الحديدية وأعاد كتابتها أكثر من مرة ثم أعطاها إلى صديق له فقرر نشرها منجمة فى إحدى المجلات ثم صدرت مجمعة فى كتاب، وربما لو فعل هذا الصديق لما رأت هذه الرواية النور أيضًا وحين تحولت إلى مسلسل تلفزيونى باسم «درب الطيب» بطولة هشام سليم وروجينا حققت نجاحًا جماهيريًا كبيرًا، وأخبرنى أن بطلة المسلسل روجينا تواصلت معه لتخبره أنه لم تشارك فى عمل من قبل ومر بمثل هذه السلاسة واليسر والتوافق بين الجميع مثلما هو الحال فى المسلسل المأخوذ عن روايته.

أما عن مسرحيته فعندما قُدِّمت على خشبة المسرح على مسارح الثقافة الجماهيرية وعرضت فى نجع حمادى حققت نجاحًا جماهيريًا ضخمًا وكان يتزاحم الناس لمشاهدة العرض.

ولم يبتعد الحس الإبداعى عن أعمال الدكتور شمس الدين الحجاجى النقدية، إذ حملت الرؤية الإبداعية نفسها دون أن يقلل ذلك من قيمتها العلمية الأكاديمية فقد كان الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجى مبدعًا بالفطرة والتجربة فى جميع مناحى حياته.

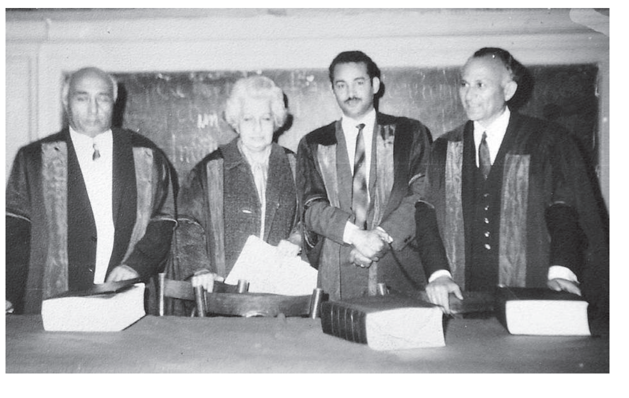

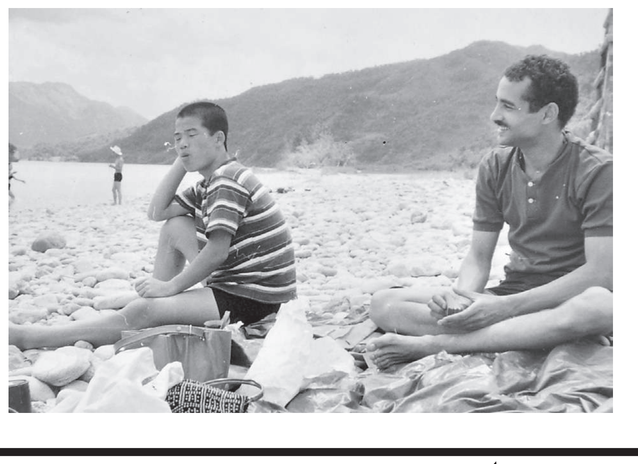

د. عبدالكريم الحجراوي

الزير سالم مخنثًا وجبانًا فى المرويات التاريخية

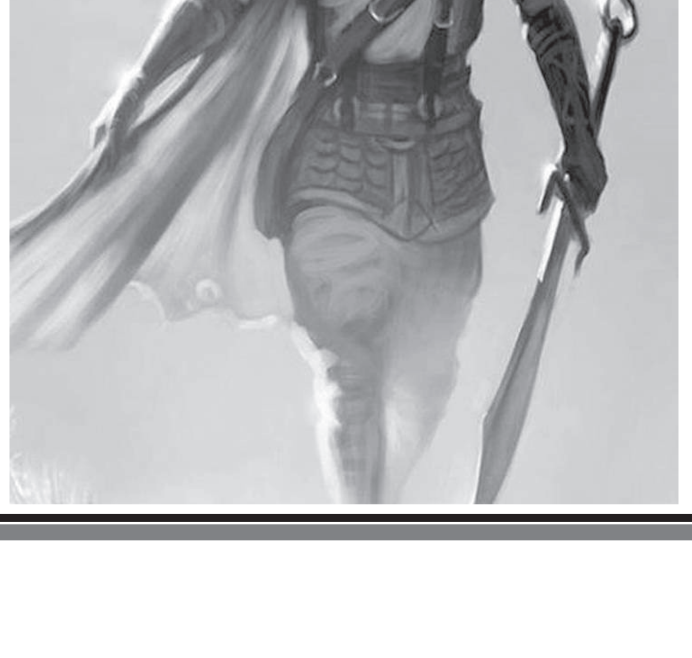

تختلف صورة الزير سالم في المرويات التاريخية عما هو موجود في سيرته الشعبية، تلك المرويات التي تتميز بتعددها وتناقضها، مثلما تتعدد السير الشعبية باختلاف نسخها ورواية الرواة لها في كل قطر أو في كل محيط جغرافي مختلف داخل القطر نفسه، فإذا أخذنا نموذجًا على سبيل المثال للتعدد في المرويات التاريخية للحدث الواحد، سنجد أن بعض المرويات تقول إن مقتل «جساس» جاء على يد «هجرس بن كليب»، وفي ثانية قُتل على يد التغلبيين حيث لحقوا به قبل هروبه إلى الشام وفيها جرح ومات من هذا الجرح. وتتماس هذه المرويات التاريخية في بعض أحداثها مع ما جاء في السيرة، بينما تختلف كل واحدة منهما عن الثانية، في رسم الشخصيات والنموذج الواضح على ذلك صورة الزير التي تتسم بالفحولة والقوة في السيرة وبينما في المرويات التاريخية تكاد تكون عكس ذلك.

ففي السيرة، شخصية «الزير» بطل همام ممتدح ويرد في بدئها في طبعة الجمهورية»...فهذه سيرة البطل الأسد الكرار والبطل المغوار الذي شاع ذكره في الأقطار، وأذل بسيفه كل صنديد وجبار المهلهل بن ربيعة صاحب الأشعار البديعة، والوقائع المهولة المريعة... ». بينما في المرويات التاريخية تنزع عنه تلك البطولة الأسطورية التي تغلفه بها السيرة، فهو فيها لا يقل حماقة عن «جساس» حين قتل «بجير بن الحارث بن عباد» ذلك الرجل الذي سالم تغلب ولم يشترك في الحرب ضدهم مع قومه البكريين لأنه يرى ما فعله جساس بقتل ابن عمه في ناقة أمر لا يليق؛ مما أشعل الحرب من جديد بين القبيلتين ووقع «المهلهل» في قبضة «الحارث» يوم «تحلاق اللمم» ونجح في أخذ الأمان لنفسه بعد حيلة احتالها عليه، ولما سأله «الحارث» عن كفء لابنه كي يقتله ثأرًا له، دله على صديقه «امرئ القيس بن أبان»، الذي كان عارض المهلهل في أن يقتل «بجير». وبعد المعركة هرب المهلهل إلى اليمن بعد أن ورط قومه في حرب جديدة مع البكريين، وهناك أجبر على أن يزوج ابنته لمن لا يراهم أكفاء له في النسب.

وتترجم كتب الأدب للمهلهل ترجمة مغايرة لما هو في السيرة « ... هو ابن لربيعة...، وإنما لقب مهلهلا لطيب شعره ورقته... هو أول من كذب في شعره وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي، وكان فيه خنث ولين، وكان كثير المحادثة للنساء، فكان كليب يسميه زير النساء...» فأكثر ما تمتدحه تلك الترجمة التي نقلها الأصفهاني في كتابه الأغاني في الزير هو طيب شعره ورقته وأنه أول من كذب في الشعر، وستعد تلك ميزة له على حد عبارة «الأصمعي» الذي قال «الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف» أو حسبما هو شائع «أعذب الشعر أكذبه»، أما عن الفروسية فهي ليست من الصفات التي تمنحه إياها التراجم بل على العكس تعطيه ما يناقضها «وكان فيه خنث ولين».

وتقوم بينة السيرة الشعبية في جزء من أحداثها على العداء بين الزير وجليلة بنت مرة التي توغر صدر كليب عليه، وتمعن في إرسال الزير إلى رحلات يصعب النجاة منها، إلا أن كل هذه الأفاعيل تبطل أمام شجاعة هذا الصبي «الزير» الذي يقاتل الأسود، انتقامًا لحماره الذي أكلته ذات مرة، ويقرر الثأر له بأن يقتل كل السباع الموجودة في «بئر السباع». فالزير في السيرة رغم إدراكه أن كل تلك المهمات القصد منها فناؤه بسبب كيد «الجليلة» له بإيغار صدر أخيه عليه، فإنه يختار طاعة أخيه حتى وإن أراد موته، وفي الأخير يستأذنه في الانصراف والبقاء في الغابة لما يرى صعوبة القرب من أخيه في ظل كراهية زوجته له وسعيها إلى قتله «فقال له كليب ...إنك اليوم ساعدي وزندي وأنت الحاكم من بعدي، فقال - أي الزير - لا أريد سوى سلامتك والذي أريده منك أن تأمر لي بصيوان... عند بئر السباع.. لأني أنفرد عن باقي الناس وأكون وحدي خصوصًا من كيد النساء... فإن الانعزال أفضل للرجال الأحرار ولا سيما قد صار لي على السباع ثأر على قتل الحمار ولا بد لي من قتل جميع الأسود أو أن الحمار يرجع...».

أما المصادر التاريخية فلا تذكر أن هناك خلافًا كان بين الزير وجليلة. تلك الكراهية التي كانت محركا للأحداث في السيرة الشعبية، والتقطتها الكثير من الأعمال الدرامية مثل مسلسل الزير سالم إخراج حاتم علي ٢٠٠٠، الذي جعل كراهية جليلة هي كراهية نابعة من حبها الشديد للزير ولأنه لم يتقدم للزواج منها فهي تنتقم منه، في حالة مشابهة لما بين حربي وصفية في رواية بهاء طاهر «خالتي صفية والدير» تلك المحبة التي يصدق فيها القول «ومن الحب ما قتل».

د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
العدد 334 - السنة الثالثة عشر- الأحد 28 أبريل 2024 م – 19 شوّال 1445هـ

قالت العرب

وكنت جميلة كالأرض كالأطفال كالفلّ / وأقسم من رموش العين سوف أخيط منديلا وأنقش فوقه لعينيك / واسما
حين أسقيه فؤادا ذاب ترتيلا / يمدّ عرائش الأيك سأكتب جملة أغلى من الشهداء والقبَل / فلسطينية كانت ولم تزل

محمود درويش (1941 - 2008)

الفساد والسرقة النخبوية يتحولان إلى عرف فى أفريقيا

الباحثة الجزائرية فوزية زراولية: رشوة وتبييض أموال، ونهب مباشر للمال العام من طرف النخبة الحاكمة جنوب الصحراء

يلعب الريع دورا محوريا فى صياغة السياسات الداخلية للعديد من الدول الإفريقية، فما يقارب أكثر من نصف دول القارة يعتمدون على الموارد الطبيعية فى تمويل الحياة السياسية والاقتصادية، ولكن التبعية للموارد هذه كان لها الوقع الكبير على البنية المجتمعية ومستويات العنف داخل الدولة خاصة أثناء الأزمات الاقتصادية. فكل من الحروب فى نيجيريا، تشاد، جمهورية إفريقيا الوسطى، لا تنفصل عن منطق عمل الآلة التوزيعية الداخلية، وكيفية توزيع الثروات وتوظيفها لتعزيز الانقسامات الداخلية، وإقصاء المعارضة، وتخريب القطاع الإنتاجى فى مقابل توسيع نشاطات غير ريعية استهلاكية، وكل هذه الممارسات قادت على المدى البعيد إلى تخريب آليات التعايش الداخلي.

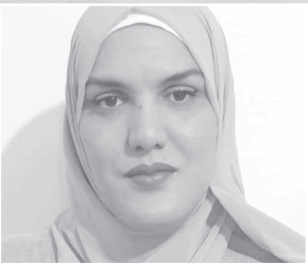

هذه الرؤية تشكل ملخص دراسة الباحثة الجزائرية فوزية زراولية الأستاذة المساعدة فى قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة جيجل، والتى عنونتها بـ "الريع والحروب الأهلية فى إفريقيا جنوب الصحراء: مع الإشارة لحالة جمهورية الكونغو الديمقراطية"، ونشرت بمجلة الحقيقة وكشف فيها كارثية الأوضاع المأساوية التى تعانى منها الشعوب الأفريقية جراء انتشار الحروب والنزاعات والفساد بين النخب الحاكمة والمؤسسات التى تنضوى تحت رئاستها.

تشير زراولية إلى أنه ليست كل دولة غنية بالثروات الطبيعية هى عبارة عن دولة ريعية، وليست كل الدول الريعية هى دول تابعة، وبالتالى ليست كل دولة ريعية مهددة بالانهيار. فالدولة الريعية هى التى تكون فيها نسبة عائدات صادرات المواد الأولية من الناتج الداخلى الخام عالية، والدولة الريعية التابعة هى التى تكون فيها حصة الفرد من عائدات الريع كبيرة جدا. إذن ما يقود إلى الحرب الأهلية هى التبعية وليس الريع ولا الوفرة، وهذا ما أكده باسيدو ولاى من خلال دراستهما الكمية.

وتقول يختلف أثر التبعية الريعية على الاستقرار الداخلى للدول الأفريقية باختلاف نوعية المورد. وفقا لتحليلات تاد دانينغ، تقتضى دراسة الاقتصاد السياسى للدولة الريعية منح الاعتبار لطبيعة المورد المتواجد فى الدولة محل البحث، فليست كل الموارد الطبيعية تتجه إلى الخزينة الوطنية، وليست كل الموارد تفرز لنا دولة ريعية. منهجيا، وحسب دراسات فيليب لو بيلون يمكن التمييز بين نوعين من الثروات الطبيعية: الموارد المنتشرة جغرافيا والقابلة للنهب كماس الطمى والأحجار الكريمة، والموارد المتمركزة جغرافيا وغير القابلة للنهب كالنفط. على هذا الأساس، من المستحسن التركيز فى البحث على الأنظمة الغنية بالموارد المتمركزة جغرافيا، التى تحتاج لرؤوس أموال طائلة للاستغلال ومن الصعب الوصول لها من طرف الفواعل الخاصة. يسهل على الحكومة أن تؤسس على هذا النمط من الموارد قاعدة ضريبية ورقابة محكمة، الأمر الذى يرفع من مخاطر استهدافها ويضمن تحكم النخبة فيها، فى حين تتطلب الموارد المتناثرة جغرافيا تكاليف محدودة لاستخراجها، ويمكن الاستحواذ عليها بسهولة من طرف الفواعل الخاصة كالمليشيات، الأمر الذى يفرز إرهاصات واسعة النطاق على المستوى السياسى ويحرم الدولة من عائداتها. لكن يمكن استثناء هذه المسلمة إذا كانت الدولة المعنية بالدراسة لها نظام ضريبى قوى أومؤسسة عسكرية قوية.

وتضرب زراولية مثلا، تقول "استطاعت المليشيات الإثنية فى دلتا النيجر السيطرة على نسبة معتبرة من الإنتاج النفطي. منذ ٢٠٠٩ تطورت حركات القرصنة النفطية بشكل ملحوظ، حيث تم تخريب العديد من الأنابيب التابعة لشركة شل. تصاعد حركة التهريب فى السنوات الأخيرة، ما هو إلا ترجمة لتحكم الحركات المافياوية بإقليم دلتا النيجر وامتلاكها لقوارب متطورة لنقل حاويات النفط المسروق، إلى جانب اتصالاتها الواسعة مع الشبكات المافياوية الدولية والإقليمية. يوضح هذا المثال أن نوع الثروة وطريقة الاستخراج ليست عاملا كافيا من أجل الفصل فى قدرة الدولة الريعية على التحكم بعائدات الثروات التى تملكها. من جهة أخرى، تلعب نسبة الاحتياطات الداخلية من الثروة التى تمتلكها الدولة دورا محوريا فى تحديد سلوك النخبة الداخلي. وضح جون هيليرن فى دراسته حول الدول النفطية والسلوك الديمقراطى فى الدول الإفريقية أن هناك فارقا بينا بالدول النفطية السائرة إلى النضوج مثل أنجولا ونيجيريا،، وبين الدول النفطية المتراجعة الاحتياطات لأنها محدد محورى لتحليل العلاقة بين المجتمع والنخبة الحاكمة، ومستويات الفساد، ودرجات النهب النخبوي، الذى قد يقود إلى إشعال فتيل الحروب الداخلية.

وترى أنه غالبا تتبنى الدول الريعية فى إفريقيا آليات إنفاقية غير عقلانية، سواء دائمة أو مؤقتة. الشق الأول، يمثل المبادرات الإنفاقية طويلة الأمد والمستمرة كالخدمات الاجتماعية، القروض الاستهلاكية، المشاريع الاجتماعية الضخمة، وحتى التمويل الموجه للتنظيمات المجتمعية الهادفة لإعادة إنتاج أيديولوجة الدولة، وسياسيا أغلبها مقننة وممأسسة وتلعب دورا محوريا فى تحديد الاستجابات الداخلية تجاه النخبة الحاكمة، من جهة، وصياغة الإدراكات الفردية والجماعية تجاه النظام السياسي. مخرجات النسق السياسي، من جهة ثانية تقنن هذه الآليات فى حالات عديدة بشكل يسمح بإعادة إنتاج البنية المجتمعية والاقتصادية التى ترغب النخبة الحاكمة فى تطويرها.

ثانيا، الآليات المؤقتة والتى عرفت اتساعا كبيرا فى السنوات الأخيرة وخاصة فى الديمقراطيات الصورية أو التى يسميها نيكولاس فان دى والب التسلطيات الانتخابية من ضمن هذه الوسائل الجديدة، شراء الأصوات أثناء الانتخابات، توزيع الأموال أثناء الحملات الانتخابية، وتعتبر الحالة النيجيرية هى الرائدة فى هذا النمط من التوزيع الريعى .لكن لا يمكن أن ننفى أن هناك من الدول التى قد تتبنى سياسات توزيعية ريعية معتدلة، ويعتبر نظام هوفوييه سابقا فى ساحل العاج من أهم الأمثلة عن الأنظمة الزبائنية الريعية المستقرة، والتى استطاعت تجنب الانهيار الكلى عبر سياسات توزيعية معتدلة استهدفت تقليص واحتواء الانقسامات الجهوية.

وتؤكد دراسة الحروب الأهلية فى الدول الغنية بالثروات الطبيعية أنه يقتضى فهم تطوير ممارسات النهب على مستوى النخبة الحاكمة. ففى بعض الدول الإفريقية، لا يعتبر الفساد ممارسة عرضية منحصرة فى مستويات محددة، ولكنه سياسة واستراتيجيات مخطط لها، وموجهة بشكل يسمح للنخبة الحاكمة برفع ثروتها الشخصية من المال العام، ويقود إلى تعميق الانقسامات المجتمعية. فممارسات السرقة تمس جميع المؤسسات الوطنية، كالمؤسسة العسكرية، والبرلمان، والقضاء، حيث يتورط أغلب الموظفين السامين فى سرقة المال العام لتحقيق الأغراض الشخصية. تكون مستويات الفساد عالية جدا فى الأنظمة الرئاسية التى يسيطر عليها الشخص الواحد مقارنة بالأنظمة العسكرية أو التى لا يهيمن فيها الشخص الواحد بل لوبيات مشتركة مع بعضها البعض، لأن الرئيس فى الأنظمة الأولى يتمتع بصلاحيات واسعة للتدخل فى المال العام والإنفاق من الخزينة العامة..

وتشدد زراولية على أن مظاهر الفساد السياسى والسرقة النخبوية من الرشوة وتبييض الأموال، والنهب المباشر للمال العام من طرف النخبة الحاكمة تحولت إلى عرف متبنى بشكل دورى فى معظم الدول الغنية بالثروات جنوب الصحراء. إذ أكدت جميع التقارير الصادرة عن المؤسسات الدولية حول الحكم الراشد والشفافية أن الدول النفطية مثل الكاميرون، التشاد، الكونغو . برازافيل، غينيا الإستوائية ونيجيريا متصدرة لقائمة الدول التى تشهد أكبر نسب النهب النخبوي. تحولت فيها الشركات الاستخراجية سواء العامة أو الخاصة منها، مثل: الشركة النفطية الأنجولية، الشركة البترولية الوطنية النيجيرية، الشركة الوطنية لبترول الكونغو، الشركة الوطنية للمحروقات فى الكاميرون، جى بيترول الغينية، إلى مؤسسات محورية ومحددات جوهرية لاستمرار النظام وبقائه، وفى حالات أخرى، أصبحت مصدرا للصراع الدائم بين اللوبيات الداخلية المهيمنة التى تسعى بشتى الطرق إلى الحفاظ على رقابتها المطلقة على مصدر العائد.

وتتابع أن اتساع حركة الفساد النخبوى فى الدول الريعية الإفريقية هو إفراز لمسارين محوريين، الأول وهو الإقصاء، والثاني، وهو الإدماج. إقصاء المواطن من عملية اتخاذ القرار وتجريده من دوره كمراقب فى معادلة العقد الاجتماعي، وإعادة إدماجه فى الحلقة المفرغة للنظام التوزيعى النيوباتريمونيالى الذى حرصت النخب المهيمنة، سواء مدنية أو عسكرية، على ترسيخه منذ الاستقلال. فالريع سمح للنخبة الحاكمة بقمع النزعات الاحتجاجية الداخلية عبر بناء الجيوش والأجهزة الاستخباراتية الموجهة لقمع أى شكل من أشكال المعارضة الداخلية، كما منحها الفرصة لتشتيت العمل الجماعى وإلغاء الوظيفة السياسية للمجتمع المدنى من خلال إلغاء الضرائب أو تخفيضها لمستويات دنيا. فإذا كان المواطن فى الديمقراطيات الغربية يلعب دور المراقب لمنع النخبة من الاستبداد بالسلطة، فإنه فى الدول الإفريقية الريعية، يلعب دور الزبون الذى يخدم مصالح نخبة ضيقة لا تكترث للصالح العام.

وتلفت زرولية أن هذا النمط من الفساد النخبوى لا يقتصر على مرحلة الأنظمة المطلقة، ولكن مازال قائما حتى يومنا هذا. فالموجة الديمقراطية التى مست معظم الدول الإفريقية منذ مطلع التسعينات لم تحرم النخب التقليدية من الحفاظ على مكانتها فى قلب هرم السلطة، بل ساعد آليات جديدة للاستيلاء على المال العام تحت حجة التعددية السياسية، وهنا نقتبس التعبيرالشهير لبيار جاكموت "إن الدولة الإفريقية دولة بدائية حيث الإثنية هى المعيار الجوهرى للمعاملات الداخلية والفساد النخبوى تحول إلى مرض مزمن، ولهذا لا بد أن نتوقف عن النظر لها على أنها الحلقة الانتقالية لمشروع بناء الدولة المعاصرة، والبدء بالنظر لها كملكية خاصة".

إن تنامى النهب النخبوى فى المجتمعات الإفريقية لم يساعد فقط على تراجع الخدمات الاجتماعية وارتفاع مستويات الفقر، بل ساهم فى تخريب مراكز إنتاج الشرعية الداخلية للنخبة الحاكمة وفاقم من أزمة التغلغل. هذه الأخيرة التى تحولت على المستوى البعيد إلى مجموعة من الحركات الانفصالية المطالبة بتشكيل دويلات مستقلة بدعم من الدول المجاورة أو القوى الكبرى. عائدات الريع ساهمت من جهة من تمويل الحسابات الخاصة فى البنوك الخارجية، ولكن من جهة أخرى، مهدت لتنامى العنف المجتمعى الذى أصبح خلال فترة وجيزة عبارة عن حالات عنف على درجة عالية من الشدة. فانهيار الدولة فى سيراليون، ليبيريا، والكونغو الديمقراطية، وفشل الحكومات فى كل من الغابون، الكاميرون، التشاد ما هى إلا تعبير عن السياسات النخبوية الريعية القائمة على احتكار المال العام لخدمة الأغراض الشخصية.

وتنبه إلى أن تعميم الفساد فى المجتمع وتبنيه كاستراتيجية دورية من طرف القطاعات المجتمعية الدنيا، قد يكون تعبيرا عن خيار شخصى أو تعبيرا عن حتمية مفروضة. بالنسبة للعديد من المسؤولين المتواجدين على رأس المناصب العليا فى البيروقراطيات، فإن الفساد هدفه رفع العائدات من النفوذ الذى توفره الوظيفة المؤسساتية والسلطة الظرفية التى منحت له، بغض النظر إن كان هذا الموظف لديه توجهات سياسية أو لا، فالتعسف بالسلطة الممنوحة له هو إفراز للطمع أكثر منه إفرازا لتوجه سياسي. نسبة الاختلاس لدى هذه الفئة المجتمعية تكون جد مرتفعة فى حالة الأنظمة المشخصنة التى يكون فيها تواتر تغيير المناصب سريع جدا، وسقوط الأدوار الاقتصادية وتصاعدها لا يخضع لمعايير واضحة ولكن لقرارات شخصية. أما للفئة المهمشة أو الفئات الشعبية الدنيا فإن الظروف الاقتصادية وغياب قاعدة الجزاء هو الذى يفرض عليها المشاركة فى نشاطات الفساد اليومي، أو على الأقل التسليم به كعرف داخل المجتمع.

محمد الحمامصي

من الشرق للغرب.. هل تتم إعادة صياغة استراتيجيات الأمن القومي؟

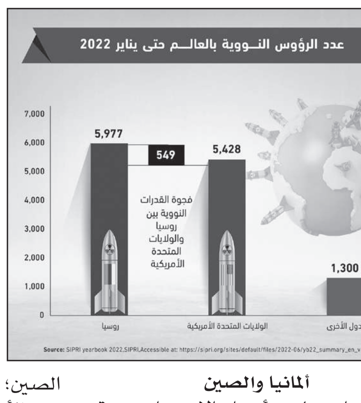

يشهد العالم اليوم تحولات كبرى ينتظر أن تؤدى إلى خلق نظام عالمى جديد متعدد القطبية، ففى ظل النزاعات والحروب والمواجهات والتصدعات التى تمتد على مساحة القارات بين أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا، تتصاعد التحديات أمام الدول الكبرى خاصة روسيا والصين من جهة وأوروبا وأمريكا من جهة أخرى، وهذا الكتاب "Security Concepts إعادة صياغة استراتيجيات الأمن القومى لدول العالم" الذى أصدره مركز إنترريجونال للتحليلات الاستراتيجية بأبوظبي، وعبر مجموعة من الدراسات تتشكل محاورها عبر تساؤلات لماذا تعانى الاستراتيجية النووية الأمريكية من القصور؟ كيف تؤثر الحرب الأوكرانية على الاستراتيجية العسكرية الأمريكية؟ ما أبعاد الاستراتيجية الألمانية الجديدة بشأن الصين؟ ما مضمون وتأثير الاستراتيجية البريطانية لمكافحة الإرهاب؟ لماذا أطلقت إيطاليا استراتيجية جديدة فى "منطقة المتوسط"؟ ما دلالات استراتيجية الأمن القومى الجديدة لكوريا الجنوبية؟.. يسعى الكتاب أن يكشف بعضا من جواب لما يجرى على الساحة العالمية.

أمريكا وروسيا

انطلاقا من الاستراتيجية النووية الأمريكية وما تعانيه من قصور تؤكد الدراسة أنه مع التوقعات المتعددة حول احتمالية أن تلجأ روسيا لاستخدام قوتها النووية لإنهاء الحرب بصورة أسرع، وحسمها لصالحها، وبالرغم من تأكيدات موسكو أنها لن تلجأ لذلك، ولن تبادر بشن ضربة نووية، لكن تلك الشكوك دفعت الولايات المتحدة الأمريكية لعودة التفكير فى أنها لا يمكنها التخلف عن موسكو فى تطوير قدراتها النووية خوفا من حدوث حرب مستقبلية بين الدولتين، تقوم فيها روسيا باستخدام قنابل تكتيكية تضرب أهدافا بعينها داخل الأراضى الأمريكية؛ ما يكبد واشنطن الخسائر.

وتكشف أن هناك انقساما فى الآراء بين من يرون أن أى استئناف للتخطيط النووى الجاد سيكون استفزازيا، ويرغبون فى مواصلة تقليص دور الأسلحة النووية فى استراتيجية الدفاع الأمريكية، وبين أنصار التوجه الآخر الذين يرون أن أخذ الحرب النووية على محمل الجد هو الذى منع – على الأرجح – اندلاعها طوال هذه الفترة، فضلا عن أن الإنكار الأمريكى لهذه الاحتمالية، أدى إلى تفوق القوى النووية الأخرى فى غفلة أمريكية؛ لذلك حان الوقت لإعادة تنشيط التفكير النووى الأمريكي؛ حيث إن المعضلة الآن هى فى الأساس معضلة ثقافية، ويمكن صياغتها فى تساؤل مفاده: هل تستطيع الولايات المتحدة استعادة قدرتها النووية التى فقدتها نسبيا منذ نهاية الحرب الباردة؟.

وتلفت إلى أنه لا يمكن إغفال أن تهديد مكانة واشنطن، سواء من خلال الصين أو روسيا التى تنظر للحرب الأوكرانية كمدخل لتغيير النظام الدولى القائم، يدفع الولايات المتحدة إلى تطوير استراتيجيتها العسكرية لإثبات تفوقها العالمي، وربما أيضا استغلال الاستنزاف الروسى فى الحرب من أجل خدمة مصالحها، لا سيما أن الحرب كشفت لواشنطن عن الكثير من الاستراتيجيات والتقنيات العسكرية الروسية، كما أن الحرب ربما تخدم الولايات المتحدة وتدعم صورتها العسكرية من زاوية إثبات قدراتها وفاعلية أسلحتها التى ساعدت أوكرانيا على الوقوف فى وجه الأسلحة الروسية. ويتوقع مع عدم وجود أى مؤشرات على انتهاء الحرب الروسية الأوكرانية على المدى القريب، أن تسهم فى تغيير البيئة الجيوسياسية العالمية؛ ما يفرض على الولايات المتحدة الأمريكية إحداث تغييرات فى استراتيجياتها العسكرية لتكون أكثر ملاءمة للتطورات العالمية، والتحالفات التى ستفرزها تلك الحرب.

ألمانيا والصين

وفيما يتعلق بأبعاد الاستراتيجية الألمانية الجديدة بشأن الصين والتى دعت إلى تقليل الاعتماد على السلع الصينية بشكل كبير مع الحفاظ على العلاقات الاقتصادية التى تبلغ قيمتها مئات المليارات من الدولارات. كما ترفض الاستراتيجية فكرة الانفصال عن الصين، لكنها تشدد على حاجة ألمانيا إلى "التخلص من المخاطر» أى تنويع سلاسل التوريد وأسواق التصدير بعيدا عن البلاد ومن ثم تقليل تعرضها للصدمات الخارجية. تؤكد الدراسة أن الاستراتيجية فى مراحلها الأولى، لكنها تظل خطوة مهمة لألمانيا فى تقليص اعتمادها على الصين؛ حيث من المحتمل أن يكون للاستراتيجية تأثير كبير على اقتصاد ألمانيا وأمنها فى السنوات القادمة، وفقا لما تقره الوثيقة، خاصة مع إقرارها بعدم الانفصال التام عن الصين، بل بمجرد الحد من الاعتماد عليها فى القطاعات الحيوية. ومع ذلك، فإن نشر مثل هذه الوثيقة يشير إلى تغير مهم فى برلين، يجعل الحكومة الألمانية تتماشى بشكل أكثر وضوحا من المفوضية الأوروبية التى ظهرت باعتبارها صوتا أكثر انتقادا للصين فى السنوات الأخيرة، كما يجب على واشنطن أن ترحب بموقف برلين الجيواستراتيجى الجديد تجاه الصين؛ لأنه يشير إلى مجال أكبر للتنسيق عبر الأطلسي.

بريطانيا والإرهاب

أما بالنسبة للاستراتيجية البريطانية لمكافحة الإرهاب، والتى ركزت فيها على الإرهاب الإسلامي، باعتباره التهديد المحلى الرئيسى للمملكة المتحدة؛ إذ شكل نحو ثلثى الهجمات فى عام ٢٠١٨ فضلا عن تشتت وانتشار أعضاء تنظيمى داعش والقاعدة، فى الوقت الذى تحاول فيه الجهات الفاعلة الدولية المعادية للندن الاستفادة من الأنشطة الإرهابية لتحقيق أهداف خاصة لها بالمملكة. فإن هذه الاستراتيجية وفقا للدراسة تعد خطة شاملة تهدف إلى الحفاظ على المملكة المتحدة فى مأمن من الإرهاب؛ حيث تعتبر خطوة مهمة إلى الأمام فى الحرب ضده، باعتبار أنها تتناول جميع جوانب الحرب ضد الإرهاب، كما أن تركيز الحكومة على الوقاية والتعطيل والحماية هو نهج متوازن من شأنه أن يساعد فى الحفاظ على أمن المملكة من العمليات الإرهابية المحتملة. ومع ذلك، من المهم أن نتذكر أنه لا يوجد حل واحد لهذه المشكلة المعقدة؛ حيث ستحتاج الحكومة إلى مواصلة العمل مع المجتمع، وتطبيق القانون، والعمل مع الشركاء الدوليين الآخرين فى الشأن ذاته، بيد أنه على الجانب الآخر، جادل بعض النقاد بأن الاستراتيجية لا تذهب بعيدا بما فيه الكفاية فى معالجة الأسباب الجذرية للإرهاب، بل إن الأمر يتطلب المزيد من الجهود والخطوات الإضافية للحد من انتشار الإرهاب فى البلاد.

البحر المتوسط الآمن

وترى دراسة البديل الآمن التى ناقشت إطلاق إيطاليا عملية "البحر الأبيض المتوسط الآمن"، أن العملية مجرد رؤية إيطالية لمستقبل وحضور روما؛ ليس فى منطقة المتوسط فقط وإنما أوروبا بشكل عام وتقديم نفسها كقوة أوروبية يعتد بها بجانب العمل على مواجهة تهديدات روسيا المتصاعدة لها سواء فيما يتعلق بأمن الطاقة أو تهديد نفوذها ومصالحها فى بعض دول شمال أفريقيا.

وتضيف أن هذه الرؤية الإيطالية ستصطدم بعدة معوقات حتى مع شركائها مثل فرنسا التى تختلف مع روما فى عدة ملفات منها ليبيا ومناطق أخرى، وهى الخلافات التى قلت حدتها بسبب الحرب الروسية الأوكرانية التى مثلت تهديدا لأوروبا بأكملها، كذلك فى حال تراجع الدعم أو التفاهم الأوروبى مع روما ستتأثر خططها كثيرا سواء فيما يتعلق بالمتوسط أو رؤيتها لجنوب أوروبا وشمال أفريقيا. بجانب ذلك، ستواجه تحركات إيطاليا فى المتوسط منافسة من قبل روسيا التى تعمل الآن على تعزيز حضورها بالمتوسط. كذلك، على روما التوافق وتعزيز علاقتها بشكل أكبر مع دول شمال أفريقيا وكذلك منطقة شرق المتوسط. وهذه تزاحمها فيها موسكو وقوى أخرى أيضا ستعرقل تحركات روما.

أمن كوريا الجنوبية

وتعالج دراسة «الردع الشامل.. دلالات استراتيجية الأمن القومى الجديدة لكوريا الجنوبية»، مضمون ودلالات الاستراتيجية، حيث صنفت صراحة كوريا الشمالية على أنها عدو يسعى إلى «توظيف آليات التخريب» على الرغم من تعرضها لصعوبات اقتصادية شديدة؛ حيث تنص الاستراتيجية على أن التحدى الأمنى الأكثر إلحاحا هو استمرار كوريا الشمالية فى تطوير قدراتها النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل، فى إشارة إلى تركيز بيونج يانج على نشر الأسلحة النووية التكتيكية التى تمكنها من تنفيذ ضربات نووية فائقة الدقة. وترجح الاستراتيجية ضرورة قيام سيول ببناء جيش قوى لجعل بيونج يانج تدرك أن هناك تضحيات أكثر من الفوائد التى من الممكن أن تحققها حال إقدامها على مهاجمة جارتها الجنوبية، وتنص الوثيقة أيضا على "أهمية تثقيف الجنود بأن النظام الكورى الشمالى وجيشه هم أعداؤنا".

تشير الدراسة إلى أن نهج كوريا الجنوبية الجديد وفقا للاستراتيجية تجاه الصين سيتخذ مسارا أكثر حزما؛ وذلك نتيجة للانحياز الصينى المتزايد مع روسيا وكوريا الشمالية، وهو ما سيضعف بدوره من إمكانية معالجة قضايا الأمن الإقليمي؛ ولذلك اتخذت إدارة يون موقفا علنيا فى مايو الماضي، يقوم على الاعتماد على الردع الأمريكى الموسع، حتى لو كان هذا الموقف سيتسبب فى استياء صينى من سيول، بيد أن بكين لا تساهم فى فرض العقوبات الأممية المفروضة على بيونج يانج، وهو ما يهدد بدوره حالة الاستقرار فى شبه الجزيرة الكورية. وتبين الاستراتيجية بشكل واضح العملية العسكرية الروسية الشاملة فى أوكرانيا، وتتعهد بمواصلة مشاركة سيول فى العقوبات ضد روسيا، وتقديم مساعدات إنسانية لأوكرانيا، لكنها تعلن فى الوقت ذاته أن كوريا الجنوبية ستحافظ على علاقات ثنائية مستقرة مع روسيا بشأن القضايا الرئيسية التى تربط بينهما.

محمد الحمامصي

المشهد
تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى
الإخراج الصحفى:
هالة سعيد عباس

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣_٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 334 - السنة الثالثة عشر - الأحد 28 أبريل 2024 م – 19 شوّال 1445هـ

كلام والسلام

بقلم: خالد حمزة

الديكتاتورة المستديرة !

لا تصدق من يقول لك أن كرة القدم لعبة .. تلعب والسلام !

قبل المباراة النهائية بكاس العالم ١٩٣٨ ؛ والتى جمعت بين المجر وإيطاليا موسولينى ؛ أرسل الأخير برقية مختصرة حملت تهديدا للاعبى فريقه مفادها : انتصر أو مت.

وبعد نهاية المباراة وفوز إيطاليا بالكأس؛ علّق حارس المجر بطرافة: ربما أكون قد فوت أربعة أهداف فى مرماى ، لكنني على الأقل ؛ أنقذت حياة أحد عشر لاعبا.

والحكم.. هو الطاغية البغيض الذى يمارس ديكتاتوريته دون معارضة. هو الجلاد المتكبر الذى يمارس سلطته بإيماءات لاتخلو من تهديد أو وعيد.

الصفارة فى فمه ، ينفخ بها رياح القدر المحتوم ، ويمنح الأهداف أو يلغيها .. البطاقة فى يده ، يرفع ألوان الإدانة: الأصفر لمعاقبة المذنب وإجباره على الندم ، والقاء صاحب البطاقة الحمراء إلى المنفى !

ربما أكون قد فوت أربعة أهداف فى مرماى ، لكننى على الأقل ؛ أنقذت حياة أحد عشر لاعباً

ومثل الحكم .. كان مشاهير الديكتاتوريين حول العالم يتحكمون بالمستديرة .

وفى الفصل الثالث من الكتاب الأخضر ، تساءل القذافى لماذا يلعب ٢٢ لاعبا كرة القدم .. بينما يتفرج عليهم الآلاف من المغفلين؟

والقذافى كان مشجعا لفريق ليفربول الانجليزى ؛ وكان أحد فناجين الشاى الذى كان يعتز به ، يحمل شعار النادى الانجليزي. على عكس أولاده الذين كانوا يميلون إلى النوادى الأيطالية واستثمروا ولعبوا فيها.

أسامة بن لادن كان مشجعا لفريق أرسنال الانجليزى ، وأبدى حماساً للنادى منذ أيام المراهقة حين زار بريطانيا فى حقبة السبعينيات. وكان يتابع مبارياته .. وهو هناك فى جبال تور بورا الأفغانية !

رادوفان كاراديتش جزار صربيا كان مشجعا فريق انترميلان الإيطالى ، وكان يتابع نتائج الفريق.. حتى وهو يحاكم أمام محكمة جرائم الحرب فى لاهاى الهولندية !

الإرهابى الأشهر كارلوس كان مشجعا مجنونا لفريق أرسنال الإنجليزى ، وكان يتابع نتائجه من داخل سجنه الفرنسى.

وأدولف هتلر مشجع فريق شالكه الألمانى ، كان وراء فوز الفريق ست مرات بالدورى الالماني.. خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٩٣٤ و ١٩٤٢.

وعلى نفس الطريقة.. سارت النظم الديكتاتورية فى أمريكا الجنوبية فى شيلى والبرازيل والارجنتين.. وديكتاتور أسبانيا فرانكو؛ وأصبحت معها أخبار كرة القدم تشغل كل الشعب عن كوارث الحكم العسكرى ؛ ومئات الآلاف من المساجين والنشطاء والمختفين قسريا ؛ واستخدم الأساطير مثل بيليه ومارادونا لذلك.

حتى الدول الشيوعية فى الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى ؛ ومعهم صدام حسين ؛ اتبعوا نفس الأسلوب: الثواب أو العقاب. فالفريق.. كان يجب أن يفوز لينال رضا الديكتاتور. أما لو هزم فالسجن والإخفاء القسرى .. سيكونان قدر اللاعبين!

khaledhamza27@yahoo.com

إلى اللقاء فى إحصاءات أخرى!

بقلم: أحمد عادل هاشم

الأرقام عبارة عن حقائق لا تكذب ولا تتجمل ، قد يتم تأويلها على نحو مغاير لدلالتها ومؤشراتها ، بعيون «السياسة» على طريقة حكومة رئيس الوزراء الأسبق أحمد نظيف عندما جردت رقم الزيادة فى أعداد المستخدمين للتليفون المحمول فى مصر(قبل يناير ٢٠١١) من محتواه الاجتماعى وقدمته للشعب باعتباره قفزة نوعية فى التنمية رغم التدهور الحاد فى التعليم والصحة والخدمات عموما.

المركز المصرى للدراسات الاقتصادية نشر ارقاما وبيانات عن حالة مصر (٢٠٢٤)، مصدرها تقارير مؤسسات دولية مثل البنك الدولى وغيره ، تكشف الترتيب العالمى لمصر فى المال والاقتصاد والخدمات التى تقدمها الحكومة للشعب وجاءت التالى :

. احتلت مصر المركز ٩٣ من بين ١٤١ دولة فى مؤشر التنافسية العالمية ، فى حين تحتل إسرائيل المركز ٧٧ والسعودية المركز ٣٦ والأمارات المركز ٢٥.. ورغم الترتيب المتأخر فقد سجل التقرير تقدم مصر خمسة مراكز.

. على مستوى الاستقرار الاقتصادى الكلى ، تحتفظ مصر بالمركز رقم ١٣٥ من بين ١٤١ دولة من حيث ثبات السياسات المالية والاقتصادية ، ما يشير ألى أن الاستقرار السياسى لا يقودنا بالضرورة إلى الاستقرار الاقتصادى ، فى حين جاءت إسرائيل فى المركز الأول عالميا مع كل من السعودية والامارات وكوريا الجنوبية والمانيا وكندا وبريطانيا .

. على مستوى النظام المالى ومدى كفاءته واكتشاف الخلل والأخطاء ومعالجتها ، تراجع ترتيب مصر العالمى خمسة مراكز، واحتلت المرتبة رقم ٩٢ ، بينما جاءت أسرائيل فى المركز ٢٣ والامارات المركز ٣١ والسعودية ٣٨ والولايات المتحدة فى المركز الثالث .

. فى الخدمات الصحية التى تقدمها حكومة مصر لمواطنيها ، جاء ترتيبنا العالمى فى المركز ١٠٤ (من بين ١٤١دولة) مسجلة تراجعا بمقدار خمسة مراكز ، بينما جاءت اسرائيل فى المركز التاسع عالميا ، والسعودية فى المركز ٥٨ والامارات ٩٢، وجنوب افريقيا ١١.

. فى سوق العمل تقدمت مصر فى الترتيب العالمى خمسة مراكز ، وجاءت فى المركز ١٢٦ عالميا واسرائيل ١٨ والولايات المتحدة الامريكية فى المركز الرابع والامارات فى المركز ٣٤ ، ما يشير إلى أن الاستثمارات والمليارات التى تم ضخها فى الاقتصاد سجلت تقدما طفيفا فى إنعاش سوق العمل الذى يعيش مرحلة انكماش ملحوظ بسبب تأثره بالأوضاع الاقتصادية المأزومة ، والمنافسة العالمية، والتعليم، والديموغرافيا، واستبدال البشر بالآلات. ما أثر بشدة على عدد العاملين ، ومدة البطالة، ومستويات الأجور.

. حجم السوق المصرى كما تشير أرقام المؤسسات الدولية التى نقلها لنا المركز المصرى للدراسات الاقتصادية يزداد تحسنا واتساعا، حيث صعدت مصر ألى المركز ٢٣ فى قائمة الدول التى تم إحصاء أرقام ومؤشرات اقتصاداتها والبالغ ١٤١ دولة .. سوق واعد ينتظر التحرر من البيروقراطية والفساد.

. على مستوى ديناميكية الأعمال (سلاسة وسهولة الاستثمار) احتفظت مصر بالمركز ٩٧ ، بينما جاءت اسرائيل فى المركز الرابع عالميا والمغرب ٧١، والإمارات ٣١ ، والسعودية فى المركز ١٠٩والولايات المتحدة الامريكية فى المركز الاول بلا منازع.

. فى مجال القدرة على الابتكار احتفظت مصر بمركزها رقم ٦٤ مع بداية العام الجارى ، ولم تحرز تقدما ولم تسجل تراجعا ايضا، فى حين جاءت اسرائيل فى المركز الخامس عشر عالميا، والسعودية فى المركز ٣٦ ، والإمارات فى المركز ٣٣ ، والمغرب ٨١، والهند ٣٥، والولايات المتحدة فى المركز الثانى والمانيا المركز الأول دون منافس.

. فى المشاركة والفرص الاقتصادية احتفظت مصر بالمركز قبل الأخير (١٤٠) بينما جاءت إسرائيل فى المركز٧٥ ،والسعودية ١٣٠، والإمارات ١٢٨ ، والولايات المتحدة ٢١.

. على مستوى مؤشر السفر والسياحة، جاء ترتيبنا فى المركز ٥١ من بين ١١٧ دولة شملها الاستقصاء، ولم نسجل تراجعا او تقدما فى الترتيب، واحتلت اسرائيل المركز ٤٧ ، والإمارات المركز ٢٥ والسعودية ٣٣ والولايات المتحدة المركز الثانى والمانيا المركز الخامس.

أما الترتيب فى سهولة ممارسة أنشطة الأعمال فقد حققنا تقدما ملحوظا بمقدار خمسة مراكز دفعة واحدة واصبح ترتيبنا العالمى فى سهولة ممارسة الاعمال فى المركز ١١٤، واسرائيل فى المركز٣٥، والإمارات قى المركز ١٦، والسعودية ٦٢، وكوريا الجنوبية فى المركز الخامس.

. المؤلم جاء مع التحصيل العلمى .. ففى الوقت الذى احتلت فيه إسرائيل المركز الأول ، جاءت مصر فى المركز ١١٩ عالميا من بين ١٥١ دولة، بينما جاءت كل من الإمارات والسعودية فى المركزين ٨٦ و٨٧ على التوالى واحتلت كندا المركز الاول ، فى حين جاءت ألمانيا مفاجأة التحصيل العلمى ،حيث احتلت المركز ٨٢ بعد بريطانيا (المركز٣٤) وامريكا صاحبة المركز ٥٩.

. نأتى لمؤشر السعادة (!!) تقدمنا خمسة مراكز وأصبح ترتيبنا العالمى فى المركز ١٣٢ من بين ١٤١ دولة، واحتلت إسرائيل المركز ١٢ ، والإمارات المركز ٢٥ والسعودية ٢٦، والمانيا ١٣ وامريكا ١٩ ، وعلى مستوى جودة الحياة، جاء ترتيبنا فى المركز ٧٦ وهو ذات المركز الذى سجلته مصر منذ خمسة اعوام، وجاءت اسرائيل فى المركز ٣٤، والامارات ١٥، والسعودية ٣٢، وأمريكا ١٦ وألمانيا ١٢.

. فى ملف الديمقراطية، ومن بين ١٦٧ دولة شملها الإحصاء جاءت مصر فى المركز ١٣٨ مسجلة تراجعا بمقدار خمسة مراكز، واسرائيل فى المركز ٢٧، والإمارات فى المركز ١٤٥ والسعودية ١٥٦ وأمريكا فى المركز ٢٥ وبريطانيا فى المركز ١٦وألمانيا ١٤ والمغرب ٩٦.

. مؤشر مدركات الفساد والتصدى له جاء مؤلما وكاشفا طبقا لأرقام المؤسسات الدولية، حيث جاءت مصر فى المركز ١٣٠ من بين ١٨٠ دولة شملها الإحصاء ، وإسرائيل فى المركز ٣١ ، والسعودية فى المركز ٥٤ ، والإمارات فى المركز ٢٧ مسجلة أعلى معدل تقدم عربى فى مدركات الفساد .

انتهى التقرير الإحصائى لمركز الدراسات الاقتصادية الذى تم تجميعه من تقارير مؤسسات دولية كبرى ولم يتبق سوى الإشارة إلى :

. مصر تحتل المركز ٣٤ على مستوى العالم فى كرة القدم فى تصنيف الفيفا..

. حققت مصر قفزة نوعية فى عدد الكبارى التى تم إنشاؤها فى السنوات الأربعة الأخيرة، حيث قفز العدد بنسبة ٣٠٪ .

نكتفى بهذا القدر،وإلى اللقاء فى إحصاءات أخرى.

اعتذار واجب لكل الحمير..!!

بقلم: عبدالرزاق مكادي

فى تاريخ الإنسان وعلاقاته بالحيوانات عبر العصور ، سواء «المستأنس» منها أو المتوحش والبرى لم يضطهد أو يهان وتتكر افضال و»جمايل»حيوان مثلما يحدث مع صديقنا ورفيق دروبنا فى الضراء قبل السراء الحمار، ذلك «الصامت الصبور الكتوم »، إلا عندما تداهمه نوبات» الرفس» المستعصى وتهاجمه حالات «النهيق» المزمن!

فصاحبنا منذ الأزل يحملنا ومعنا أحمالنا وأثقالنا من ”زاد وزواد“ وماء إلى بلاد لم نكن بالغيها إلا بشق الأنفس، وشاركنا معاركنا وغزواتنا بجانب” البغال“ فى قلوب الصحارى والجبال قبل تطور الأسلحة وظهور الآليات العسكرية، إلى درجة لجوء البعض مؤخرا إلى“تفخيخه“ وتحويله إلى مشروع ”استشهادى“ وإطلاقه وسط الأعداء للانفجار فيهم وقتلهم.. !! مثلما فعل مقاتلو ”طالبان“ فى أفغانستان وباكستان وعناصر سفا حى“ د ا عش “ فى سوريا والعراق فى بعض هجماتهم ومعاركهم.. !!

عندما نختلف مع بعضنا لا نجد إلا كلمة ”حمار“ لنصف بها من يختلفون معنا فى الرأي..!!

ورغم كل ذلك ولأننا عرفنا بنكران الجميل ننسي من حين لآخر أفضاله وتضحياته من أجلنا، فعندما يزل أو يخطيء أحدنا نسارع بوصفه بالحمار، وعندما نختلف مع بعضنا لا نجد إلا كلمة ”حمار“ لنصف بها من يختلفون معنا فى الرأي..!!

وحتى عندما يتجاسر البعض وتاخذهم نوبة شجاعة لاستعمال حقهم الدستوري فى حرية التعبير والاختلاف فى الرأى تتصدى لهم قطعان وكتائب ”النفاق الاعلامى“ لتسفيههم وتسفيه معتقداتهم و آرائهم إلى حد وصفهم بالحمير..!!

الأب يصف ابنه بالحمار عندما يثور ويغضب ولا تعجبه تصرفاته..!!

بعض الزوجات وهن فى قمة ثورتهن وغضبهن من أزوجهن ، لا يسعفهن إلا كلمة ”ياحمار“ لتهدئة ثورتهن..!!

مديرك ورئيسك فى العمل عندما لا تعجبك قراراته ”الجائرة“ أو تصرفاته غير الحكيمة تسارع أنت وبقية الزملاء بوصفه ”بالحمار والجاهل“!!

فى الشارع عندما يرتكب جارك فى حارة المرور حماقة أو مخالفة تغضبك تشرفه بوصفه بالحمار.. !!

عندما تتوجه لإنهاء خدمة او مصلحة فى إحدى الدوائر الحكومية، وتفاجأ بتعنت الموظف وكثرة طلباته وتعقد الأمر، وينتفخ صدرك ”ضيقا وغيظا“ وتشعر بالقهر تسارع بينك وبين نفسك مرددا : (حمار مين..اللى اصطبحت بيه النهارده..؟؟)!!

الحالات والنماذج كثيرة فى حياتنا اليومية وتسيء إلى رفيقنا ”الحمار“ وتستدعي الاعتذار لكل إخوانه المظلومين منذ عصر ” الرماح و المنجنيق“ وحتى عصر“ طائرات الدرون ” ..فعذرا لكل الحمير.. !!

ماذا لو أجرينا استطلاعا نختار فيه زمنا من ماضينا لنعيش فيه فى المستقبل؟

أى زمن سنختار؟ وهل نتفق على زمن أم نحارب للفوز به؟

مأوى الزمن

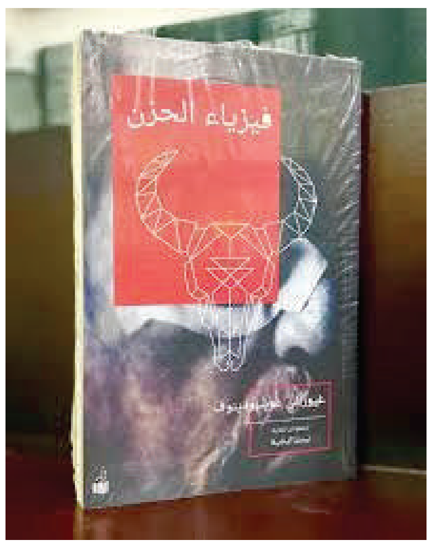

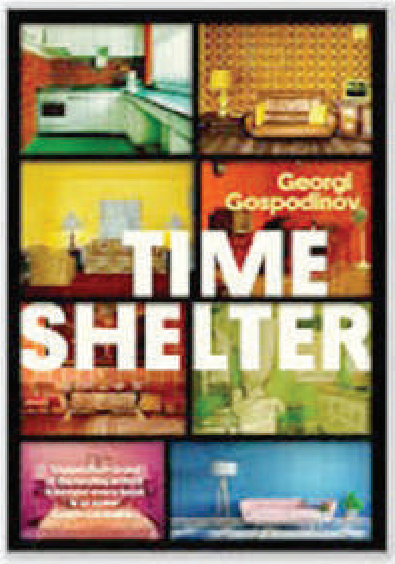

أثار فوز الروائى والشاعر والكاتب المسرحى البلغارى جورجى جوسودينوف بجائزة البوكر عام ٢٠٢٣عن روايته ملجأ الزمن ارتياحًا كبيرًا فى الأوساط الأدبية العالمية، فالجائزة تعد انتصارًا للغات الصغيرة بعيدً عن طغيان اللاتينية، وتميزًا لكاتب يعدّ من أشهر الكتاب الأوروبيين خلال العقود القليلة الماضية. هو من مواليد ١٩٦٨، وترجمت أعماله إلى ٢٥ لغة.

كتب أربعة دواوين شعريةٍ قبل أنٍ يتحول إلى كتابة النثر، وهو ما ترك تأثيراً واضحا على أسلوبه فى كتابة الرواية. حصل ديوانه الأول ”نحات الحجر“ المنشور عام ١٩٩٢ على الجائزة الوطنية للعمل الأول. أصدر عمله الروائي الأول ”رواية طبيعية» سنة ١٩٩٩، ولقى نجاحاً فى بلغاريا قبل أن تتم ترجمته إلى ٢١ لغة أخرى. فازت روايته الثانية «فيزياء الحزن» بالجائزة الوطنية لأفضل رواية لسنة ٢٠١٣، وترجمت لعدة لغات وصدرت مترجمة إلى العربية عام ٢٠١٦. كتب أول رواية بلغارية مصورة بعنوان ”الذبابة الخالدة“ ناقش فيها فكرة الخلود والصراع على السلطة، ترشح فيلم فايشا العمياء ومدته ٨ دقائق لجائزة الأوسكار لأفضل فيلم رسوم متحركة عام ٢٠١٦ للمخرج البلغارى –الكندى ثيودور أوشيف، المقتبس عن قصة جوسبودينوف ولاقى نجاحًا كبيرًا. فاز عام ٢٠٢١ بجائزة ”ستريغا“ الإيطالية المرموقة وهى المرة الأولى التى تمنح فيها الجائزة لكاتب من أوروبا الشرقية. وقد صرح جوسبودينوف أن إلهامه جاء من صعود الحركة الشعبوية عام ٢٠١٦، وكذلك خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وأن كتاباته تأثرت بالكاتبين توماس مان وخورخى لويس بورخيس. بشكل عام، استغرقت كتابة الرواية ما يقرب من ثلاث سنوات وحوالى ستة أشهر لترجمتها إلى اللغة الإنجليزية وترجمتها صديقة طفولته أنجيلا روديل، التى يعتبرها متفهمة تماما لدقائق أعماله.

حين فكرت فى ترجمة اسم رواية جورجى جورسو دينوف إلى العربية وجدت أن مأوى الزمن أو ملاذ الزمن يعتبر ترجمة حرفية ولم أرتح، ثم أعطانى صديق معنى آخر هو الاحتماء بالزمن وقد فرحت به باعتباره اسما لامعا جذابًا لرواية ثم حين قرأت الرواية عدلت أفكارى نحو العنوان: عتبة النص الأولى كما نقول، أول ما يقابل القارئ وما يشده أو يقلقه عدلت أفكارى بسبب ما يطرحه هذا العنوان من معانى أخرى أوسع إذ يطرح مجموعة من الأسئلة أولها: هل هو الملاذ من الزمن أو الملاذ فى الزمن؟ وينطبق هذا على المأوى والملجأ بالطبع. هل هو الاحتماء بالزمن أم الاحتماء فى الزمن أو الاحتماء من الزمن؟ ومع تطورات قراءة الرواية طرح النص على عقلى معنى عيادة الزمن أيضًا وأصبح السؤال الذى تطرحه الرواية فعليا هو إن كان اللجوء إلى الحنين للماضى بخلق ملاذ محمى فى ماض محمى لزمن محمى يحل أزمة الإنسان المعاصرٍ أم يدمره؟ فكيف كان ذلك؟

لأن نص جوسبو دينوف لم يترجم إلى العربية بعد سأحتاج إلى ذكر بعض التفاصيل داخل العمل نفسه حتى يدرك القارئ ما أريد.

الراوى فى الرواية مجهول الاسم وهناك احتمال قائم أن يكون هو الكاتب نفسه لأنه بلغارى ويحمل بعض تفاصيل حياة جوسبودينوف وسمات طفولته، ولأن الكاتب سبق وأن قدم فى كل من روايتيه: ”رواية طبيعية“ و“فيزياء الحزن“ راويا يحمل اسمه نفسه ويقول عن هذا فى حديث صحفى له: ”فى ’رواية طبيعية‘ لا توجد شخصية جيورجى جوسبودينوف واحدة، بل ثلاث.

فى ملاذ الزمن يتعقب الراوى البطل الثانى جوستين الطبيب النفسى ”لاحظ اسمه الذى يختصر اسم المؤلف أيضًا “ بعد أن قرأ عنه مقالا فى جريده ذكر فيه تجربته فى علاج مرض الزهايمر أو خرفٍ الشيخوخة. لا نعرف إن كان جوستين موجودا بالفعل أم أنه من نسج خيال الراوي: ”اخترعتُه أول الأمر، ومن ثم التقيته بلحمه ودمه“ وفى مكان آخر: ”لا أتذكر إن كنت أنا من اختلقتُ جوستين أو هو من اختلقني“ .

يقول الراوى أن الطبيب النفسى انتبه لارتياح المرضى فى عيادته بسبب الديكور الستينى لها، فقرر أن يختبر تنشيط ذكريات مرضاه فاقدى الذاكرة عن طريق وضعهم فى زمن يحبونه، فلما استجابوا بسرعة أنشأ عيادة فى مدينة زيورخ السويسرية من عدة طوابق كل طابق منها يمثل عقدا مختلفا من الزمن أعاد إحياءه لزيادة اشعار المريض بالأمان، أضفى عليه جميع التفاصيل المعقدة التى كانت شائعة فى ذلك الزمن من روائح وصابون وموسيقى وماركات سجائر ومجلات وألوان أقمشة ومفروشات وبيانات وإذاعات وغيرها من التفاصيل، التى من شأنها اعادة خلق أماكن من أيام شبابهم بهدف نقل المرضى إلى ماضيهم فى الوقت المناسب لإعادة النظر فى ذكرياتهم. ووضع المرضى حسب ارتياحهم للوجود فى زمن معين يتزامن مع سجنهم فى وقتهم الماضى الذى لم يتجاوزوه داخليا. وكعلاج للنسيان ولانعدام المعايير الأخلاقية والقلق المتفشين فى الزمن المعاصر كما سيتضح فى الرواية بعد ذلك.

وشجعته النتيجة التى وصل إليها المرضى إلى نقل نموذج هذه العيادة إلى معظم بلدان أوروبا وقد فوجئ بإقبال الناس الأصحاء للانضمام إلى هذه العيادات، للهروب من أهوال الحياة العصرية، واستعير كلمة رئيسة لجنة تحكيم الجائزة، الكاتبة الفرنسية المغربية ليلى سليماني: الكل يريد قطعة من الماضي.

عالج الراوى موضوع صراع الماضى والحاضر كوسيلة لاستكشاف القرن العشرين فى أوروبا، من خلال متاعب الأصحاء والصدمات النفسية التى يعانى منها والأشخاص المحطمين جراء أحداث الحاضر وخوفهم من المستقبل، وقد لاحظت أن استخدام المؤلف لسلاح الحنين وهو سلاح ذو حدين لإعادة الأشخاص إلى تجاربهم الفعلية أسفر فى بعض الأحيان عن ألم وحزن لأن هروبهم إلى النسيان وفقد الذاكرة كان بسبب أحداث كارثية رفضتها عقولهم من ناحية، ومن ناحية أخرى أسفر عند البعض الآخر عن عودتهم إلى ذكرى تخيلاتهم عن الزمن الماضي: شرطى سرى سابق يتخيل إعادة حياة رجل اضطهده وأبلغ عنه، مريض رومانى يجد العزاء فى تذكر ليس ما اختبره فى حياته ولكن لحياة متخيلة فى الولايات المتحدة، وغيرها من الشخصيات التى ساعدت على ابراز صورة المجتمع الممزق.

ومع توالى فصول الرواية يصبح التمييز بين الماضى والذاكرة ضرورة ”كلما ازداد الماضي، قلّت الذاكرة“؛ بعد أن أصيب المجتمع كله بمرض فقدان الذاكرة الجماعى واختطف السياسيون فكرة الطبيب النفسى جوستين، وكما يقول كل الأشخاص الحقيقيين متخيلون وكل المتخيلين حقيقيون، وبشكل ساخر حكى الراوى مشاهد من الكوميديا السوداء لبعض الدول الأوروبية أثناء استفتاءاتها لتقرير أى فترة فى الزمن تريد العودة إليها لتعيش فيها فى المستقبل.؟ وبدلا من أن يؤدى العلاج بالاحتماء فى الماضى إلى سعادة الإنسان يؤدى إلى صراع أكثر عنفًا حين تطرح كل دولة سؤالا عن أى الأزمنة يجب إلغاؤها وأيها يجب استعادتها، وهو ما يؤدى إلى شبه محاكمة لتاريخ أوروبا وانقسام الناس حول تقييمه؛ فى بلغاريا مثلاً، يصطدم الاشتراكيون الذين يريدون استعادة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين مع الوطنيين الغارقين فى مجد الانتصار على العثمانيين عام ١٨٧٦، أما فرنسا فتختار العودة إلى الثمانينيات، وهكذا.

رواية تتهمنا جميعا بتدمير التاريخ، لأن مواجهة العولمة، والهجرة، ومواكبة العصر الذى أدى إلى قتل كل ما هو جميل فى حياتنا، بالحنين إلى الماضي، والعودة المصطنعة إليه لا تعنى سوى تمجيد الرجعية المتمسكة بالتقاليد والتكلس فى قوالب تدمر المستقبل. ومع هذا حذرنا الكاتب من اللجوء إلى النقد السياسى بدون جدوى لأن الهروب إلى الماضى لن يؤثر على نزاعات الحاضر. لهذا سعى إلى استكشاف كيف يمكن أن يعيش الإنسان الماضى والحاضر فى وقت واحد، وما نخسره عند فقدان الذاكرة، وكيف تختلط الأوقات فى داخلنا ومن حولنا.

هناك الكثير من القضايا الفلسفية المتعلقة بالذاكرة والماضي. من دون ذاكرة، تغدو الحياة مستحيلة حتى على المستوى البيولوجي، لكن الغرق فى الماضى والعودة إلى الوراء والسجن فى النوستالجيا لا يؤدى إلى شيء، خاصة وأن ذاكرة كل منا تحمل وجهة نظرنا التى قد لا يفهمها غيرنا وأحيانا تكون ما تخيلناه عما حدث لا ما حدث نفسه، وهو ما يوقع الشعوب فى صراعات لا جدوى منها كأنه يريد أن يقول أن ما جرى قد جرى حسب فهمنا له، ومن حق الآخر أن يفهمه كما يريد، وقد توقفت كثيرا أمام وجهة النظر هذه فكم من المغالطات تجرى بهذا الشأن؟ التارٍيخ يكتب بأيدى خبيثة وتصنع بدائل تعطى حقوقًا لغير مستحقيها.

أثارتنى أسئلة الرواية وفكرة التعامل مع الزمن المصنوع وبراعة الكاتب فى تشخيصها أقول تشخيصها من التشخيص ليس كعلاج فحسب ولن أيضًا كبناء لشخصيات وتجسيدها لتسريب الأسئلة الفلسفية والمحيرة ومساءلة التاريخ .

بنية الرواية معقدة جدًا وتصعب القراءة وتحتاج إلى العودة فى صفحات كثيرة لتضبط التسلسل المنطقى للأحداث لكن استخدام الكاتب لأسلوب السخرية اللاذعة يضفى على المناطق الصعبة وعلى مناخ الرواية راحة وقبول يدفع لاستمرار القراءة حتى تكشف الرواية عن نفسها وتبرز عمق الفكرة وطرحها لكثير من الأسئلة الفلسفية، ويستخدم الكاتب التشويق لمعالجة مفاجآت النص حين تختطف الفكرة من السياسيين وتبدو المرارة هنا قمة فى السخرية من صراعات العصر ورؤيتنا له. اللغة الإنجليزية جميلة ولا أعرف مدى تعبيرها عن البلغارية فالمترجم خائن بطبعه وبحرفته التى نحتاجها بشدة لنقل الآداب من اللغات الحية والميتة أيضًا وكم من المترجمين أنعش نصا ضعيفا فى لغته الأصلية لبراعة المترجم ولغته النفيسة.

بحثت عن روايته فيزياء الحزن التى ترجمت إلى العربية وتعجبت لعدم انتباهى لها من قبل وأدعوكم لقراءتها حتى تتم ترجمة مأوى الزمن إلى العربية لكاتب كبير علينا اكتشافه، كاتب يقول أن سعادته كبيرة بترجمة روايته إلى العربية لإنه يقدّر بشدّة العديد من الأعمال الأدبية العربية ”تربيت على قصص أجدادي، التى تشبه إلى حد كبير أسلوب سرد القصص العربية الكلاسيكية التى نعرفها من ألف ليلة وليلة“ .

بقلم: هالة البدري